بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الشارح

الحمد لله المتفرّد بالعزة والجلال، بعث رسوله الكريم ﷺ هادياً وبشيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى الأمة، وكشف الغُمَّة، وأنار للناس طريق الخير والسعادة، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الواجب على كل مسلم، أن يقتبس من (مشكاة النبوة) ما ينير له الطريق، ويأخذ بيده إلى مدارج (أهل العلم) والفضل، الذين تحلّوْا بأكمل الأوصاف، باقتفائهم هَدْيَ سيّد الأنبياء ﷺ، فالنبيُّ الكريمُ عليه أفضل الصلاة والتسليم، يقول في هديه الشريف: «من سَلَك طريقاً ينبغي به علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنّةِ، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثُوا العلم، فمن أخَذَه أخذ بحظٍّ وافر». [رواه الترمذي]

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «لقد تركتكم على البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك».

هذا وإن كتاب (رياض الصالحين) من كلام سيد المرسلين، لمؤلفه الإمام المحدّث العلاّمة الشهير (يحيى بن شرف النووي) رحمه الله، الذي أجمعت الأمة على علمه وفضله، ونيله قَصَب السَّبْق في الفقه، والحديث، من خير الكتب والمراجع في السنة النبوية المطهرة، ولا تكاد تخلو منه مكتبةٌ، أو مدرسةٌ، أو بيتُ مسلم، لِمَا حَوَاه بين دفَّتَيْه من كنوز ثمينة، من هَدْيِ سيّد المرسلين، في شتّى العلوم والفنون، لإصلاح الفرد والمجتمع، في الأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والإخلاص، والصدق، والمراقبة، واليقين، وقضاءِ حوائجِ المسلمين، وسائرِ ما يحتاج إليه المسلمُ في حياته المنزليّةِ والاجتماعية.

وقد ترجَمَ المؤلف رحمه الله لكل هذه الأبواب، بتراجم تشير إلى عناوين الأبحاث التي تناولتها الأحاديث النبوية الشريفة، التي اختارها وانتقاها من كتب الصِحاح الستة، بحيث يسهل على كل قارئٍ معرفةُ الأحاديث النبوية، التي ترجمت

لها عناوينُ الأبواب، ليرى مجموعةً من هَدْي سيِّد المرسلين ﷺ وقد اجتمعت في باقةٍ عطرةٍ زاهية، في الموضوع الذي يتوخاه! كما وضَّح المؤلف رحمه الله بعض الألفاظ الغريبة، التي وردت في تلك الأحاديث، ولكنه لم يذكر شرح هذه الأحاديث كما فعل في (صحيح مسلم) الذي قام بشرحه وتوضيحه، فأجاد في ذلك وأفاد.

وقد رأيت أن أضع شرحاً موجزاً مبسّطاً، وافياً للغرض لهذه الأحاديث، ليستنير بها القارئ، ويفهم معاني تلك الأحاديث الجليلة، ويقف على ملامح النور والهداية التي زخرتْ بها السُّنَّةُ النبويّةُ العَطِرة، ولا يفوتني هنا أن أذكر أنني قد شرحتُ بعض الألفاظ الغريبة، التي غفل عنها المؤلف رحمه الله، كما ذكرتُ بعض الفوائد الهامة، التي وردت في هذه الأحاديث هذا وقد اعتمدتُ في المراجع لهذا الشرح على الكتب التالية:

الأول: كتاب (فتح الباري) على صحيح البخاري، للإمام المحدِّث ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

الثاني: كتاب (عمدة القاري) بشرح صحيح البخاري للعلاَّمة الإمام العيني رحمه الله.

الثالث: كتاب (شرح صحيح مسلم) للإمام المحدِّث يحيى بن شرف النووي صاحب كتاب رياض الصالحين رحمه الله.

الرابع: كتاب (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) للعلاَّمة الشيخ ابن علاَّن رحمه الله تعالى.

وهنا لا بدَّ من التنويه إلى أن كتاب (رياض الصالحين) قد لاقى قبولاً حسناً، في شتى أقطار المسلمين وديارهم، ببركة إخلاص مؤلفه، وانتشر انتشاراً باهراً بين المسلمين، فهو يُقرأ صباحَ مساءَ في المساجد، كما يُذاع في الإذاعة، وفي بعض القنوات الفضائية بعد كل أذان، ويحتاج إليه الخطباءُ، والعلماءُ، والوُعَّاظ في دروسهم ومواعظهم، لتنوع أبحاثه ومواضيعه، لهذا كانت الحاجةُ ماسةً إلى شرح موجزٍ ميسَّرٍ، يفهمه الخاصة والعامة، ليستفيد منه كل مسلم ومسلمة، ويقبس من مِشكاة النبوة ما يضيء له طريق الخير والسعادة، وقد شرَّفنيَ الله عزَّ وجلَّ بتفسير كتابه العزيز، فأخرجت في كتب التفسير مؤلفات كثيرة، كما أكرمني بخدمة سنة نبيه ﷺ، فأخرجت بضعة كتب منها هذا الشرح المفيد لكتاب رياض الصالحين، لأكون من زمرة من خدم الكتاب والسنة بجهده المتواضع، والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالقِ الليلِ والنَّهار، تبصرةً وذكرى لأُولى الأبصار، والصلاة والسلام على النبي المختار، سيد الذاكرين وأفضل الشاكرين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، ومن تبع سنَّتهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن شيخ الإسلام «الإمام النووي» رحمه الله طودٌ شامخ، وجبلٌ راسخ، في العلم، والتقى، والصلاح، قلَّ أن يجود الزمان بمثله، بارك الله له في حياته وعمره، فألَّف وصنَّف ودرَّس، وكان مع العلم تقياً، ورعاً، زاهداً، لم تشغله الدنيا عن عبادة ربه، ولم تُلْهه المناصبُ الرفيعة عن قول الحق، أمام أكابر الأمراء والسلاطين، بل كان يقول الحق لا يخشى في الله لومة لائم، طلَّق الدنيا وأقبل على الآخرة، وكان يتمثَّل بقول القائل:

إنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطَنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لَحَيٍّ سَكَنَا

جَعَلُوهَا لُجَّةً واتَّخَذُوا ... صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

حاز الإمام النووي رحمه الله قَصَب السبق في «العلم والدراسة» حتى فاق الأقران، ثم أخذ في التصنيف والتأليف لما بلغ الثلاثين من العمر، وجمع بين العلم والعمل، ووفَّق بين العبادة والدراسة، فكان علماً بارزاً وطوداً شامخاً، وإماماً بارعاً، وحجةً ثقةً في علمه، ودينه، وإخلاصه.

ثناء العلماء عليه

يقول الإمام الحافظ بن كثير رحمه الله في ترجمته ما يلي: «وقد كان الإمام النووي من الزهادة، والعبادة، والورع، والتحري، والبعد عن الناس، على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم معظم الأيام، ولا يجمع بين

إدامين، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى، وقد باشر تدريس الإقبالية نيابة عن ابن خلكان، وكذلك ناب في الفلكية والركفية، ووُليّ مشيخة دار الحديث الأشرفية، وكان لا يُضيع شيئاً من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم[1]..» إلى آخره، وقال عنه الإمام السبكي رحمه الله:

«الإمام النووي شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجةُ الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين. كان رحمه الله سيداً وحصوراً، وليثاً على النفوس هصوراً، وزاهداً لم يُبال بخراب الدنيا إذا صيَّر دينه ربعاً معموراً، له الزهدُ والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم، فقهاً، ومتونَ أحاديثٍ، وأسماء رجال، ولغةً وصرفاً وغير ذلك.. وإذا أردت أن أُجمِل تفاصيل فضله وأدلَّ الخلق على مبلغ مقداره، بمختصر القول وفصله، لم أزدْ على بيتين أنشدنيهما الشيخ الإمام الوالد رحمه الله، لما سكن في قاعة الحديث الأشرفية سنة اثنين وأربعين وسبعمائة، كان يخرج في الليل إلى إيوانها، ليتهجد على البساط الذي كان يجلس عليه الشيخ النووي وقت الدرس، فأنشدني الوالد:

وفي «دَارِ الحَديثِ» لَطِيفُ مَعْنى ... عـلـى بُـسُـطٍ لـهـا أَضْـبُـو وَآوي

عَـسَـى أَنْ أَمَـسَّ بِـحُـرِّ وَجْـهِـي ... مَـكَـانـاً مَـسَّـهُ قَـدَمُ الـنَّـواوِي

ولد النووي ببلدة «نوى» وهي قرية قريبة من دمشق، وفيها نشأ وترعرع، ولما كان ابن تسع عشرة سنة، قدم به والده إلى دمشق، فسكن بالمدرسة الرواحية، وحفظ التنبيه في نحو أربعة أشهر، وحفظ ربع المهذب، ولازم الشيخ كمال الدين إسحاق المغربي، ثم حج مع والده ثم عاد، وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ، شرحاً وتصحيحاً، فقهاً وحديثاً، أصولاً ونحواً ولغة، إلى أن برع وبارك الله له في العمر اليسير ووهبه العلم الكثير[2].

عمرٌ مباركٌ

وإذا قسنا عمرهُ بآثاره التي تركها، نرى أن العمر يقصر عن تلك المؤلفات، ولكنَّ الله تعالى بارك له في وقته فمع قصر حياته ـ حيث عاش ـ ٤٦

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٧٨.

(٢) شذرات الذهب ٥/ ٣٥٤.

ـ ستاً وأربعين سنة فقد ألف مجلداتٍ ضخمة، وكتباً عديدة، في كل فنّ من فنون العلوم، حتى غدا علمه قد شرّق وغرّب، واستفاد المسلمون من علومه ونتاجه، منذ عصره الغابر إلى يومنا هذا، وكلُّ ذلك ببركة صلاحه وإخلاصه، يقول الإمام النووي عن نفسه كما حكاه عنه ابن عماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب: (بارك الله لي في وقتي، وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشتريت كتاب «القانون» وعزمتُ على الاشتغال فيه، فأظلم عليّ قلبي، وبقيتُ أياماً منقبض النفس، لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكرّتُ في أمري، ومن أين دخل عليّ هذا الشيء، فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب، فبعتُ كتاب الطب في الحال، ورجعتُ إلى علوم الشريعة، فاستنار قلبي)[1] وهكذا هيّأه الله لخدمة شرعه ودينه، لينتقل من طب الأجسام إلى طب الأرواح، رحمه الله تعالى .

نشأته وولادته

اسمه محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي نسبة إلى «نوى» من سوريا بمنطقة الجولان قريباً من حوران، ولد في شهر المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة هجرية، وفي تلك القرية نشأ وترعرع، ولما بلغ من العمر سبع سنين رأى ليلة القدر، فقد كان نائماً بجوار والده، فانتبه فجأة نحو نصف الليل، وقال يا أبتِ ما هذا الضوء الساطع الذي ملأ الدار؟ ـ وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ـ فاستيقظ أبوه وأهله جميعاً فلم يروا شيئاً، قال والده: فعرفت أنها كانت ليلة القدر.

وذكر أحد شيوخه الصلحاء وهو الشيخ الإمام ياسين الزركشي عن الإمام النووي قال: رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يُكرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي، ويقرأ القرآن في تلك الحال، قال فوقع في قلبي حبه، وجعله أبوه في دكان له ليبيع ويشتري، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن تلاوة القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت: هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: منجّم أنت؟ قلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر الشيخ المقرئ ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣٥٤ لابن عماد الحنبلي.

مصنفاته ومؤلفاته

ألّف الإمام رحمه الله كتباً كثيرة، وصنّف مجلداتٍ ضخمة، تزيد على الثلاثين مصنفاً نذكر منها الكتب الآتية: «شرح صحيح مسلم» و«شرح المهذب» و«الروضة» و«المنهاج» و«الإرشاد في علم الحديث» و«التقريب والتيسير» و«والتبيان في آداب حملة القرآن» و«تحرير ألفاظ التنبيه» و«بستان العارفين» و«مختصر أُسْد الغابة» و«المبهمات» و«الإيجاز» و«الإيضاح في المناسك» و«طبقات الفقهاء» و«تهذيب الأسماء واللغات» و«مناقب الإمام الشافعي» وكتاب «الأذكار من كلام سيد الأبرار» وكتاب «رياض الصالحين» وهو هذا الكتاب الذي نقدّمه للسادة القراء، بعد أن قمنا بشرحه، وغير ذلك من الكتب الكثيرة التي نفع الله بها المسلمين، ببركة الشيخ الإمام وصدقه وإخلاصه[1].

❁❁❁

(١) انظر ترجمة المؤلف في المراجع الآتية:
تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٠ وطبقات الشافعية ٨/ ٣٩٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٧٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧٨ ومرآة الجنان ٢/ ١٨٢ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٤ ومفتاح السعادة ١/ ٣٩٨ وكشف الظنون ١/ ١١٥.

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، مُكَوِّرِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ[١]، تَذْكِرَةً لأُولِي الْقُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، وَتَبْصِرَةً لِذَوِي الأَلْبَابِ[٢] وَالاعْتِبَارِ، الَّذِي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنِ اصْطَفَاهُ[٣] فَزَهَّدَهُمْ فِي هذِهِ الدَّارِ، وَشَغَلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ الأَفْكَارِ، وَمُلَازَمَةِ الاتِّعَاظِ وَالادِّكَارِ[٤]، وَوَفَّقَهُمْ لِلدُّؤُوبِ[٥] فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّأَهُّبِ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ الْبَوَارِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ وَالأَطْوَارِ[٦].

أَحْمَدُهُ أَبْلَغَ حَمْدٍ وَأَزْكَاهُ، وَأَشْمَلَهُ وَأَنْمَاهُ[٧]. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَرُّ[٨] الْكَرِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الْهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ. صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ، وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] وَهٰذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالإِعْرَاضُ عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا[٩]

---

(١) أي يدخل هذا على هذا.
(٢) جمع لب: أي العقول.
(٣) أي اختاره.
(٤) أصله الاذتكار بمعنى التذكُّر والاعتبار.
(٥) أي المداومة والاجتهاد.
(٦) أي الاختلاف في الخَلْق والخُلُق.
(٧) أكمله وأتمّه.
(٨) العطوف على عباده برحمته ولطفه.
(٩) أي الترفهات المعتادة الزائدة.

بالزُّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لا مَحَلُّ إِخْلادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لا مَنْزِلُ حُبُورٍ[١]، وَمَشْرَعُ انْفِصَامٍ لا مَوْطِنُ دَوَامٍ. فَلِهَذَا كَانَ الأَيْقَاظُ[٢] مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعُبَّادَ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَّادَ. قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] والآيات في هذا المعنى كَثِيرةٌ. ولقد أَحْسَنَ القَائِلُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطَنَا[٣] طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا[٤]
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً[٥] واتَّخَذُوا صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

فإذا كان حالُها ما وصفْتُهُ، وحالُنا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ فَحَقٌّ على المُكَلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلَكَ أُولِي النُّهَى والأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أُشِرْتُ إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ بِمَا نَبَّهْتُ عَلَيْهِ، وَأَصْوَبُ طريقٍ له في ذلِكَ، وَأَرْشَدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ المَسَالِكِ: التَّأَدُّبُ بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ. صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وَقَدْ صَحَّ عَنْ رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «واللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» وَأَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: «فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

---

(١) أي إنها مركب يتوصل به إلى الآخرة وليست منزل فرح وسرور.
(٢) جمع يقظ أي متيقظ منتبه.
(٣) جمع فطن: وهو مَنْ له عقل.
(٤) جمع فتنة: وهي الامتحان والاختبار.
(٥) المراد أنهم جعلوها بمثابة البحر الذي يتوصل بالعبور فيه إلى المقصد.

فَرَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَراً مِنَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مشْتَمِلاً عَلَى مَا يَكُونُ طَرِيقاً لِصَاحِبِهِ إِلَى الآخِرَةِ، وَمُحَصِّلاً لآدَابِهِ الْبَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، جَامِعاً لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ آدَابِ السَّالِكِينَ، مِنْ أَحَادِيثِ الزُّهْدِ، وَرِيَاضَاتِ النُّفُوسِ، وَتَهْذِيبِ الأَخْلَاقِ، وَطَهَارَاتِ الْقُلُوبِ وَعِلَاجِهَا، وَصِيَانَةِ الْجَوَارِحِ وَإِزَالَةِ اعْوِجَاجِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ العَارِفِينَ.

وَالْتَزَمْ فِيهِ أَنْ لا أَذْكُرَ إِلَّا حَدِيثاً صَحِيحاً[١] مِنَ الوَاضِحَاتِ، مُضَافاً إِلَى الكُتُبِ الصَّحِيحَةِ المَشْهُورَاتِ[٢]، وَأُصَدِّرَ الأَبْوَابَ مِنَ القُرْآنِ الْعَزِيزِ، بِآيَاتٍ كَرِيمَاتٍ، وَأُوَشِّحَ[٣] مَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ، أَوْ شَرْحِ مَعْنًى خَفِيٍّ، بِنَفَائِسَ[٤] مِنَ التَّنْبِيهَاتِ. وَإِذَا قُلْتُ فِي آخِرِ حَدِيثٍ: «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ»، فَمَعْنَاهُ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومسلم.

وأَرْجُو إِنْ تَمَّ هَذَا الكِتَابُ، أَنْ يَكُونَ سَائِقاً لِلْمُعْتَنِي[٥] بِهِ إِلَى الخَيْرَاتِ، حَاجِزاً لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ[٦] وَالْمُهْلِكَاتِ[٧]. وَأَنَا سَائِلٌ أَخاً انْتَفَعَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، أَنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخِي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي. وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ.

❁❁❁

---

(١) أي مقبولاً فشمل الحسن ولو لغيره.

(٢) وهي الصحيحان وأكثر ما هنا منهما والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وكذا مستدرك الحاكم.

(٣) بيان ما قد يشتبه من الحركات.

(٤) جمع نفيسة وهو ما يرغب فيه من علم أو مال أو نحو ذلك.

(٥) أي لصاحب العناية.

(٦) الرذائل.

(٧) الموقعة لصاحبها في الهلاك والعذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ في الإخلاص وإحضار النيّة في جميع الأعمال، والأقوال، والأحوال، البارزة والخفية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1] [البينة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾[2] [الحج: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

١ ـ وَعَنۡ أَمِيرِ الۡمُؤۡمِنِينَ أَبِي حَفۡصٍ[3] عُمَرَ بۡنِ الۡخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: سَمِعۡتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعۡمَالُ بِالنِّيَّاتِ[4]، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امۡرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنۡ كَانَتۡ هِجۡرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجۡرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنۡ كَانَتۡ هِجۡرَتُهُ لِدُنۡيَا يُصِيبُهَا أَوِ امۡرَأَةٍ يَنۡكِحُهَا، فَهِجۡرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيۡهِ» مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ.

٢ ـ وَعَنۡ أُمِّ الۡمُؤۡمِنِينَ أُمِّ عَبۡدِ اللَّهِ «عَائِشَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنۡهَا قَالَتۡ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَغۡزُو جَيۡشٌ الۡكَعۡبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيۡدَاءَ[5] مِنَ الأَرۡضِ، يُخۡسَفُ بِأَوَّلِهِمۡ وَآخِرِهِمۡ»، قَالَتۡ: قُلۡتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيۡفَ يُخۡسَفُ بِأَوَّلِهِمۡ وَآخِرِهِمۡ،

---

(١) ﴿مخلصين له الدين حنفاء..﴾ الآية.
الإخلاص: أن ينوي بقوله وعمله وجهَ اللَّه تعالى، لاثناء الناس، (حنفاء) أي مائلين عن جميع الأديان إلى الدين الحق (دين الإسلام).

(٢) ﴿لن ينال الله لحومها..﴾ الآية.
أي لن يصل إلى اللَّه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها، ولكن يصل إليه التقوى منكم، بامتثالكم أوامره، وطلبكم رضوانه.

(٣) كنّاه رسول اللَّه ﷺ بذلك، قال عمر: وإنه لأول يوم كنّاني فيه رسول اللَّه ﷺ (أبا حفص). أسلم بعد أربعين رجلاً، وكان إسلامه عزاً للمسلمين بدعوة النبي ﷺ.

(٤) قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» أي كمالُ الأعمال، وصحةُ الأعمال بما ينويه الإنسان، فاللَّه سبحانه لا يجازي على العمل فحسب، بل يعامل على قصد الإنسان ونيّته، من خير أو شر، فمن قصد بهجرته نصرة الدين أثابه اللَّه، ومن قصد لنكاح أو تجارة الدنيا حُرم أجر المهاجرين.

(٥) «ببيداء» أي فلاة أو صحراء.

وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ[١] وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وهَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ.

٣ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ[٢]، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[٣] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعْنَاهُ: لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ.

٤ ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً، إِلَّا كَانُوا مَعَكُم، حَبَسَهُمُ[٤] المَرَضُ..».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَاماً خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْباً[٥] وَلَا وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ العُذْرُ».

٥ ـ وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَخْنَسِ رضي اللَّهُ عَنْهُمْ ـ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ ـ قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ!! فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) «أسواقهم»: يعني العامة من الناس الرّعاع، الذين لا يعرفون لماذا خرجوا؟ وفي الحديث التحذير من مصاحبة أهل الظلم والعصيان. فالعقاب إذا نزل عمَّ الصالح والطالح.

(٢) «لا هجرة بعد الفتح» يعني «فتح مكة» لأن بفتح مكة عزَّ الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، والهجرة إنما وجبت لأن المسلمين بمكة كانوا مستضعفين، لا يستطيعون إقامة شعائر دينهم، وبعد فتح مكة كثر المسلمون، وأصبحوا قوة يهابهم الأعداء، فلم يبق داعٍ للهجرة من مكة، وبقي جهاد الأعداء واجباً، وفيه الطاعة باقية.

(٣) «وإذا استنفرتم فانفروا» أي إذا طُلب منكم الخروج للجهاد وقتال الأعداء، فاخرجوا ولا تخلدوا إلى الراحة.

(٤) «حَبَسَهم المرضُ» أي منعهم المرضُ من الخروج، أو عدم وجود المراكب، وفي الحديث دلالة واضحة على أن نيّة المرء مثلُ عمله، فضلاً من الله تعالى وكرماً.

(٥) الشعب: الطريق بين الجبلين.

٦ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَحَدِ الْعَشَرَةِ المشهود لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: «جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى!! وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ[١] يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ، كَثِيرٌ ـ أَوْ كَبِيرٌ ـ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ[٢] وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً[٣] يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ[٤]. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي[٥]؟ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ[٦] فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ[٧] لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنِ البَائِسُ «سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ!» رثى[٨] لَهُ رسول اللَّه ﷺ، أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيه.

٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٩] «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ صَخْرٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

---

(١) «قلت فالشطر» أي أفتصدّق بنصف مالي؟ قال: لا «والثلث كثير» أي ثلث المال كثير أيضاً، وفي الحديث «إن الله تعالى تصدّق عليكم في آخر أعماركم بثلث أموالكم، تضعونه حيث شئتم» وفيه دلالة على أن الوصية لا تصحُّ بأكثر من الثلث.

(٢) «أن تذر»: أي تترك الورثة أغنياء.

(٣) «تذرهم عالة» أي فقراء «يتكففون الناس» يستجدون الناس ويسألونهم العطاء لحاجتهم وفقرهم.

(٤) «في في امرأتك» أي في فم امرأتك، فالثانية بمعنى الفم.

(٥) «أخلّف بعد أصحابي» معناه: هل سأبقى بمكة بعد انصراف أصحابي؟ قاله إشفاقاً من موته بمكة، لأنه هاجر منها وتركها لله تعالى، فخشي أن يقدح ذلك في هجرته.

(٦) «لن تُخلّف» المراد بالتخلف هنا: طول العمر.

(٧) «أمضي» أتمم لهم هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم بترك الهجرة.

(٨) «رثى له رسول الله» هذا من كلام الراوي، وليس من كلام النبي ﷺ، يتوجّع له رسول الله لكونه مات بمكة.

(٩) «أبو هريرة» هذه كنيته، واسمه «عبد الرحمن بن صخر الدَّوْسي» كانت له هرة يتسلّى بها ويضعها في كُمّه في النهار أحياناً، ولذلك كُنِيَ بأبي هريرة.

رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ[١]، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيِّ» رضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رسول اللَّه ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً[٢]، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً[٣]، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً[٤]، أَيُّ ذٰلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رسول اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٩ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ «نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ» رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ[٥]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هٰذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيه.

١٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ[٦]، تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بيته، وصلاتِهِ في سُوقِهِ بِضْعاً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذٰلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، لا يَنْهَزُهُ[٧] إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ،

---

(١) «لا ينظر إلى صوركم» يعني لا يثيبكم ويجازيكم على أشكالكم وصوركم، من بياض أو سواد، أو طول أو قصر، وإنما يجازيكم عى ما في قلوبكم من الخير أو الشر.

(٢) «يقاتل شجاعة» أي يقاتل ليرى أنه شجاع مقدام لا يخاف من الأعداء.

(٣) «حمية» أي يقاتل دفاعاً عن عشيرته وعصبيّة لها، سواء كان القتال بحقّ أو باطل، كما قال القائل:

وما أنا إلّا من غُزَيَّة إن غَوَتْ ... غويتُ وإن ترشد غُزيةُ أرشد

(٤) «رياء» يقاتل طلباً للشهرة، لا لوجه الله.

(٥) «كلمةُ الله» أي لإعلاء دين الإسلام، لا لشيء ممّا تقدم، فهذا هو المجاهد في سبيل الله، الذي ينال أجر الجهاد. وقوله ﷺ: «القاتل والمقتول في النار» أمّا القاتلُ فلكونه أقدم على القتل وباشره، وأما المقتول فلعزمه على قتل صاحبه، لو تمكّن منه وسبق إليه، فالقاتل دخل النار بالعمل، والمقتول بالنية والعزم.

(٦) «في جماعة» أي صلاته مع الجماعة في المسجد، يتضاعف ثوابها إلى سبع وعشرين درجة كما جاء في رواية مسلم، والبضعُ: هو العددُ من الثلاثة إلى العشرة.

(٧) «لا ينهزُهُ» أي لا يُخرجه من بيته ويُنهضه إلا الصلاة لا شيءٌ آخر.

وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ[١]، حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ[٢]، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ[٣] عَلَى أَحَدِكُمْ، مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ[٤]، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» مُتَّفَقٌ عليه، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ.

١١ ـ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ» رَضِيَ اللَّه عنهما، عَنْ رسول اللَّه ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٥] قَالَ: «إِنَّ اللَّه كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ[٦] فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً. وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا[٧]، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» مُتَّفَقٌ عَلَيه.

١٢ ـ وعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» رضي اللَّهُ عَنْهما قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

---

(١) «حُطَّ عنه بها خطيئة» أي مُحيت عنه خطيئة بكل خُطوة خطاها إلى المسجد.

(٢) «تحبسه» أي ما دامت الصلاة تمنعه من الخروج من المسجد لأنه يريد أداءها.

(٣) «يُصلُّون على أحدكم» أي يدعون له بالرحمة والمغفرة ما دام جالساً في المسجد.

(٤) «ما لم يؤذ» فسَّره ﷺ بالحدث، وهو خروج الريح أو الصوت.

أقول: ما أعظم فضل اللَّه على عباده المصلِّين!! لهم بكل خطوة يخطونها إلى المسجد حسنة، وتمحى عنهم بها سيئة، ثم دعاء الملائكة لهم بالمغفرة والرحمة، ما داموا في المسجد، ودعاء الملائكة مستجاب عند اللَّه تعالى.!

(٥) «فيما يروي عن ربه» أي في الحديث القدسي وهو أعلى مرتبةً من الحديث الشريف، ودون القرآن الكريم، اللفظ يكون فيه من عند الرسول ﷺ، والمعنى من عند اللَّه.

(٦) «همَّ بحسنة» أي عزم على فعل شيء من الخير، أعطاه اللَّه الأجر على نيَّته ولو لم يفعل ذلك، فإن فعله كان أجره مضاعفاً إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة.

(٧) «همَّ بسيئه فلم يعملها» تركها خوفاً من اللَّه، فإن اللَّه يكتبها له حسنة، فإن فعل السيئة كُتبت عليه واحدة، وانظر أخي المسلم إلى فضل اللَّه، وسعة رحمته وكرمه، السيئة إذا لم يعملها كتبت له بها حسنة، وإذا عملها كُتبت عليه سيئة واحدة.. والحسنةُ إذا لم يعملها وقد عزم عليها، تكتب له بها حسنة بالنيَّة الطيبة، وإذا عملها كُتبت له عشراً، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا اللَّه، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وويل لمن غلبت سيئاته على حسناته!!

حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ!! قال رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ[١] قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً. فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ[٢] يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ[٣] عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ ـ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي ـ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[٤] عِنْدَ قَدَمِي ـ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ!! فَانْفَرَجَتْ[٥] شَيْئاً لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ. قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا[٦] فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ[٧] مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمَائَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ[٨] إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ[٩] حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ،

---

(١) «لا أغبق قبلهما» الغَبُوق: هو الشراب بالمساء من الحليب أو اللبن، أي لا أقدّم في الشرب على والديّ أحداً، لا من زوجة وولد، ولا من رقيق وخادم.

(٢) «فنأى بي طلب الشجر» أي ابتعد بي طلب المرعى للغنم.

(٣) «فلم أرح عليهما» أي فلم أرجع إلى والديّ حتى ناما وكرهت إيقاظهما.

(٤) «والصبية يتضاغون» أي يبكون ويصيحون من الجوع.

(٥) «فانفرجت» أي تزحزحت الصخرة شيئاً قليلاً، لا يستطيعون الخروج معه.

(٦) «فأردتها على نفسها» أي فراودتها عن نفسها للزنى بها، فأصرّت وامتنعت.

(٧) «ألمت بها سنة» أي نزلت بها ضائقة وشدة في سنة مجدبة.

(٨) «لا تفضّ الخاتم» كناية عن البكارة، أي لا تقر بني ولا تزل بكارتي، إلا بالزواج الذي شرعه الله.

(٩) «فثمّرتُ أجره» أي كثّرت له أجرته ونميتها له بالتجارة، حتى فاضت أمواله وكثرت، =

فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي!! فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يترك مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

❁❁❁

بَابٌ فِي التَّوبة

قال العلماء: التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، ولا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ؛ فَلَهَا ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقْلِعَ عَنِ المَعْصِيَةِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَداً.

فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

وَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هٰذِهِ الثَّلَاثَةُ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا؛ فَإِنْ كَانَتْ مَالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَو طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غِيبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا، وَيَجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ، مِنْ ذٰلِكَ الذَّنْبِ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ البَاقِي، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعُ الأُمَّةِ عَلَى وُجُوبِ التَّوْبَةِ.

قَالَ اللَّه تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

- فأصبح له وادٍ من الإبل، ووادٍ من البقر، ووادٍ من الغنم.

وفي الحديث: دلالة على التوسل بالعمل الصالح، وفضل بر الوالدين وإيثارهما على الزوجة والولد، وفضل العفاف وترك الزنى خوفاً من اللَّه، وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات كرامة الأولياء، لأن خروجهم من الغار كان كرامة لهم من اللَّه تعالى.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [١] [التحريم: ٨].

١٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «واللَّه إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّه وأَتُوبُ إِلَيْهِ في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» [٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٤ ـ وعَن الأَغَرِّ بْنِ يَسار المُزَنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلى اللَّهِ واسْتَغْفِرُوهُ فإِنِّي أَتُوبُ في اليَوْمِ مَائَةَ مَرَّةٍ» رَوَاهُ مسلم.

١٥ ـ وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ «أَنَسِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ» خَادِمِ رسول الله ﷺ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ [٣]، وَقد أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ» مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية لمُسْلم: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا [٤] فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، وقد أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا [٥]، ثُمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وَأَنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ».

١٦ ـ وَعَن أَبِي مُوسى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيس الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِن اللَّه تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ [٦] لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ

---

(١) ﴿توبة نصوحاً﴾ أي توبة صادقة خالصة، بالغة في النصح الغاية القصوى، وسُئل عمر رضي الله عنه عن «التوبة النصوح» فقال: هي أن يتوب ثم لا يعودَ إلى الذنب، كما لا يعودُ اللَّبنُ إلى الضَّرْع.

(٢) «أتوب في اليوم سبعين مرة» توبتُه ﷺ سبعين مرة، أو مائة مرة كما في الرواية الثانية، ليست من الذنوب والمعاصي، إنما هي إرشاد للأمة، إلى الإقبال على الله بالاستغفار والتوبة، لأن كل ابن آدم خطاء، وخير الخطّائين التوّابون.

(٣) «سقط على بعيره» أي صادفه من غير قصد ورآه ماثلاً أمامه.

(٤) «أيس منها» أي يئس من رجوع دابته إليه.

(٥) «فأخذ بخطامها» أي أمسك بالحبل الذي يوضع في عنقها.
وهذا الحديث محمول على التمثيل، أي كيف تكون فرحة من أضاع دابته وأيقن بالموت، ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه؟ ألا تكون شديدة وعظيمة؟ ففرحة الله بتوبة عبده المؤمن أشدّ وأعظم، ومن شدة دهشته وفرحه، أخطأ في شكر ربه فقال: اللّهمّ أنت عبدي وأنا ربك!

(٦) «يبسط يده بالليل» كناية عن سعة رحمة الله، وتوبته على عباده، أي يفتح أبواب الرحمة

بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٩ ـ وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: «أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ رضي الله عنه أَسْأَلُهُ عَنِ المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ العِلْمِ!! فَقَالَ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضىً بِمَا يَطْلُبُ»، فَقُلْتُ: إِنَّه قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي[٢] المَسْحُ عَلَى الخُفَّيْنِ، بَعْدَ الغَائِطِ وَالبَوْلِ؟ وكُنْتَ امْرءاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذلِكَ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفْراً[٣] ـ أَوْ مُسَافِرِينَ ـ أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ[٤] وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ. فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي الْهَوَى شَيْئاً[٥]؟ قَالَ: نَعَمْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ[٦]: يَا مُحَمَّدُ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْواً مِنْ صَوْتِهِ:

= بالليل، ليتوب من أذنب بالنهار، وكذلك يفتح أبواب الرحمة بالنهار، ليتوب من أساء بالليل، حتى تظهر علامة الساعة الكبرى، وهي طلوع الشمس من مغربها فيغلق باب التوبة.

(١) «ما لم يُغرغر» أي ما لم تصل الروح إلى الحلقوم، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ وإنما لم تقبل التوبة لرؤيته ملائكة العذاب.

(٢) «حكّ في صدري» أي وقع في نفسي الشكّ في أمر المسح على الخفين، بعد التبوّل أو التغوط، هل يجوز المسح أم لا؟

(٣) «سَفْراً» أي مسافرين.

(٤) «لكنْ من غائط» أي نمسح على الخفّ من الغائط، أو البول، أو النوم، ولا نمسح من الجنابة، بل يجب غسل جميع البدن، لأن المسح على الخفين يكون من الحَدَث الأصغر.

(٥) «في الهوى» أي في محبة الإنسان شخصاً أو صديقاً.

(٦) «صوت جهوري» أي صوت مرتفع عالي شديد يسمعه الناسُ، ومعنى (هاؤم) أي ها أنا ذا أمامك.

«هَاؤُمُ» فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ[1] فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا! فقال: وَاللَّهِ لا أَغْضُضُ. قَالَ الأَعْرَابِيُّ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَاباً مِنَ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَاماً. قَالَ سُفْيَانُ أَحَدُ الرُّوَاةِ: «قِبَلَ الشَّامِ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مَفْتُوحاً لِلتَّوْبَةِ، لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغيرُهُ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ «سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ» الْخُدْرِيِّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ[2]، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ[3] بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللَّهَ تعالى فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ[4] أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ[5]: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تعالى. وقالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ـ أَيْ حَكَماً ـ فَقَالَ: قِيسُوا ما بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِما كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «اغضُضْ من صوتك» أي اخفضْ صوتك ولا ترفعه عالياً في حضرة الرسول ﷺ.

(٢) «دُلَّ على رجل راهب» أي عابد من عُبَّاد بني إسرائيل لا يعرف الأمور الدينية، فأفتاه بعدم قبول توبته، فقتله لأنه سدَّ عليه أبواب التوبة والرحمة، فصار عدد الذين قتلهم مائة شخص.

(٣) «ومن يحول» أي من يستطيع أن يمنع بينك وبين التوبة؟

(٤) «نَصَفَ الطريق» أي وصل إلى منتصف الطريق قُبِضت روحه.

(٥) في هذا الحديث بيان فضل التوبة مهما كثرت الذنوب، وفضل العلم على العبادة مع الجهل. وفضلُ مصاحبة الصالحين، فقد دلَّه العالم على مصاحبة الصالحين في القرية الأخرى، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وفي روايةٍ في الصحيح: «فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ».

٢١ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ـ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ ـ قَالَ: سَمِعْتُ «كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عن رسول اللَّه ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: «لَمْ أَتَخَلَّف عَنْ رسول اللَّه ﷺ، في غَزْوَة قَطُّ، إِلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رسول اللَّه ﷺ والمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ[(١)]، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسولِ اللَّهِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ[(٢)]، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا. وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ، في غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ مِنِّي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رسول اللَّه ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا[(٣)]. حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، فَغَزَاهَا رسول اللَّه ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً وَمَفَازاً[(٤)]، واسْتَقْبَلَ عَدَداً كَثِيراً، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ»[(٥)]، فَأَخْبَرَهُمْ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسولِ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ «يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ» قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى بِهِ مَا لَمْ يَنْزِل فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّه، وَغَزَا رسول اللَّه ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ[(٦)]، فَتَجَهَّزَ رسول اللَّه ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو[(٧)] لِكَيْ أَتَجَهَّزَ

---

(١) «يريدون عير قريش» أي الإبل التي كانت عليها تجارة قريش.

(٢) «حين تواثقنا على الإسلام» أي تبايعنا وتعاهدنا عليه، وهذه البيعة هي المشهورة بـ«بيعة العقبة».

(٣) «ورّى بغيرها» أي أوهم أنه يريد غيرها، لأن الحرب خدعة.

(٤) «ومفازاً» أي برية وصحراء قليلة الماء، فسيحة الأرجاء.

(٥) «أهبة غزوهم» أي كشف ﷺ للمسلمين عن هذه السفرة، ليتأهبوا ويستعدُّوا لها بكل ما لديهم من قدرة وطاقة.

(٦) «فأنا إليها أصعَرُ» أي نفسي تميلُ وتشتهي الثمار، وظلالَ الأشجار.

(٧) «وطفقت أغدو» أي شرعت أريد الخروج مع رسول الله ﷺ ولم يتيسر لي.

مَعَهُ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي، حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رسول اللَّه ﷺ غَادِياً وَالْمُسلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئاً، ثُمَّ غَدَوتُ فَرَجَعْتُ ولَمْ أَقْضِ شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى[١]، بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْو[٢]، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رسول اللَّه ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ[٣]، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِن الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رسول اللَّه ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «ما فَعَلَ «كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ»؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يا رسول اللَّه حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ[٤]. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي اللَّه عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللَّهِ يَا رسول اللَّه مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رسولُ اللَّه ﷺ. فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلاً مُبْيِضاً[٥] يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»[٦]، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ[٧]، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً[٨] مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي[٩]، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رسول اللَّه ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِماً زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ[١٠] حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنْجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَداً، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ[١١]، وَأَصْبَحَ رسول اللَّه ﷺ قَادِماً، وَكَانَ إِذا قدم من سفر بدأ

---

(١) «يتمادى بي» أي يتأخر بي طلب الخروج.

(٢) «وتفارط الغزو» أي تقدّم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٣) «مغموصاً عليه في النفاق» أي متهماً بالنفاق ومطعوناً في دينه.

(٤) «والنظر في عطفيه» يعني جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

(٥) «ورأى رجلاً مُبيضاً» أي يلبس الملابس البيضاء.

(٦) «كن أبا خيثمة» أي هذا الرجل أبو خيثمة، فكان هو كما قال ﷺ.

(٧) «لَمَزَهُ المنافقون» أي طعنوا فيه وعابوه، وقالوا: إنّ الله غني عن صاع هذا.

(٨) «توجّه قافلاً» أي راجعاً من الغزو.

(٩) «حضرني بثّي» حضرني أشدُّ الحزن.

(١٠) «زاح عني الباطل» ذهب وزال عن قلبي الباطل.

(١١) «فأجمعتُ صدقه» عزمت على قول الصدق عند الرسول ﷺ.

بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعاً وَثَمَانِينَ رَجُلاً فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ[1]؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ! قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللَّه إِنِّي واللَّه لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً[2]، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ يُسْخِطُكَ عَلَيَّ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ: فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» وثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ[3] فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رسول للَّه ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رسول اللَّه ﷺ لَكَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رسول اللَّه ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلانِ، قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ: وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ!! قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: «مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ»، وَ«هِلالُ بْنِ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ» قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْراً فِيهِمَا أُسْوَةٌ. قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رسول اللَّه ﷺ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ ـ أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ[4] لِي فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا[5] عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا[6] وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ

(١) «ما خلّفك»؟ ما الذي جعلك تتخلف عن الخروج معنا؟ ألم تكن قد اشتريت راحلتك؟

(٢) «أُعطيت جدلاً» فصاحة في اللسان أستطيع دفع اللوم عني.

(٣) «وثار رجال من بني سلمة» أي نهض نحوي رجال من بين سَلَمة يلومونني أشدّ اللوم.

(٤) «حتى تنكّرت» أي تغيّرت الدنيا في عيني.

(٥) «فلبثنا» أي أقمنا خمسين ليلة.

(٦) «أمّا صَاحِبَايَ فاستكانا» أي خضعا لأمر الرسول ﷺ وقعدا في بيوتهما يبكيان.

وَأَجْلَدَهُمْ[١]، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رسول اللّٰه ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ[٢]، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ[٣] مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ[٤] أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللّٰهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللّٰهِ[٥] هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ[٦]، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ[٧] مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ[٨] يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِباً، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّٰهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ[٩]، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ[١٠]، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهٰذِهِ أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا[١١]، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ[١٢] إِذَا رسولُ رَسولِ اللّٰه ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رسول اللّٰه ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ

(١) «أشبّ القوم وأجلدهم» أي أصغرهم سناً وأقواهم.
(٢) «وأسارقه النظر» أي أنظر إلى رسول اللّٰه ﷺ خُفية.
(٣) «جفوة المسلمين» إعراضهم عني وعن الكلام معي.
(٤) «تسوّرت جدار حائط» علوت جدار بستان وهو أعلاه.
(٥) «أنشدك باللّٰه» أي أسألك باللّٰه وأحلّفك.
(٦) «ففاضت عيناي» أي كثرت دموع عيني وبكيت.
(٧) «نَبَطِيٌّ من أهل الشام» أي فلّاح من فلّاحي العجم من بلاد الشام.
(٨) «فطفق الناس» أي أخذ الناسُ يشيرون له إليّ.
(٩) «مضيعة» أي أرض يضيع فيه حقك.
(١٠) «نواسك» أي نقدّم لك المواساة والمساعدة.
(١١) «فسجرتها» فأحرقتها في النار.
(١٢) «واستلبث الوحي» أبطأ نزول الوحي على رسول اللّٰه ﷺ.

امْرَأَتَكَ[١]. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لا، بَل اعْتَزِلْهَا فَلا تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ رسولَ اللَّه ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رسولَ اللَّه إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّه مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ[٢] إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللَّه مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَو اسْتَأْذَنْتَ رسولَ اللَّه ﷺ فِي امْرَأَتِكَ، فَقَدْ أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رسولَ اللَّه ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رسولُ اللَّه ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ! فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تعالى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ[٣]، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ[٤] يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِداً[٥]، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، فَآذَنَ رسولُ اللَّه[٦] ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ[٧] صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَساً[٨]، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ[٩] قِبَلِي، وَأَوْفَى[١٠] عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ[١١] رسولَ اللَّه ﷺ يَتَلَقَّانِي

---

(١) «أن تعتزل امرأتك» أي لا تقربها بجماع ونحوه.

(٢) «ما به من حركة» هذه كناية لطيفة أي عاجز عن معاشرة النساء.

(٣) «بما رحبت» أي ضاقت عليّ الأرض على سعتها.

(٤) «أوفى على سَلْع» أي صعد على جبل سَلْع وهو جبل معروف في المدينة.

(٥) «فخررت ساجداً» أي سجدت لله عز وجل سجدة الشكر.

(٦) «فآذن رسول الله» أي أعلم الناسَ بتوبة الله علينا نحن الثلاثة.

(٧) «فذهب قِبَلَ» أي جهة صاحبيّ.

(٨) «وركض رجل إليّ فرساً» أي ركض نحوي رجل يركب فرساً.

(٩) «مِنْ أَسْلَمَ» هو حمزة بن عمر الأسلمي.

(١٠) «أوفى الجبل» أي صعد الجبل.

(١١) «انطلقت أتأمم» أي أقصدُ رسول الله ﷺ.

النَّاسُ، فَوْجاً، فَوْجاً[١] يُهَنِّئُونني بالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّه عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رسول اللَّه ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ «طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْد اللَّه» رضي اللَّه عنه يُهَرْوِلُ[٢] حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللَّه مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رسول اللَّه ﷺ، قال وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ[٣] مِنَ السُّرُور: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رسول اللَّه أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّه؟ قَالَ: لا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ رسول اللَّه ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رسول اللَّه إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ[٤] مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِه، فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، فقلتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَر. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ اللَّه تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقاً مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ أَحَداً مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّه تعالى في صِدْقِ الحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّه تعالى، وَاللَّه مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً منذ قلتُ ذَلِكَ لِرسولِ اللَّه ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّه تعالى فيمَا بَقِيَ، قَالَ: فأَنْزَلَ اللَّه تَعَالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩] قَالَ كَعْبٌ: واللَّهِ ما أَنْعَمَ اللَّه عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ للإِسْلام، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رسولَ اللَّه ﷺ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ[٥]، فَأَهْلِكَ كما هلكَ الَّذينَ كَذَبوا، إِنَّ اللَّه تعالى قال لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحي شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ اللَّه تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا

---

(١) «فوجاً فوجاً» أي يتلقاني الناس جماعات جماعات يهنئونني بتوبة اللَّه عليَّ.

(٢) «يهرول» يسرع في مشيه ليُهنِّئني.

(٣) «يبرق وجهه» أي يلمع وجهه من السرور.

(٤) «أن أنخلع» أي أخرج من مالي وأنفقه في سبيل اللَّه.

(٥) «أن لا أكون كذبته» لفظة «لا» زائدة، أي أن أكون كذبته، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي أن تسجد.

﴿انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦]. قالَ كَعْبٌ: «كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أُولئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رسُول اللَّه ﷺ، حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهم، وأَرْجأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّه تَعَالى فيهِ بِذَلِكَ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفْنَا عنِ الغَزْوِ، وإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا[1]، وإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ له واعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ». مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخميسِ، وكانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخميس، وكانَ لا يَقْدَمُ مِن سَفَرٍ إِلَّا نَهَاراً في الضُّحَى، فإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بالمسْجِدِ فصَلَّى فيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ»[2]!.

٢٢ ـ وَعَنْ أَبِي نُجَيْد «عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ» الخُزَاعِيِّ رضِي اللَّه عنهما «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رسول اللَّه ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنى، فقالَتْ: يا رسول اللَّه أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ[3]، فَدعا نَبِيُّ اللَّه ﷺ وَلِيَّهَا فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِني» ففَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّه ﷺ، فشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا[4]، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا

---

(١) «وإنما هو تخليفه إيانا» يريد أنَّ المراد من الآية ﴿وعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ أي تاب اللَّه على الذين أُخِّرت توبتهم، ولا يُراد بها الذين تخلَّفوا عن الغزو.

(٢) في هذا الحديث الشريف، دلالة على أن الجهاد على المسلمين كان فرض عين، لأنهم بايعوا الرسول ﷺ وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما بقينا أبدا

ولهذا اشتدَّ غضب الرسول ﷺ على من تخلَّف. ويؤيد هذا قول اللَّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قال الحسن البصري: «يا سبحان اللَّه، هؤلاء الثلاثة ما أكلوا مالاً حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟» وفي هذا الحديث فوائد كثيرة منها: مشروعية سجود الشكر، والتسابق للتبشير بالخير، وإعطاء المبشِّر أنفسَ ما عنده، وتهنئة الإنسان إذا حدثت له نعمة، والقيام له، والتزام طاعة اللَّه وطاعة رسوله، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن يبدأ بالمسجد قبل دخول المنزل.

(٣) «أصبت حداً فأقمه عليَّ» أي ارتكبت أمراً يوجب الحدَّ.

(٤) «شُدَّت عليها ثيابُها» أي جمعت عليها ثيابها لئلا تنكشف عورتُها.

فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «تُصَلِّي عَلَيْهَا يا رسول اللّه وَقَدْ زَنَتْ؟» قالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للّهِ[1] عَزَّ وَجَلَّ؟!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وأنس بن مالك رضيَ اللّه عنهم، أن رسول اللّه ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ[2]، وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «يَضْحَكُ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ[3] يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللّه فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ عَلَى الْقَاتِلِ، فَيُسْلِم فَيُسْتَشْهَدُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في الصَّبر

١ ـ **قال اللّه تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[4] [آل عمران: ٢٠٠].

٢ ـ **وقال تعالى:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

---

(١) «جادت بنفسها للّه» أي دفعت روحها وقدمتها للّه عزّ وجلّ لتتطهر من ذنبها.. وفي الحديث دلالة على توبة اللّه على أهل الكبائر.

(٢) «لا يملأ فاه إلا التراب» أي لا يشبع ابن آدم حتى يموت ويصبح تحت التراب، ونفسُ الإنسان مثل جهنم كلما ألقي فيها تقول: هل من مزيد؟! والحديث تصوير بديع لجشع الإنسان وحبه الشديد لجمع المال، حتى ولوكان عنده واديان من ذهب.

(٣) «يضحك اللّه إلى رجلين» **قال الخطابي**: الضحكُ الذي يعتري البشر، غير جائز على اللّه تعالى، ومعناه هنا: رضى اللّه تعالى عنهما، وإكرامهما بالجنة مع اختلاف حاليهما، قال: وقد تأوّل البخاري الضحك في موضع آخر على معنى «الرحمة» وهو قريب، وتأويله على معنى الرضى أقرب!! **قال ابن حجر في الفتح**: ممّا يدلُّ على أن المراد بالضحك: الإقبال بالرضى تعديته بـ«إلى» تقول: ضحك فلانٌ إلى فلان، إذا توجّه إليه طَلْق الوجه، مظهراً للرضى عنه، واللفظُ ورد بقوله: «يضحك اللّه إلى رجلين» ولم يقل: من رجلين.

(٤) ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ أي اصبروا على مشاقّ الطاعات، وما يصيبكم من المكاره والشدائد «وصابروا» أي غالبوا أعداء اللّه بالصبر على أهوال القتال وشدائد الحروب «ورابطوا» أي الزموا ثغوركم مرابطين فيها استعداداً للكفاح والغزو.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والآياتُ في الأَمْرِ بالصَّبْرِ(١) وبَيَانِ فَضلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

٢٥ ـ وَعَنْ أَبي مَالِكٍ «الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ» الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّه عنه، قَالَ: قَالَ رسول اللَّه ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ(٢)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ(٣)، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ(٤)، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ(٥)، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو(٦)، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦ ـ وَعَنْ أَبي سَعِيد «سَعْد بْنِ مَالِك» الْخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنهما، أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رسول اللَّه ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَن أَدَّخِرَهُ

---

(١) الصبر معناه: حبسُ النفس على ما تكره، وهو ثلاثة أقسام:
١ ـ الصبر على فعل الطاعات والأوامر.
٢ ـ الصبر على ترك المحرّمات والشهوات.
٣ ـ الصبر على الشدائد والمصائب والبلايا.
وما أجمل ما قاله عمر رضي اللّه عنه: «ما أصابتني مصيبة إلا وجدتُ فيها ثلاث نعم»: **الأول**: أنها لم تكن في ديني. **الثاني**: أنها لم تكن أعظم مما كانت. **الثالث**: أن اللّه تعالى وعد عليها بالأجر والثواب العظيم ﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ..﴾ الآية.

(٢) «الطُّهُورُ شطرُ الإيمان» أي النظافةُ والطهارةُ بالوضوء والاغتسال، والتَّنزُّهُ عن النجاسات، هو نصفُ الإيمان، لأن دين الإسلام دينُ النظافة والطهارة.

(٣) «والصلاةُ نورٌ» أي نور للمؤمنين يوم القيامة، ينير لهم طريق النجاة ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..﴾.

(٤) «والصدقة برهان» أي وإنفاقُ المال في سبيل اللّه، برهانٌ إيمان الإنسان، لأن المال شقيقُ الروح.

(٥) «والقرآن حجة لك أو عليك» أي القرآن إمّا أن يكون سبباً لسعادتك ونجاتك، إن عملت به، أو سبباً لشقائك إن لم تعمل به.

(٦) «كل الناس يغدو» أي كل إنسانٍ يسعى في هذه الحياة، ليعتق نفسه من عذاب اللّه، أو يهلكها إذا باع نفسه للهوى والشيطان.

عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ[١]، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٧ ـ وَعَنْ أَبِي يَحْيَى «صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ» رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ[٣] إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: «لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ[٤]، جَعَلَ يَتَغَشَّاه الكَرْبُ[٥]، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: وَاكَرْبَ أَبَتَاه[٦]!! فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ[٧] بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاه أَجَابَ رَبّاً دَعَاه، يَا أَبَتَاه جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاه، يَا أَبَتَاه إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاه[٨]، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ[٩] أَنْ تَحْثُوا عَلَى رسول الله ﷺ التُّرَابَ؟!» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٩ ـ وَعَنْ «أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ» مَوْلَى رسول الله ﷺ وَحِبِّهِ، وَابْنِ حِبِّهِ، رضي الله عنهما، قال: أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ ابْنِي قَدْ

---

(١) «ومن يستعفف يعفه الله» أي من يمتنع عن سؤال الناس ـ الشحاذة ـ يجعل الله في قلبه العفّة والقناعة، ويُغنه من فضله من حيث لا يحتسب، والقناعة كنز لا يفنى.

(٢) «عطاء خيراً وأوسع من الصبر» أي ليس لمن يطلب القناعة خيراً من الصبر على قضاء الله، وإنما الغِنَى غِنَى النفس!!

(٣) «عجباً لأمر المؤمن» أي ما أعجب أمره!؟ وما أفضل شأنه كلُّ أموره إلى خير وسعادة، في السراء والضراء.

(٤) «لمّا ثقُل النبيّ» أي اشتدّ به المرضُ أي مرضُ الموت.

(٥) «جعل يتغشّاه الكربُ» أي اشتدت عليه سكرات الموت ونزلت به شدائده.

(٦) «واكربَ أبتاه» أي يا شدّة ما يلقاه أبي من هذا المرض!!

(٧) «ليس على أبيك كرب» أي ليس هناك شدةٌ على أبيك بعد هذا اليوم، فالدنيا دار التعب والعناء، والآخرةُ دار الراحة والهناء، ولا راحة للمؤمن إلّا بلقاء الله.

(٨) «إلى جبريل ننعاه» أي نرفع خبره إلى جبريل جبيبُه وصاحب وحيه.

(٩) «أطابت أنفسكم» أي هل طاوعتكم أنفسكم أن تُلقوا التراب على رسول الله ﷺ حين دفنتموه؟ قال ابن حجر: تعاتبهم لما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه، لشدة محبتهم له، وسكت أنسٌ رعايةً لحالها، ولسانُ حاله يقول: لم تطب أنفسنا، ولكننا قهرناها امتثالاً لأمره، ويدل عليه ما جاء عن أنس «وما نفضنا أيدينا من دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا».

احْتُضِرَ[١] فَاشْهَدْنَا!! فَأَرْسَلَ يُقْرِىء السَّلامَ وَيَقُول: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَه مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَه بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا. فَقَامَ وَمَعَه «سَعْد بْن عُبَادَة» وَ«مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» وَ«أُبَيُّ بْن كَعْبٍ» وَ«زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ» وَرِجَالٌ رضي اللَّه عنهم، فَرُفِعَ إِلَى رسول اللَّه ﷺ الصَّبِيُّ، فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ[٢]، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يا رسول اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ».

وفي رواية: «فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَمَعْنَى «تَقَعْقَعُ»: تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ.

٣٠ ـ وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاماً يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ[٣]، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ[٤] قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ!! فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى!! وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ[٥] فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ؛ وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ

---

(١) «إن ابني قد احتُضِر» أي حضرته مقدمات الموت، وظهرت على وجهه.

(٢) «ونفسُه تَقَعْقع» أي روحُ الطفل تضطرب وتتحرك في صدره، من أثر النزع، فأقعده ﷺ في حضنه، وانسكبت الدموع من عينيْه، رحمة عليه.

(٣) «في طريقه راهب» أي رجل عابد صالح على دين عيسى بن مريم عليه السلام.

(٤) «دابة عظيمة» خرجت من البحر تشبه الحوت الكبير.

(٥) «فإن ابتُليتَ» أي إن امتُحنت بسبب إيمانك وشفائك الناسَ.

الأَكْمَهَ[١] وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي!! فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي!! قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟! قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ[٢]، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ، فَجِيءَ بِالْغُلامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ[٣]، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى[٤]، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ[٥] فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: ما فُعِلَ بِأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تعالى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِه فقالَ: اذْهَبُوا به فاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ[٦] وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه.! فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ[٧] فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى

(١) «يبرئ الأكمه» أي يشفي الأعمى الذي خُلق أعمى.

(٢) «ربي وربك اللّه» أي أنت عبدٌ مثلي مخلوق خلقك اللّه ولستَ بإله.

(٣) «حتى وقع شقاه» أي نشره بالمنشار حتى سقط نصفين مبّاً.

(٤) «ارجع عن دينك» أي اترك دينك وارجع إلى عبادة الملك.

(٥) «فإذا بلغتم ذروته» أي إذا وصلتم إلى أعلى قمة الجبل.

(٦) «فاحملوه في قرقور» أي احملوه في سفينة صغيرة وتوسّطوا به البحر، فإن رجع فاتركوه، وإلّا فألقوه.

(٧) «فانكفأت بهم السفينة» أي انقلبت بهم السفينة، فغرق جنود الملك كلهم، وجعل اللّه له طريقاً يابساً في البحر يمشي عليه.

المَلِكِ. فقالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعِلَ بِأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّه تعالى[١]!! فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي، حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ[٢]، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ[٣]، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي[٤]، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني!! فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلامِ»، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[٥]، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلامِ!! فَأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ[٦]، قَدْ آمَنَ النَّاسُ!! فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ[٧] بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأُضْرِمَ فِيهَا النِّيرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا[٨]، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ[٩] أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ: يَا أُمَّاهُ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ»[١٠] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «كفانيهم الله تعالى» أي نجّاني منهم ربي بفضله وحفظه. . يقول ذلك إغاظةً للملك الذي يزعم الربوبية.

(٢) «تجمع الناس في صعيد واحد» أي في أرض واسعة بارزة يلتقي فيها جميع أهل البلدة.

(٣) «وتصلبني على جذع» أي تربطني على عود من أعواد النخيل مرتفع، بحيث يراني الناس.

(٤) «سهماً من كنانتي» أي نبْلاً من السهام التي يُرمى بها، والكنانةُ: بيتُ السهام.

(٥) «وقع السَّهْمُ في صُدغه» أي جاء السهمُ في رأس الغلام ما بين عينه وأذنه، قال في الصحاح: والصُّدْغُ ما بين العينُ والأذن.

(٦) «نزل بك حذرك» أي نزل بك ما كنت تخافه وتخشاه.

(٧) «أمر بالأخدود» أمر بشقّ الطرق شقاً عظيماً وإضرامها ناراً.

(٨) «فأقحموه فيها» أي من لم يرجع عن دينه فألقوه في النار.

(٩) «فتقاعست أن تقع فيها» أي خافت على ولدها من النار، فتوقفت ولزمت موضعها.

(١٠) لقد كان الشاب المؤمن ذكياً، أراد أن يورّط الملكَ، فقدّم نفسه كبش فداء، ليموت هو، ويؤمن الناسُ بربّ العالمين، وكان الملك أحمق مغفلاً فلما رماه بالسهم وقال: «بسم الله رب الغلام» عرف الناس كذب الملك في دعواه الألوهية، فآمنوا بالله الواحد الأحد، وكفروا بالملك، وقد أنطق الله الغلام الطفل الرضيع ـ وهو أحد الثلاثة الذين تكلّموا في المهد ـ ليكون ذلك تثبيتاً لأمه على الإيمان، فألقيت هي وولدها في النار، ولم ترجع عن دينها!! وهذه القصة أشارت إليها الآيات الكريمة في سورة البروج ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ـ

٣١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ[١] فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّه وَاصْبِرِي» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي[٢]، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي! وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ[٣]، فَقالت: لَمْ أَعْرِفْكَ!! فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[٤] مُتَّفَقٌ عليه، وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا».

٣٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي، جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ[٥] مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجنَّة»[٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٣ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّها سَأَلَتْ رسول اللَّه ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ[٧]، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَاباً، يَبْعَثُهُ اللَّهُ تعالى عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تعالى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِراً مُحْتَسِباً، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

= شُهُودٌ...» والقصة نموذج رائع «للفدائية والبطولة» التي يقوم بها في زماننا شباب فلسطين، من تفجير أنفسهم لقتل اليهود اللعناء، ويسميها بعضُ الناس «انتحاراً» وما هي إلا بطولة وفداء!! نصرهم الله وأخزى أعداءهم.

(١) «تبكي عند قبر» أي تبكي على صبيٍّ لها عند قبر، كما في رواية مسلم.

(٢) «إليكَ عنِّي» أي اتركني وشأني فإنك لم تُصب بمصيبتي ـ ولم تعرف أنه الرسول ﷺ ـ وإلا كانت امتثلت الأمر وكفَّت عن البكاء.

(٣) «فأتت باب النبي» أي جاءت لتعتذر للرسول ﷺ لما بَدَر منها، فلم تر على بابه بوّاباً يمنع أحداً، لتواضعه ﷺ.

(٤) «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» أي أجرُ الصبر الكامل، إنما يكون عند أول وقع المصيبة، لأن وقعها على النفس يكون شديداً وعظيماً.

(٥) «إذا قبضتُ صفيَّه» أي حبيبه كالولد، والزوجة.

(٦) «ثم احتسبه» أي صبر على وفاته، طلباً للأجر من الله.

(٧) «الطاعون» أي الوباء الوخيم الفتّاك، قال في لسان العرب: هو الوباء الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأبدان، ويموت به الناس، أقول: وهو مرضٌ معدٍ، فلذلك لا ينبغي أن يدخل الإنسان بلداً انتشر فيه الطاعون، ولا أن يخرج منه لحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» رواه البخاري، وهذا ما يسمى في زماننا بـ«الحَجْر الوقائي» الذي اهتدتْ إليه منظّماتُ الصحة العالمية.

٣٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي اللّٰه عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللّٰه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عبدِي بحَبِيبَتَيْهِ ـ يعني عَيْنَيْه ـ فَصَبَر عَوَّضْتُهُ مِنْهُما الجَنَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٥ ـ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي اللّٰه عنهما: «أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى!! قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النبيَّ ﷺ فقالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ[١]، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ[٢]، فَادْعُ اللّٰه تعالى لِي!! قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللّٰه تعالى أَنْ يُعَافِيَكِ؟» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللّٰهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ!! فَدَعَا لَهَا». مُتَّفَقٌ عليه.

٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحمنِ «عَبْدِ اللّٰه بْنِ مَسْعُودٍ» رَضِي اللّٰه عنه قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسول اللّٰه ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً[٣] مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ[٤]، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٧ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّٰه عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ[٥]، وَلَا وَصَبٍ[٦]، وَلَا هَمٍّ[٧]، وَلَا حَزَنٍ، ولا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٨] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «إني أُصرعُ» أي يصيبني مرضُ الصَّرع، وهو علةٌ معروفة، يقع الإنسان فيها على الأرض مغمى عليه.

(٢) «وأتكشف» أي ينكشف بعضُ بدني، بدون شعوري.

(٣) «يحكي نبياً» أي يقصُّ علينا قصة نبيٍّ كأنه يراه ويبصره.

(٤) «ضربه قومه فأدموه» أي ضربوه ضرباً شديداً حتى خرجت منه الدماء.

(٥) «ما يصيبُ المسلمَ من نَصَب» أي تَعَب وعناء من أثر الجهد والعمل.

(٦) «ولا وَصَب» أي مرضٍ ووجع يصيب الجسدَ.

(٧) «ولا همٌّ» هو كلُّ ما يجلب الضَّرر والكَدَر، كهمّ الإنسان بتعليم أولاده، وتربيتهم، وهمّه بطريق الكسب الحلال، الخ، قال الشاعر:

والهَمُّ يخترمُ الجسيمَ نَحافةً ويُشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويُهرم

(٨) أي محا عنه من ذنوبه، وهذا من فضل اللّٰه ولطفه بعبده المؤمن، لا يصيبه بلاء، ولا تنزل=

٣٨ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبِي ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ[١] فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً قَالَ: أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ!! مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَىً؛ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

وَ «الْوَعْكُ»: مَغْثُ الحُمَّى، وَقِيلَ: الحُمَّى.

٣٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»[٣] رَوَاهُ البخاري.

وَضَبَطُوا «يُصِب»: بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا.

٤٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ[٤] فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرٌ لِي» مُتَّفَقٌ عليه.

٤١ ـ وَعَنْ أَبِي عبدِ اللهِ «خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ» رضي الله عنه قال: «شَكَوْنَا إِلَى رسول الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ[٥] فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا[٦]؟

= به شدة، ولا يعتريه غمٌّ وهمٌّ، أو أيُّ شيء من الأذى، إلا كان كفارة للذنوب، حتى الشوكة تدخل يده أو جسده، لِتَتَخَفَّف عنه الذنوب، فلا يعذب بها في الآخرة.

(١) «وهو يوعك» أي يتقلَّب على الفراش من ألم المرض، والوَعْكُ: ألمُ الحمّى، وقيل: هي الحُمّى نفسُها.

(٢) «كما تحطُّ الشجرةُ ورقها» أي تتساقط ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر.

(٣) «يُصِبْ منه» بفتح الصاد وكسرها، أي يبتليه بماله، أو بدنه، أو أحدٍ من أحبابه، ليعظم له الأجرُ.

(٤) في هذا الحديث نهيٌ عن تمنّي الموت، لأنه يقطع عن المؤمن أجر العبادة والطاعة، إلّا إذا ضاقت عليه الدنيا، وضاقت عليه نفسه، فيقول كما أرشد إليه الرسول ﷺ «اللهمَّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي..» الخ.

(٥) «متوسد بردة له» البُرْدة: العباءة ـ المشلح ـ أي جعلها كوسادة تحت رأسه وهو مضطجع في ظل الكعبة المشرفة يستظلُّ بظلِّها.

(٦) «ألا تَسْتنصر لنا»؟ أي تدعو الله لنا أن ينصرنا على أعدائنا؟ وجاء في بعض الروايات «وقد لقينا من المشركين شدة» رواه البخاري.

أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ[١] وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ[٢]، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً».

٤٢ ـ وعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ[٣] آثَرَ رسول الله ﷺ نَاساً في القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مَائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاساً مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ[٤]. ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ[٥] بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» فَقُلْتُ: لا جَرَمَ[٦] لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثاً» مُتَّفَقٌ عليه.

وَقَوْلُهُ «كَالصَّرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ: وَهُوَ صِبْغٌ أَحْمَرُ.

---

(١) هذا الحديث يدلُّ على مبلغ الشدائد التي حدثت للمسلمين في بدء الدعوة وفيها بشارة من الرسول ﷺ بانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وقد حقَّق الله ذلك للمسلمين.

(٢) «والذئب على غنمه» أي لا يخاف أحداً من الخلق، على دينه وإيمانه، لوجود الأمن والاستقرار، إنما يخاف على غنمه من الذئب.

(٣) «لما كان يوم حنين» أي في غزوة حنين، انتصر المسلمون وغنموا الغنائم الكثيرة، وكانت الإبل التي غنمها المسلمون أربعة وعشرين ألفاً، والغنم أربعين ألف شاة، فقسمها ﷺ بين المؤلفة قلوبهم وبين بعض المهاجرين، وهذا من سياسته الحكيمة ﷺ في تأليف القلوب، ومنع منها الأنصار ثقة منه عليه السلام بقوة إيمانهم، كما أعطى ناساً من أشراف العرب، فطعن في قسمته بعض المنافقين، وهو «معتب بن قُشير».

(٤) «فتغيَّر وجهه كالصَّرف» أي صار كالدم، أو الصِّبغ الأحمر، الذي تُدبغ به الجلود.

(٥) «أو ذي موسى بأكثر من هذا فصبر» ثناء من الرسول ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام، وهذا من تواضعه ﷺ أمام إخوانه المرسلين.

(٦) «لا جَرَم لا أرفع إليه بعدها حديثاً» أي حقاً ولا محالة، لا أخبرُ الرسول ﷺ بعد اليوم، بما يقوله أهل الضلال والنفاق، لئلا يتأثر صوت الله عليه بكلام الفُجَّار.

٤٣ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْراً عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ[١] فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ[٢] بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ[٣]، وَإِنَّ اللَّهَ تعالى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

٤٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: «كَانَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ[٤]، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْم وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ[٥]، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا[٦]، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ[٧]. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رسولَ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ[٨]؟» قَالَ: نَعَمْ، قال: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا؛ فَوَلَدَتْ غُلاماً، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النبي ﷺ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَقَالَ: أَمَعَهُ شَيءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِيِّ الصَّبِيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لِلْبُخَارِيِّ، قال ابْنُ عُيَيْنَةَ: «فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ

---

(١) «عجّل له العقوبة» تعجيلُ العقوبة للمؤمن على الذنوب التي يرتكبها في الدنيا، هذا من رحمة الله به، لأن عذاب الآخرة شديد لا يُطاق.

(٢) «حتى يوافي به» أي حتى يأتي بذنبه حاملاً له على كاهله يوم القيامة، فيُجازى عليه.

(٣) «إنَّ عظم الجزاء مع عِظَم البلاء» أي الثواب الذي يناله الإنسان، على قدر ضخامة المصيبة، كما يقال: «الأجر على قدر المشقة».

(٤) «فَقُبِض الصبيُّ» أي مات الصبيُّ وفارق الحياة.

(٥) «هو أسكنُ ما كان» أي أهدأ نفساً مما كان عليه من قبل، وهذه «نورية» هي نريد أنه ارتاح بالموت، وهو فهم أنه استراح من المرض.

(٦) «ثم أصاب» منها أي جامعها لأنها كانت متزيِّنة له بأجمل زينة.

(٧) «واروا الصبيَّ» أي خذوه فادفنوه.. ما أعجب أمر هذه المرأة المؤمنة؟ في قلبها جمرةٌ من نار تتّقدُ حزناً على ولدها، ولكنها أرادت أن تعلّم زوجها الصبر، ففعلت ذلك لتخفّف عن زوجها الأحزان!!

(٨) «أعرّستم الليلة»؟ كناية عن الجماع، أي هل عاشرتها؟

تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا القُرْآنَ»[١]، «يَعْنِي مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّه المَوْلُود».

وفي روايةٍ لمسلم: «مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْم، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابنِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ!! فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْه عَشَاءَ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ[٢] أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوقَعَ بِهَا[٣]، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْماً أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا، فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابنكَ[٤]. قال: فغضِبَ، ثم قال: تركتِني حتى تَلَطَّخْتُ[٥] ثم أخبَرْتِني بابْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلَتِكُمَا» قَال: فَحَمَلَتْ، قَال: وَكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ في سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقاً[٦]، فَدَنَوْا مِنَ المَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ[٧]، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ[٨]، وَانْطَلَقَ رسولُ اللَّه ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رسول اللَّه ﷺ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْم: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا، وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِما فَوَلَدَتْ غُلاماً، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَغْدُوَ[٩] بِهِ عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رسول اللَّه ﷺ» وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث.

---

(١) «تسعة أولاد قرءوا القرآن» أي حفظوه من أولاد «عبد الله» المولود لطلحة رضي الله عنه، وذلك بدعاء النبي ﷺ: «اللهمّ باركْ لهما في ليلتهما».

(٢) «ثم تصنَّعت له» أي تزيَّنت بأجمل ما عندها من زينة.

(٣) «فوقع بها» أي عاشرها معاشرة الرجل لزوجته أي جامعها.

(٤) «فاحتسِبْ ابنك» أي اطلب الأجر من الله بمصيبتك بوفاة ولدك.

(٥) «حتى تلطَّخْتُ» أي تدنَّستُ نفسي بالجماع.

(٦) «لا يطرقها طُرُوقاً» أي لا يدخلها ليلاً لئلا يزعج أهله.

(٧) «فضربها المخاضُ» أي أخذها ألمُ الوضع للمولود.

(٨) «فاحتبس عليها أبو طلحة» أي اضطُرَّ أن يبقى معها إلى أن تلد، ثم دعا ربه أن يُذهب عنها ما تجد من ألم المخاض حتى يدخل مع الرسول ﷺ المدينة المنوَّرة.

(٩) «حتى تغدو» أي لا أرضعه حتى تذهب به إلى الرسول ﷺ فيباركه.

٤٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنه، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[١]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٦ ـ وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَد رضِيَ اللَّه عنه قال: «كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ[٢]، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[٣] ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» مُتَّفَق عليه.

٤٧ ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضِيَ اللَّه عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً[٤]، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ[٥]، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِن الْحُورِ الْعِينِ[٦] مَا شَاءَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَال: حديثٌ حسنٌ.

٤٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّه عنه: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: لَا تَغْضَبْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٩ ـ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّه تعالى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

٥٠ ـ وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضِيَ اللَّه عنهما قال: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ

---

(١) «ليس الشديدُ بالصُّرَعَة» أي ليس البطلُ الشجاعُ الذي يصرع الناس ويغلبهم بقوّته، قال في الصحاح: «والصُّرَعَة مثل هُمَزَة: الذي يصرع الناس كثيراً..» ولكنّ الشجاع الذي يملك نفسه عن الغضب!!

(٢) «انْتَفَخَتْ أوداجُه» أي انتفخت عروقُ عنقه من شدة الغضب.

(٣) «أعوذ بالله من الشيطان» أي أستجير وأعتصم بالله من شرّ الشيطان «الرجيم» أي المُبْعَد والمطرود من رحمة الله.

(٤) «من كظم غيظاً» أي أخفى ما في نفسه من شدة الغضب.

(٥) «أن يُنفذه» أي وهو قادر على أن ينتقم من خصمه، ولكنْ تركه وصبر عليه طلباً لمرضاة الله.

(٦) «الحور العين» النساء الفاتنات الجميلات، الواسعات العيون، نساءُ أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المكنون﴾.

عَلَى ابْنِ أَخِيهِ «الْحُرّ بْنِ قَيْسٍ»، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ[١] عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ الْقُرَّاءُ[٢] أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عنه، وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيهِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ[٣] وَلا تَحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي اللَّه عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ[٤]، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّه تعالى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ[٥] وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ!! وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا، وَكَانَ وَقَّافاً[٦] عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تعالى». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥١ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ[٧]، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا! قَالُوا: يَا رَسُولَ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٢ ـ وَعَنْ أَبِي يَحْيَى «أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ» رضي اللَّه عنه «أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يا رسولَ اللَّه أَلا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاناً فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٣ ـ وَعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى» رَضِيَ اللَّه عنهما: أَنَّ رسول اللَّه ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ ـ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ ـ انْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ

---

(١) «يدنيهم عمر» أي يقرّبهم منه لكرامتهم عنده.

(٢) «وكان القُرّاء» أي حفظةُ القرآن الكريم أصحاب مكانٍ عند عمر رضي اللَّه عنه.

(٣) «ما تعطينا الجَزْلَ» أي ما تعطينا من المال الشيء الكثير.

(٤) «همّ أن يوقع به» أي عزم عمر على معاقبته ـ الانتقام منه.

(٥) ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ هذه الآية أمرٌ له عليه السلام بمكارم الأخلاق، أي خذ بالسهل اليسير في معاملة الناس ومعاشرتهم، وفي الحديث «إن اللَّه يأمرك أن تعفو عمن ظَلَمك، وتُعطي من حرمك، وتَصِلَ من قَطَعك» رواه ابن جرير. قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق منها.

(٦) «وكان عمر وقّافاً عند كتاب اللَّه» أي لا يجاوز حدود القرآن.

(٧) «ستكون بعدي أثرة» أي استئثار، وهو من ينفرد بالشيء لنفسه عمّن له فيه حقٌّ، والمرادُ: استئثار الحكام بأموال بيت المال، وفي الحديث: الحثُّ على الطاعة، وإن كان السلطانُ ظالماً جائراً، فالمسلم يعطي حقَّه من الطاعة، ولا يخرج عليه، بل يتضرّع إلى اللَّه، أن يدفع شرّه عن المسلمين.

الشَّمْسُ[١] قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّه العَافِيَةَ[٢]، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»[٣] ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه وباللَّه التَّوْفِيقُ.

❁❁❁

بَابُ في الصِّدْق

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤] [التوبة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٥٤ ـ فَالأَوَّلُ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ[٥]، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ[٦]، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٥ ـ الثَّانِي: عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ «الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ» بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رضي اللَّهُ عَنهما، قال: حَفِظْتُ مِنْ رسول اللَّه ﷺ «دَعْ مَا يَرِيبُكَ[٧] إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ،

---

(١) «إذا مالت الشمس» أي مالت عن وسط السماء نحو المغرب، عند الظهيرة.

(٢) «واسألوا اللَّه العافية» أي السلامة من البلايا والمكروهات.

(٣) «الجنة تحت ظلال السيوف» هذا من الكلام النفيس البليغ، الذي جمع فنون البلاغة، بحيث يعجز عنه الفصحاء والبلغاء، فقد حثَّ على الجهاد، وأمر بالاستعداد، ودعا إلى الاقتراب من العدو، وأن يشهروا السيوف في وجوه الأعداء، حتى كأنها لكثرتها تظلّل المقاتلين بها، وهناك تكون الجنة للمجاهدين في سبيل اللَّه.

(٤) ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي كونوا مع المؤمنين، أهل الصدق واليقين.

(٥) «يهدي إلى البرّ» أي يرشد ويوصل إلى طريق الإيمان والسعادة.

(٦) «يهدي إلى الفجور» أي يوصل إلى القبيح من الأقوال والأعمال.

(٧) «دع ما يريبك» أي اترك ما يوقعك في الريبة وهو «الشكّ» أي ما تشكُّ في حِلّه، إلى ما لا تشكُّ فيه.

فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ[١]، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ»[٢] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ صحيحٌ.
قَوْلُهُ: «يَرِيبُكَ» هُوَ بِفتحِ الياءِ وَضمِّها؛ وَمَعْنَاهُ: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِي حِلِّه، واعْدِلْ إِلَى مَا لا تَشُكُّ فِيهِ.

٥٦ ـ **الثَّالِثُ**: عَنْ أَبِي سُفْيَانَ «صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ» رضي اللَّه عنه، في حديثه الطَّويلِ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ[٣]: قَالَ هِرَقْلُ: «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ـ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ ـ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٧ ـ **الرَّابِعُ**: عَنْ أَبِي ثَابِتٍ «سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ» وَهُوَ بَدْرِيٌّ، رضي اللَّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّه تعالى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلى فِراشِهِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٨ ـ **الخَامِسُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ[٥]، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ[٦] بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتاً

(١) «الصدق طمأنينة» أي راحة للنفس، ونجاة من عذاب اللَّه.
(٢) «والكذب ريبة» أي طريق للنفاق والوقوع في البلاء.
(٣) «في قصة هرقل» ملك الروم فقد أرسل له ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فقال هرقل: هل هنا أحد من قوم هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم، وكان أبو سفيان في تجارة له في بلاد الشام ـ قبل إسلامه ـ قال: فدُعيتُ في نفر من قريش، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ، فإن كذبني فكذِّبوه، قال أبو سفيان: فواللَّه لولا مخافة أن يؤثر عليَّ الكذبُ، لكذبتُ على الرسول، قال هرقل: فماذا يأمركم..؟ الحديث وانظر القصة كاملة في فتح الباري ١/ ٣١.
(٤) «من سأل الشهادة بصدق» أي طلب من ربه أن يُنيله الشهادة في سبيل اللَّه، وكان صادقاً في نيَّته، أعطاه اللَّه الشهادة، ولو مات على فراشه، فنيَّةُ المرء مثل عمله.
(٥) «مَلَكَ بُضْع امرأة» أي ملك فرجها بالنكاح الشرعي.
(٦) «وهو يريد أن يبني بها» أي عازم على الزفاف بها، والغرضُ منه أن يتفرَّغ قلبُه للجهاد، ويُقبل عليه برغبة ونشاط، لأن الإنسان إذا لم يكن دخل بزوجته، يبقى متعلِّق النفس بها، ومثله من حضر عنده الطعامُ ويريد الصلاة، يبدأ بالطعام.

لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ[١] وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا!! فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ[٢] صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ ـ يَعْنِي النَّارَ ـ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً[٣]، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ. فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» مُتَّفَقٌ عليه.

«الْخَلِفَاتُ» بفتح الخاءِ المعجمةِ وكسرِ اللام: جَمْعُ خَلِفَةٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الحامِلُ.

٥٩ ـ السادِسُ: عن أَبي خالِدٍ «حكيم بن حزام» رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ[٤] ما لم يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعهمَا، وإن كَذَبا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيْعِهِمَا»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بَابٌ في المراقبة

قال اللَّه تعالى: ﴿الَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[٦] [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩].

---

(١) «اشترى خَلِفَات» أي إبلاً حوامل، جمع خَلِفَة ككَلِمة وكلمات، وينتظر ولادتها يبقى مشغول الفكر بها.

(٢) «فدنا من القرية» أي دنا واقترب من البلدة التي يريد غزوها، وهذا النبي هو «يوشع بن نون» كما حكاه الحافظُ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى.

(٣) «فيكم غلول» أي خيانة، والغلول: أن يأخذ الإنسانُ من الغنيمة قبل قسمتها، قال تعالى: ﴿ومَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

(٤) «البيِّعان بالخيار» أي البائع والمشتري كلٌ منها مخيَّرٌ بالفسخ، أو إمضاء العقد، ما لم يتفرّقا بأجسامهما.

(٥) «مُحقت بركةُ بيعهما» أي إن أخفيا العيبَ، وكذبا في أمر البيع، لم يُبارك لهما في الربح.

(٦) ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي يراك وحدك، ويراك حين تصلي بالجماعة مع المصلّين، في ركوعك، وسجودك، وقيامك.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

والآياتُ في البَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأحاديثُ:

٦٠ ـ فَالأَوَّلُ: عَنْ عُمَرَ بن الخطاب رضي اللَّه عنه، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ[١]، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ[٢]، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ[٣]! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ[٤]، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا[٥]. قَالَ: أَنْ

---

(١) «لا يُرى عليه أثرُ السفر» أي لا تظهر عليه علامات أنه غريب مسافر.

(٢) «ووضع كفّيه على فخذيه» وضع الأعرابي كفيه على فخذي نفسه، وجلس على هيئة المتعلّم، المتأدّب في سؤاله.

(٣) «يسأله ويصدّقه» تعجّبوا من سؤاله للرسول ﷺ، وتصديقه له، وهذا على خلاف عادة السائل، فإنه لا يقول مثل هذا الكلام، إنما هو كلام ممتحن للرسول ﷺ، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم أمر السائل غير النبي ﷺ.

(٤) «كأنك تراه» اشتمل هذا على جميع العبادات، الظاهرة والباطنة، من الصدق، والإخلاص، والمراقبة التامة، وهي أن يراقب اللَّهَ تعالى في جميع أفعاله وأحواله.

(٥) «أخبرني عن أماراتها» أي علامات مجيء الساعة أي القيامة.

تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا[١]، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ[٢]، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَى: «تَلِدُ الأَمَةُ رَبَّتَها» أَيْ: سَيِّدَتَهَا. وَمعناهُ: أَنْ تَكْثُرَ السَّرَارِي حَتَّى تَلِدَ الأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِنْتاً لِسَيِّدِهَا، وَبِنْتُ السَّيِّدِ فِي مَعْنَى السَّيِّدِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَ «الْعَالَةُ» الْفُقَرَاءُ. وقولُهُ: «مَلِيّاً» أَيْ: زَمَناً طويلاً.

٦١ ـ **الثَّاني**: عَنْ أَبِي ذَرٍّ «جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ» وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ «مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ» رضي اللَّه عنهما، عَنْ رسول اللَّه ﷺ قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ[٣]، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا[٤]، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٦٢ ـ **الثَّالثُ**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما، قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْماً فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ[٥]: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ[٦]، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ[٧]، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،

---

(١) «تلد الأمةُ ربتها» أي تلد الأمةُ المملوكةُ سيِّدتها، وهذه كناية عن سيادة الأراذل للأفاضل، بحيث يكون سيد القوم أرذلهم، كما في حديث أخرجه الترمذي (وأن يكون سيِّدُ القوم أرذَلَهم).

(٢) «رعاء الشاء» أي رعاة الغنم يتطاولون في البنيان أي يبنون المباني الشاهقة «ناطحات السحاب» كما نراه في زماننا هذا، لا سيما ما نشهده في الخليج العربي، من ارتفاع المباني الشاهقة، وكأن الرسول ﷺ يعيش في زماننا، ويحدِّث عما يرى!!.

(٣) «اتق اللَّه حيثما كنتَ» أي راقب اللَّه في جميع أحوالك وأعمالك، سواءً كنت خالياً أو مع الناس، في بلدك أو غريباً عن وطنك، في الليل أوفي النهار، وفي البرِّ أو الجهار.

(٤) «وأتبعِ السيئةَ الحسنة» أي إذا فعلت ذنباً أو معصية، فألحقْها بطاعةٍ، وعمل خير، أو بصدقة لتمحو ذلك الذنب ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

(٥) «إني أعلمك كلمات» أي أنصحك ببعض نصائح تنتفع بها.

(٦) «احفظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» أي احفظ أوامر اللَّه في نفسك، وأهلك، وسائر أمورك، ينجُك اللَّهُ من البلايا وكثير من المخاطر.

(٧) «تجده تُجاهك» أي أمامك ومعك بالحفظ والتأييد، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وإنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي روايةِ غيرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً».

٦٣ ـ **الرَّابِعُ**: عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ[2]، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وقال: «المُوبِقَاتُ» المُهْلِكَاتُ.

٦٤ ـ **الْخَامِسُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه، عَنِ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّه تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّه[3] تعالى، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَ «الْغَيْرَةُ»: بفتحِ الغينِ، وَأَصْلُهَا الأَنَفَةُ.

٦٥ ـ **السَّادِسُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ[4] فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ!! فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً!! قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، (شَكَّ الرَّاوِي) فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّه لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الذي قَذِرني النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْراً حَسَناً. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

---

(١) «رفعت الأقلام وجفت الصحف» كناية عن أن الأمور قد فُرغ منها بالقضاء والقدر، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها.

(٢) «هي أدقُّ من الشعر» أي هي صغيرة وحقيرة في نظركم، وكنا نحن أصحابَ النبي ﷺ نعدُّها من الكبائر المهلكة للإنسان.

(٣) «غَيْرةُ اللَّه» الغَيْرةُ: الحميَّةُ والأنفةُ كما في لسان العرب، والمرادُ أن اللَّه يأنف لعبده، ولا يرضى له، أن ينتهك محارمه، وهي الأمور التي حرَّمها على العباد.

(٤) «أراد اللَّهُ أن يبتليهم» أي يختبرهم ببعض النِّعَم.

قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ!! فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ[1] فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي[2]. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللَّهُ! فقالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ[3]، فقالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِي دَعْوَاكَ، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ!! وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ!! وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ[4] الْيَوْمَ، بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.! فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» مُتَّفَقٌ عليه[5].

«وَالنَّاقَةُ الْعُشَرَاءُ» بِضَمِّ العينِ وَفَتْحِ الشِّينِ هِيَ الحامِلُ، وقولُهُ: «لا أَجْهَدُكَ» معناهُ: لا أشقُّ عليكَ في رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي.

---

(١) «انقطعت بي الحبال» أي انقطعت بي أسباب الرزق.

(٢) «أتبلّغ به في سفري» أي يحفظني في سفري من الانقطاع.

(٣) «ورثته كابراً عن كابر» أي ورثتُ هذا المال عن آبائي وأجدادي.

(٤) «ما أجهدك» أي لا أشقُّ عليك في ردِّ شيء تطلبه من مالي.

(٥) هذه القصة فيها عظةٌ وعبرة، فقد أنعم الله على كلٍّ من «الأبرص، والأقرع، والأعمى» بما يشتهيه ويتمناه، وأعطي من المال ما يحبُّ، فلمَّا أنعم عليهم بما يحبُّونه، جحدوا نعمة الله، وأنكروا فضل الله عليهم، ما عدا الأعمى، فإنه شكَرَ النعمة فأبقاها عليه، وسلبها من الأبرص، والأقرع.

٦٦ ـ **السَّابِعُ**: عَنْ أَبِي يَعْلَى «شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ» رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ[١]، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا[٢]، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[٣] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى «دَانَ نَفْسَه»: حَاسَبَهَا.

٦٧ ـ **الثَّامِنُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[٤] حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

٦٨ ـ **التَّاسِعُ**: عَنْ عُمَرَ رضي اللَّه عنه، عَنِ النَّبِي ﷺ قال: «لا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ»[٥] رَوَاهُ أبو داود وغيره.

❁❁❁

بابٌ في التقوى

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٦] [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وهذِهِ الآية مبيِّنة للمراد من الأولى، ومفسِّرة لها.

---

(١) «الكَيِّسُ من دان نفسه» أي الرجلُ العاقلُ من حاسب نفسه قبل أن تُحاسب، وقدَّم عملاً صالحاً لآخرته.

(٢) «من أتبع نفسه هواها» والأحمقُ الجاهلُ المغفَّلُ من أعطى نفسه كلَّ ما تشتهيه من أنواع الشهوات المحرَّمة.

(٣) «وتمنَّى على اللَّه الأماني» أي تمنَّى المغفرة، والرحمة، والجنة وهيهات أن يحصل له ما يريد. قال الحسن البصري: ليس الإيمانُ بالتمنِّي، ولكنْ ما وَقَرَ في القلب، وصدَّقه العملُ، إن قوماً خرجوا من الدنيا، وليس لهم عملٌ صالح، وقالوا: نُحسنُ الظنَّ باللَّه، وكذبوا، لو أحسنوا الظنَّ باللَّه لأحسنوا العمل.

(٤) «تركُه ما لا يعنيه» أي ما لا يهمُّه ولا مصلحة له به.

(٥) «فيم ضربَ امرأته» أي لا يُسأل ما هو السبب والدافع إلى ضرب امرأته؟ فقد يكون لممانعتها له من الفراش، وقد يكون لتفريطها في الصلاة، أو لأسباب زوجية لا يجوز البوح بها، أو لأنها تتحدث بليونة مع الأجانب، أو غير ذلك، وفي هذا حفاظٌ على كرامة الأسرة.

(٦) ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أي تقوى صادقة حقيقية منبعثة من القلب، **قال ابن مسعود**: «أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر».

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (١) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢) [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

والآياتُ في البَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٦٩ ـ فَالأَوَّلُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: «قِيلَ: يا رسولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ (٣)؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ». فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: يُوسُفُ نبيُّ اللَّهِ، ابنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابنُ نبيِّ اللَّه، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ!؟، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي (٤)؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا» (٥) مُتَّفَقٌ عليه، أَيْ: عَلِمُوا أَحْكَامَ الشَّرْعِ.

٧٠ ـ الثَّانِي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ (٦)، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا (٧)، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ (٨)، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧١ ـ الثَّالِثُ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

---

(١) ﴿مَخْرَجًا﴾ أي من شدائد وكرب الدنيا والآخرة.

(٢) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي من جهةٍ لا تخطر بباله.

(٣) «من أكرمُ الناسِ»؟ أي من أرفعُهم منزلةً وأفضلُهم عند الله؟

(٤) «معادن العرب» أي خيارُ العرب الذين كانوا ساده وأفاضل في الجاهلية.

(٥) «إذَا فَقُهُوا» إذا علموا أحكام الشريعة الغراء، وتمسّكوا بها، فهؤلاء أفضل الناس.

(٦) «حلوة خضرة» أي الدنيا كالفاكهة الخضراء الحلوة المحبوبة لكل نفس.

(٧) «فاتقوا الدنيا» أي احذروا فتنة الدنيا وشهواتها.

(٨) «واتقوا النساء» أي احذروا الافتتان بالنساء خاصة، فإن أعظم البلاء الذي أصاب بني إسرائيل بسبب النساء، وفي الحديث «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء» رواه البخاري.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٢ ـ **الرَّابِعُ**: عَنْ أَبِي طَرِيفٍ «عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ» رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ، ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٣ ـ **الخَامِسُ**: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ «صُدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ الْبَاهِلِي» رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، في آخر كتاب الصَّلاةِ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

❁❁❁

بابٌ في اليَقِين وَالتوكل

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ[2] قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ[3] وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق: ٣] أَيْ: كَافِيهِ.

وَقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) «فليأت التقوى» ليكفِّر عن يمينه، ويفعل ما هو أتقى وأحب عند الله.

(٢) ﴿الأَحْزَابَ﴾ جموع المشركين الذين تحزَّبوا لحرب المسلمين يوم غزوة الخندق.

(٣) ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي رجعوا بنعمة السلامة مع الأجر العظيم.

والآيات في فضل التوكل كثيرة معروفة.

وأما الأحاديث:

٧٤ ـ فالأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَه الرُّهَيْط[١]، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُل وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ[٢]، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُه، ولَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هٰذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ[٣] فِي أُولئِكَ الَّذِين يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِين وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّه شيئاً ـ وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ـ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رسول اللَّه ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ[٤]، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ!! فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، فقال: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» متفقٌ عليه.

«عُكَّاشَةُ» بِضَمِّ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ وَبِتَخْفِيفِهَا، وَالتَّشْدِيدُ أَفْصَحُ.

٧٥ ـ الثاني: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضِي اللَّه عنهما أيضاً، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ[٥]، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ[٦]،

---

(١) «ومعه الرُّهَيْطُ» أي معه الجماعةُ القليلة من الناس، والرُّهَيطُ: تصغير رَهْطٍ، وهي الجماعة دون العشرة.

(٢) «سواد عظيم» أي خلائق كثيرون لا يُحصون عدداً.

(٣) «فخاضَ الناسُ» أي تكلَّموا وتناظروا فيمن عناهمُ رسول الله ﷺ.

(٤) «لا يَرْقون ولا يتطيرون» أي لا يطلبون الرُّقية ولا يتشاءمون، كما كان يفعل أهل الجاهلية من التشاؤم بالطير ونحوه.

(٥) «لك أسلمتُ» أي استسلمتُ لحكمك وأمرك.

(٦) «وإليك أنبتُ» أي رجعتُ بالتوبة والإنابة إليك، وأعرضتُ عمن سواك.

وَبِكَ خَاصَمْتُ[١]، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ[٢]، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٦ ـ **الثَّالِثُ**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما أيضاً قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»[٣] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له أيضاً قال: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

٧٧ ـ **الرَّابِعُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قِيلَ: مَعْنَاهُ مُتَوَكِّلُونَ، وَقِيلَ: قُلُوبُهُمْ رَقِيقَةٌ.

٧٨ ـ **الخَامِسُ**: عَنْ جَابِرٍ رضي اللَّه عنه «أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ[٥]، فَلَمَّا قَفَلَ[٦] رسول اللَّه ﷺ قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ[٧] فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ[٨]، فَنَزَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رسولُ اللَّه ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ[٩]، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَه، ونِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رسولُ اللَّه ﷺ

---

(١) «وبك خاصمتُ» أي بك أقاتلُ وأدافع أعدائي وأحاجُّهم.

(٢) «أنت الحيُّ» أي أنت الباقي الذي لا يموتُ، والخلائق كلُّهم يموتون.

(٣) «حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيلُ» أي كافينا اللَّهُ تعالى أن يكون سنداً وعوناً لنا، ونعم العونُ ربُّ العزة والجلال! هذه الجملة قالها إبراهيم عليه السلام، حين أُلقي في النار، فنجّاه اللَّه منها، وقالها محمد عليه السلام، حين قال المرجفون لأصحاب النبي ﷺ: إن قريشاً قد جمعوا لكم جموعاً ضخمة، فخافوا على أنفسكم، فقال النبي ﷺ لأصحابه: حسبنا اللَّه ونعم الوكيلُ.

(٤) «مثلُ أفئدةِ الطير» أي في الرِّقة والضعف، يخافون اللَّهَ ويعملون الصالحات، كما قال ﷺ عن أهل اليمن «أهلُ اليمن أرقُّ قلوباً، وأضعفُ أفئدة» والطيرُ أكثرُ الحيوان خوفاً وفَزَعاً.

(٥) «غزا قِبَلَ نَجْد» أي غزا قوماً جهة بلاد نجد.

(٦) «فلمَّا قَفَلَ» أي رجع من غزوته.

(٧) «فأدركتهم القائلة» أي النوم وقت الظهيرة للراحة.

(٨) «كثير العِضَاه» أي الشجر الذي له شوك، وهو أكثرُ شجر الوادي.

(٩) «تحت سَمُرة» شجرة طلح كبيرة.

يَدْعُونا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي[١] وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً[٢]، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ ـ ثَلاثاً ـ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ[٣] وَجَلَسَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: قَالَ جابرٌ: «كُنَّا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ[٤]، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ، تَرَكْنَاهَا لرسول اللَّه ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَسَيْفُ رسول اللَّه ﷺ مُعَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لا» فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ»! قال: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسول اللَّه ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَقَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه؟» قال: لا، وَلٰكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ».

٧٩ ـ السَّادِسُ: عَنْ عُمَرَ رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ[٥]، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً»[٦] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٨٠ ـ السَّابِعُ: عَن أبي عُمَارَةَ «البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ» رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يا فُلانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ[٧] فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ[٨]، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ[٩]،

---

(١) «اخترط سيفي» أي سلّه في يده ليقتلني.

(٢) «صلتاً» أي هو مسلولٌ في يده.

(٣) «ولم يعاقبه» أي عفا عنه ولم يعاقبه على جريمته، وحينئذٍ قال الأعرابي للرسول ﷺ: كن خير آخذٍ.

(٤) «بذات الرِّقاع» أي غزوة ذات الرقاع، لأن أقدامهم نُقِبَتْ فكانوا يلفُّونها بالخِرَق من طول المسافة.

(٥) «حقَّ توكّله» أي توكُّلاً صادقاً عن إيمان ويقين.

(٦) «تغدو خماصاً» أي تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار ممتلئة البطون من الشِّبَع.

(٧) «أويتَ إلى فراشك» أي اضطجعتَ تريد النوم.

(٨) «أسلمتُ نفسي إليك» أي جعلتها منقادة لك، طائعة لحكمك.

(٩) «وألجأتُ ظهري إليك» أي اعتمدتُ عليك في جميع أموري.

رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ[1]، لَا مَلْجأ ولَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ[2]، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصَّحيحين عنه قال: قال لِي رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ وَقُلْ: . . .»: وَذَكَرَ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»[3].

٨١ ـ **الثَّامِنُ**: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رضِي اللَّه عنه ـ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عثمان بن عامِرِ ابن عُمَرَ بْن كَعْب بْن سَعْدِ بْن تَيْم بْن مُرَّةَ بْن كَعْبِ بْن لُؤَيِّ بْن غَالِبٍ القُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ رضِي اللَّه عنه ـ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ صَحَابَةٌ، رضِي اللَّه عنهم ـ قال: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنا فقلتُ: يا رسول اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَر تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا!! فَقَالَ ﷺ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللَّه ثَالِثُهُمَا»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

٨٢ ـ **التَّاسِعُ**: عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ «أُمِّ سَلَمَةَ» رضي اللَّه عنها، أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ، أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ[5]، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ[6]، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[7] حديثٌ صَحيحٌ رَوَاهُ أبو داود، والتِّرْمذيُّ.

قالَ التِّرْمذي: حَديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وهذا لفظ أبي داود.

٨٣ ـ **الْعَاشِرُ**: عَنْ أَنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قَالَ ـ

---

(١) «رغبةً ورهبة إليكَ» أي طمعاً في ثوابك، وخوفاً من عقابك.

(٢) «متَّ على الفطرة» أي متَّ على التوحيد والإيمان.

(٣) «واجعلهنَّ آخر ما تقول» أي اختمْ أقوالك بهذا الدعاء.

(٤) «باثنين اللَّهُ ثالثهما» أي ثالثُهما بالنصر، والحفظ، والمعونة، هل يصيبهما أذى أو مكروهٌ؟ يشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. . .﴾.

(٥) «أَضِلَّ أو أُضَلَّ» أي أضلُّ عن طريق الهدى، أو يُضلُّني غيري عن الإيمان، وطريق الرحمن!؟

(٦) «أوأَزِلَّ أو أُزَلَّ» أي أن أنحرف عن الطريق المستقيم، أو يحرفني غيري، فأشقى!!

(٧) «أو أَجْهَل أو يُجْهل عليَّ» أي أن أكون سفيهاً جاهلاً أعتدي على الخَلْق، أو يسفَهَ أحدٌ عليَّ من الخلق.

يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ـ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. يُقَالُ لَهُ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ[1]، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ» رَوَاهُ أَبو داوُدَ، والتِّرمِذِيُّ، والنَّسائيُّ وغَيْرُهُمْ وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ، زَادَ أَبُو داوُدَ: فيقول «يَعْنِي الشَّيْطَانَ» لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ.

٨٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النبيَّ ﷺ، وَالآخَرُ يَحترِفُ[2]، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ للنبي ﷺ فقال: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»[3] رَوَاهُ التِّرمِذي بإسنادٍ صحيح على شرطِ مسلمٍ. «يَحْتَرِفُ»: يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ.

❁❁❁

بَابٌ فِي الاستِقامة

قال اللَّه تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟[4] تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ[5] أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[6] [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[الأحقاف: ١٣ ـ ١٤].

---

(١) «هُديتَ ووُقيت، وكُفيت» أي حُفظت من شرّ كلّ عدوّ.

(٢) «والآخر يحترف» أي يعمل ويكتسب المالَ من حرفته.

(٣) «لعلك تُرزق به» أي لعلَّ الرزق يأتيك بسببه، وهذا كما قال ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم»؟

(٤) ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي لزموا المنهج القويم من طاعة اللَّه، وطلب رضوانه، وثبتوا على ذلك، تلا عمر الآية على المنبر، ثم قال: «استقاموا واللَّهِ على الطريقة، طلباً لرضى الرحمن، ولم يراوغوا رَوَغَانَ الثعالب».

(٥) ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي عند الاحتضار، لتبشّرهم بالأمن والسلامة.

(٦) ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي ضيافةً وكرامة من ربٍّ غفّار رحيم.

٨٥ ـ عَنْ أَبِي عَمْرَةَ «سُفْيَانَ بْنِ عبدِ اللَّه» رضي اللَّه عنه قال: «قُلْتُ: يَا رسول اللَّهِ، قُلْ لِي في الإِسْلَامِ قَوْلاً، لا أَسْأَل عَنْه أَحَداً غَيْرَكَ[1]. قال: قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدوا، وَاعْلَمُوا أَنَّه لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قال: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّه بِرَحْمَةٍ[3] مِنْه وَفَضْلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَ «المُقَارَبَةُ»: القَصْدُ الَّذِي لا غُلُوَّ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ. وَ «السَّدَادُ»: الاسْتِقَامَةُ وَالإِصَابَةُ، ولُزوم طَاعَةِ اللَّه تَعَالَى، وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ.

❁❁❁

بَابٌ في التفكر في مخلوقات الله وفناء الدنيا وأهوال الآخرة، وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[4] [سبأ: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) «لا أسأل عنه أحداً غيرَكَ» أي قولاً جامعاً لا أحتاج إلى سؤال أحدٍ غيرك.

(٢) «قل آمنتُ باللَّهِ ثم استقم» قال القاضي عياض: هذا من جوامع كَلِمِه ﷺ أي حقِّق الإيمان في قلبك، ثم استقم على توحيد اللَّه وطاعته، وامتثال أوامره، في سيرتك، وأقوالك، وأفعالك.

(٣) «إلا أن يتغمدني اللَّهُ» إلا إذا تغشاني اللَّه برحمته وفضله، ولم يحاسبني الحساب الدقيق! قال العلماء: الجنة يدخلها المؤمنون بفضل اللَّه، وأمّا الدرجاتُ في الجنة فتكون بالأعمال الصالحة.

(٤) ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ معنى الآية الكريمة: إنما أوصيكم وأنصحكم بخصلة واحدة وهي: أن تنحروا الحقَّ لوجه اللَّه، متفرّقين، اثنين اثنين، وواحداً واحداً، لأن الاجتماع يشوّش الفكر، لتتيقنوا أن محمداً ﷺ ليس به جنون.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1] [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ[2] ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾ [محمد: ١٠] الآية.

والآيات في الباب كثيرةٌ.

وَمِنَ الأَحَادِيث الحَدِيث السَّابق رقم (٦٦): «الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَه».

❁❁❁

بابٌ في المبادرةَ إلى الخَيرات
وحث من توجَّه لخير على الإقبال عليه
بالجد من غير تردّد

قال اللَّه تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[3] [البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وَأَمَّا الأَحَادِيث:

٨٧ ـ **فَالأَوَّل:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال:

---

(١) حين نزلت هذه الآيات العشر من آخر سورة آل عمران، قال النبي ﷺ: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها» انظر القصة في تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٨.

(٢) ﴿وإلى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي كيف بُسطت ومُهِّدت، حتى صارت شاسعة واسعةً، للبناء والزراعة مع كرويَّتها، والنظر هنا: نظر تفكُّر واعتبار، ولهذا ختمها بقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾.

(٣) ﴿فاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا وسارعوا إلى فعل الخيرات، وعمل الصالحات.. والتعبيرُ بالمسابقة كأن المؤمنين في ميدان سباق، يتنافسون من يكون منهم أسبق؟ وينبغي أن نعلم أنَّ أمور الآخرة يأتي الأمرُ بالمسارعة والمسابقة، وفي أمور الدنيا يأتي الأمرُ بالسير، دون التعجل ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فتنبَّهْ للفارق بينهما والله يرعاك.!

«بَادِرُوا بالأعْمَالِ[١]، فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجلُ مُؤْمِناً[٢] وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كافِراً، يَبِيعُ دِينَه بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٨ ـ الثَّاني: عَنْ أَبِي سَرْوَعَةَ «عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ» رضي اللَّه عنه قال: «صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِه، قالَ: ذَكَرْتُ شَيْئاً مِنْ تِبْرٍ[٣] عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِه» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وفي رواية له: «كُنْتُ خَلَّفْتُ في البَيْتِ تِبْراً مِنَ الصَّدَقَةِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَبِيْتَه». «التِّبْرُ» قطع ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

٨٩ ـ الثَّالث: عَنْ جَابِرٍ رضي اللَّه عنه قال: «قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: في الجَنَّةِ، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ في يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٩٠ ـ الرَّابع: عن أبي هُرَيرةَ رضي اللَّه عنه قال: جَاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «يا رسول اللَّه، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْراً؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ، شَحِيحٌ، تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ[٥]. قُلْتَ: لِفُلانٍ كَذَا، ولِفُلانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «بادروا بالأعمال» أي سارعوا إلى فعل الأعمال الصالحة، قبل تعذُّرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن المتكاثرة.

(٢) «يصبح الرجل مؤمناً» أي يكون الرجل في الصباح مؤمناً، وفي المساء كافراً، ينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال، ما بين عشيّةٍ وضحاها، وسبب هذا الانقلاب هو ضعف الإيمان، بحيث يبيع الرجل دينه، بشيء تافهٍ حقير من متاع الدنيا.

(٣) «شيئاً من تِبْرٍ» أي شيئاً من الذهب فأراد الرسول ﷺ أن يقسمه بين المسلمين، خشية أن يبيت عنده.

(٤) «فألقى تمرات» هذا الرجل اسمه «عُمَيْر بن الحمَام» كان بيده تمرات يأكلهنّ، وسمع داعيَ الجهاد ينادي، فقال: لئن أنا عِشتُ حتى آكل هذه التمرات، إنها لحياة طويلة، فألقى التمراتِ من يده، ثم دخل المعركة فقاتل حتى قُتل، وفي الحديث بيان حبِّ الصحابة للشهادة في سبيل اللَّه، ونصرة دينه، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

(٥) «بلغت الحلقوم» أي بلغت الروح أن تفارق الجسد، والحلقومُ: مجرى النَّفس، والمريءُ: مجرى الطعام والشراب. والغرضُ من الحديث: أن يتصدَّق الإنسان في شبابه ووقت صحته، ولا يمهل حتى إذا شعر بدنوِّ أجله، سارع إلى الصدقة والإحسان.

٩١ ـ **الخامس**: عن أنس رضي اللّه عنه «أنَّ رسول اللّه ﷺ أَخَذَ سَيْفاً يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُول: أَنَا أَنَا!! قَال: فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّه؟ فَأَحْجَمَ القَوْمُ[١]، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ[٢] رضي اللّه عنه: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٢ ـ **السادس**: عن «الزُّبَيْرِ بْنِ عديٍّ» قال: «أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي اللّه عنه، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ[٣]، فَقَالَ: اصْبِروا فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَلَيكم زَمَانٌ، إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَه شَرٌّ منه، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ،[٤] سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٣ ـ **السابع**: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه ﷺ قال: «بادِروا بالأعْمَالِ سَبْعاً[٥]، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنًى مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً[٦] أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ[٧] فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَر، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ!» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٩٤ ـ **الثامن**: عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَن رسولَ اللّه ﷺ قال يومَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه، يَفْتَح اللّه عَلَى يَدَيْهِ!!» قَالَ عُمَر

---

(١) «فأحجم القومُ» أي توقّفوا عن طلب السيف.

(٢) «أبو دُجانة»: اسمُه «سِمَاك بن خَرَشَة» من الشجعان الأبطال، أخذ السيف من النبي ﷺ بحقّه، وهو قتال أعداء اللّه، فشقّ به رؤوس المشركين.

(٣) «ما نلقى من الحجّاج» الحجّاجُ هو الأمير الظالم المشهور ببطشه «الحجّاج بن يوسف الثقفي».

(٤) «تلقَوا ربّكم» أي حتى تموتوا، وأما الشرُّ الذي أشار إليه الحديث فهو كما قال ابن مسعود: بقلة العلم وموت العلماء، فإذا ذهب العلماء فشا الجهلُ، وكثر الشرُّ، وهلك الناسُ، ويؤيده ما رواه البخاري «إن من أشراط الساعة أن يقلّ العلمُ، ويثبتَ الجهلُ، ويكثر الهرج أي القتل».

(٥) «بادروا بالأعمال سبعاً» أي قبل أن تشغلكم أحوال سبعة، وهي: الفقر، والغنى، والمرض... الخ.

(٦) «هرماً مفنداً» الفَنَدُ: الخَرَفُ والتخليطُ في الكلام.

(٧) «أو الدجّال» أي خروج المسيح الدجّال، الذي هو أعظم فتنةٍ للبشر، لأنه يزعم الألوهية ومعه بعضُ الخوارق، ولهذا قال ﷺ: «فشرُّ غائبٍ يُنتظر».

رضي الله عنه: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعَا رسول الله ﷺ «عليَّ بن أبي طالب» رضي الله عنه، فأَعْطَاه إِيَّاهَا، وَقَالَ: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِت حَتَّى يَفْتَحَ الله عَلَيْكَ» فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رسول الله، على ماذا أُقاتل النَّاس؟ قالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رسول الله، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «فَتَسَاوَرْتُ» أي وَثَبْتُ مُتَطَلِّعاً.

❁❁❁

بابٌ في المجاهدة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[2] [الحجر: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]. أَيِ انْقَطِعْ إِلَيْه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

والآيات في الباب كثيرةٌ معلومة.

وأما الأحاديث:

٩٥ ـ فالأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللهَ تعالى قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ[3]، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى

(١) ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي جاهدوا النفس والهوى والشيطان، طلباً لمرضاتنا، لنهدينَّهم الطريق الموصلَ إلينا.

(٢) ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي اعبد ربك حتى يأتيك الموتُ الذي لا نجاة لأحدٍ منه.

(٣) «آذنته بالحرب» أي أعلنتُ الحرب عليه علناً. والوليُّ: كلُّ مؤمنٍ متّقٍ لله، قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَهُ[١] الَّذِي يَسْمَعُ به، وَبَصَرهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. وإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ.

٩٦ ـ **الثاني**: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قال: «إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٧ ـ **الثالث**: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ[٣] فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٨ ـ **الرابع**: عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ[٤]، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ[٥] وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً؟» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري.

٩٩ ـ **الخامس**: عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»[٦]

---

(١) «فإذا أحببته كنتُ سمعه» أي لا يسمع العبدُ ولا يبصر، ولا يمشي إلا إلى ما يرضي اللَّهَ عزَّ وجلَّ، ولا يصح حملُه على الظاهر، لأنه محال أن يحلَّ اللَّه في العبد، فيصبح اللَّه سمعه وبصره، ويده ورجله، وإنما هو محمول على سرعة طاعة العبد لربه.

(٢) «ولئن أتاني يمشي أتيته هرولة» هذا من باب التمثيل للتقريب إلى ذهن الإنسان، أي من أتى شيئاً من الطاعات، قابلته بأضعاف ذلك من الثواب والإكرام، **قال ابن حجر**: والهرولةُ كناية عن سرعة الرحمة إليه، ورضا اللَّه عن العبد، وتضعيف الأجر له، وقربُ اللَّه من العبد قربٌ روحاني لا بدني.

(٣) «نعمتان مغبون» الغَبْنُ: الشراءُ بأضعاف الثمن، كمن يشتري ما قيمتُه مائة بخمسمائة، فيقال: إنه غُبن في الشراء، أو بيع ما قيمته عشرة آلاف بألف مثلاً، فيقال: غُبن في البيع، والمراد في الحديث أن نعمة الصحة والفراغ لا يعرف الإنسان قدرهما فهو مغبون بهما.

(٤) «تتفطر قدماه» تتشقق من طول القيام في الصلاة.

(٥) «غفر ما تقدم من ذنبك» ليس للنبي ﷺ ذنوب مثل ذنوبنا، لأنه لا يفعل الذنب متعمداً، وإنما يجتهد في بعض الأمور، فيكون غيرها أصلح، ثم إن الأنبياء مهما بلغوا من الطاعة والعبادة، فهم لم يؤدُّوا مقام الربوبية حقه، فمن هذا الوجه يأتي الغفران للذنوب.

(٦) «وشدَّ المئزر» شدُّ المئزر كنايةٌ عن اعتزال النساء، والجدّ والاجتهاد في الطاعة والعبادة.

مُتَّفَقٌ عليه. والمراد: العَشْرُ الأَوَاخِرُ من شهر رمضانَ.

١٠٠ ـ **السادس**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ وَفي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠١ ـ **السابع**: عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ[١]، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «حُفَّتْ» بَدَلَ «حُجِبَتْ» وَهُوَ بِمَعْنَاهُ.

١٠٢ ـ **الثامن**: عن أبي عبد الله «حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ» رضي الله عنهما، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ[٢]، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ المائَةِ، ثُمَّ مَضَى؛ فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً[٣]، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ» ثُمَّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٣ ـ **التاسع**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَأَطَالَ القِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ[٤]!! قيل: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «حُجبتْ النارُ بالشهوات» أي أُحيطت وحفّت بما تشتهيه النفسُ.

(٢) «فافتتح البقرة» أي صلّى في الركعة الأولى بسورة البقرة.

(٣) «يقرأ مترسّلاً» أي بتؤدةٍ وتأنٍ بتبيين الحروف مع الترتيل للآيات ﴿وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

(٤) «هممتُ بأمرِ سَوْء» أي عزمتُ أن أقطع الصلاة وأجلس من طول الصلاة.. وهذه الصلاة كانت بالليل تطوعاً، فلذلك قرأ ﷺ البقرة والنساء في ركعة واحدة، ولا ينبغي للإمام أن يطيل الصلاة في الفرائض، لئلا يثقل على المصلّين، وفي الحديث الصحيح: «من أمّ فليخفّف».

١٠٤ ـ **العاشر**: عن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٥ ـ **الحادي عشر**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[(١)]، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٦ ـ **الثاني عشر**: عن أبي فِراسٍ «رَبِيعَةَ بنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ» خَادِمِ رسول الله ﷺ، وَمِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رسول الله ﷺ فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ، وَحَاجَتِهِ فَقَالَ: «سَلْنِي» فَقُلْت: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ!! فَقَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْت: هُوَ ذَاكَ.![(٢)] قال: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[(٣)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٧ ـ **الثالث عشر**: عن أبي عبد الله، «ثَوْبَانَ» مَوْلَى رسول الله ﷺ قال: سَمِعْت رسول الله ﷺ يقول: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨ ـ **الرابع عشر**: عن أبي صَفْوَانَ «عبد الله بن بُسْرٍ الأَسْلَمِيِّ»، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ: مَنْ طَالَ عُمُرُه، وَحَسُنَ عَمَلُه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٠٩ ـ **الخامس عشر**: عن أنس رضي الله عنه، قال: «غَابَ عَمِّي «أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ» رضي الله عنه، عن قِتَالِ بَدْرٍ، فقال: يا رسول الله غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ فيه الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ، لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ[(٤)]؟. فَلَمَّا كَانَ

---

(١) «أقربُ من شِراك نعله» الشِّراكُ: هو السَّيْرُ أي الحبلُ الذي يربط به النعلُ، وهذا تشبيه بأن الجنة والنار، كلٌّ منهما قريبٌ من الإنسان، مثل قرب الشِّراك، فليختبرْ لنفسه ما يقرّبه من الجنة، أو النار.

(٢) «هو ذَاكَ» أي هذا مطلوبي، لا أريد غيره، أن أكون رفيقاً لك في الجنة.

(٣) «أعنّي بكثرة السجود» أي أكثر من الصلاة النافلة، وإطالة السجود فيها، فإن أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد.

(٤) «لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أصنعُ» أي سيرى الله ما أفعل بالمشركين، يريد أنه سيُبْلي فيهم ما يقرُّ به عين الرسول ﷺ.

يَوْمُ أُحُدٍ، انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ[١]، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلَاءِ (يَعْنِي أَصْحَابَه) وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلَاءِ (يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ) ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، فَقَالَ: يَا سَعْدُ. الْجَنَّةُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[٢]، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ! قال أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ[٣]!! قَالَ أنس: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٠ ـ **السادس عشر**: عن أبي مسعود «عُقْبَةَ بنِ عمرٍو الأَنصاريّ البدريّ» رضي اللَّه عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا[٤]. فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَاءٍ[٥]، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ[٦]، فقالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هذَا! فَنَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ[٧] مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية. مُتَّفَقٌ عليه.

١١١ ـ **السابعَ عشر**: عن أبي ذَرٍّ «جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ»، رضي اللَّه عنه، عن

---

(١) «انكشف المسلمون» أي هُزموا أمام أعدائهم، بعد أن كان النصر حليفهم، وذلك لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ.

(٢) «الجنةُ وربِّ الكعبة» أي هذه الجنة بدتْ لي، أقسمْ لك بربِّ الكعبة، وأنا الآن مشتاق لها أجد ريحها.

(٣) «ببَنانه» أي ما عرفته إلا أخته من رءوس أصابعه، لأن المشركين مثَّلوا به تمثيلاً شنيعاً، فلم يعرفه أحد إلا أخته، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ الآية.

(٤) «كنَّا نُحامِلُ على ظُهورنا» أي يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة ويتصدَّق بها.

(٥) «فقالوا: مُرَاءٍ» أي قال المنافقون: إنه مُرَاءٍ يعمله يحبُّ الشهرة، لكثرة ما جاء به.

(٦) «فتصدَّق بصاع» أي تصدَّق بصاعٍ من تمر. وهو ما يقارب أربعة أمداد أي (٣) ثلاثة كيلو غرامات، فعابه المنافقون وقالوا: اللَّهُ لا يحتاج إلى صاع هذا!!

(٧) ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي يعيبونهم، إن تصدَّقوا بالكثير، قالوا: إنهم مراءون، وبالقليل رموهم بالبخل، وسخروا من صدقتهم، وفيهم نزلت الآية: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩].

النَّبيِّ ﷺ فيما يَرْوِي عَنِ اللَّه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْم عَلَى نَفْسِي[١] وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظَّالموا[٢]، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَال إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ[٣]، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ[٤]، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ[٥]، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البحر، يَا عِبَادِي إِنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». قال سعيدٌ: «كان أبو إدريس الخَوْلَانِيُّ إذا حدَّثَ بهذا الحديثِ جَثَا على رُكبتيه». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

❁❁❁

(١) «حرَّمتُ الظلمَ على نفسي» أي الظلمُ محرَّمٌ على الله، وعلى الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

(٢) «فلا تَظَّالَموا» أي لا يظلم أحدٌ أحداً، فإن الظلم ظُلُماتٌ يوم القيامة، وعاقبتُه وخيمة، قال الشاعر:

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنتَ مُقتَدِراً ... فالظلمُ آخِرَةُ يدعو إلى النَّدَمِ
تَنَامُ عينَاكَ والمظلومُ مُنتَبِهٌ ... يدعُو عليكَ وعَينُ اللهِ لم تَنَمِ

(٣) «فاستهدوني أهدكم» أي اطلبوا الهداية مني أهدكم.

(٤) «استكسوني أكسكم» أي اطلبوا الكسوة مما يستركم أعطيكم إياها، والسينُ والتاءُ للطلب.

(٥) «قاموا في صعيد واحد» أي اجتمعوا في أرضٍ ومكانٍ واحدٍ، وطلب كل واحدٍ ما يشتهيه.

بابٌ في الحثّ على الازدياد من الخير في أواخرِ العُمر

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم[1] مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال ابن عباس: مَعْنَاهُ: أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟ وَيُؤَيِّدُهُ الحديثُ الذي سنذكرُهُ إن شاء الله تعالى.. **وقيل**: أربعين سَنَةً. ونقِلَ عن ابن عباس أيضاً. ونَقَلوا: أَنَّ أَهْلَ المدِينَةِ، كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، تَفَرَّغَ للعِبَادَةِ. **وقيل**: هو البُلُوغُ، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ **قال ابن عباس**: هو «النبيُّ» ﷺ. وقيل: «الشَّيْب». قاله عِكْرِمَة، وابن عُيَيْنَةَ، وغيرهما. والله أعلم.

وأمّا الأحاديثُ:

١١٢ ـ فالأوّل: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أَعْذَرَ اللَّه إِلَى امْرِىء أَجَّلَه حتى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. **قال العلماء**: معناه: لَمْ يَتْرُكْ لَه عُذْراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يُقال: أَعْذَرَ الرَّجُل: إِذَا بَلَغَ الغَايَةَ فِي العُذْرِ.

١١٣ ـ الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كانَ عمر رضي الله عنه يُدْخِلُني مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ[2]، فَقال: لِمَ يَدْخُلُ هذا معنا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُه؟ فقال عمر: إِنَّه مَنْ حَيْث عَلِمْتُمْ! فَدَعانِي ذاتَ يَوْم فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ، فما رَأَيْت أَنَّه دعاني يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَال: مَا تَقولون في قولِ اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. فقال بعضهم: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِره إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا!! وَسَكَتَ بَعضُهُمْ فلم يَقُلْ شَيْئاً. فقال لي: أَكَذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هُو أَجَلُ رسولِ اللَّه ﷺ، أَعْلَمَه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وذلك علامة أَجَلِك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فقال عمر

---

(١) ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ أي أو لم نترككم مدة طويلة، ونُمهلكم في الدنيا عمراً طويلاً، يتمكّن فيه من أراد التذكُّر، وجاءكم محمد ﷺ خاتم الأنبياء، فماذا صنعتم في هذه المدة؟

(٢) «وَجَدَ في نفسه» أي تأثروا من فعل عمر، بإدخال غلام مع مشيخة قريش، وشعر عمر بذلك، فأحبَّ أن يُظهر لهم علم ابن عباس وفضله، فسألهم عن معنى سورة النصر.

رضي اللّه عنه: ما أعلَم منها إلّا ما تَقُول»[1] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١١٤ ـ **الثالث**: عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «ما صَلّى رسول اللّه ﷺ صلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلّا يقول فيها: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لي، يَتَأَوَّلُ القرآنَ» مُتَّفَق عليه.

«يَتَأَوَّل القُرْآنَ» أَيْ: يَعْمَل مَا أُمِرَ بِهِ فِي القُرْآن، في قولِهِ تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾.

وفي رواية لمسلم: «كان رسول اللّه ﷺ يُكْثِر أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». قالت عائشة: قلت: يا رسول اللّه ما هذِهِ الكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولها؟ قال: «جُعِلَتْ لي علامةٌ في أُمَّتِي، إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلى آخر السورة».

وفي رواية له: «كان رسول اللّه ﷺ يُكْثِر مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِر اللّهَ وَأَتُوب إِلَيْه»، قالت: قلت: يا رسولَ اللّه! أَرَاكَ تُكْثِر مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فقال: «أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً في أُمَّتي، فَإِذَا رَأَيْتُها أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾» [النصر: ٢ ـ ٣].

١١٥ ـ **الرابع**: عن أنس رضي اللّه عنه قال: «إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الوَحْيَ[2] عَلَى رسول اللّه ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ، حَتَّى تُوُفِّيَ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٦ ـ **الخامس**: عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «ما أعلم إلا ما تقول» أي لا أفهم سوى هذا المعنى الذي قلتَه، وهي أن السورة علامةٌ على قرب وفاة الرسول ﷺ، وهي نعيٌ له ﷺ، ولما نزلت هذه السورة، خطب ﷺ في أصحابه فقال: «إِنَّ اللّهَ خيَّر عبداً بين الدنيا، وبين ما عندَه، فاختار ما عند اللّه.! فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول اللّه!!. قال الراوي: فعجبنا لأبي بكر يقول ذلك، فكان المُخَيَّرَ رسولُ اللّه ﷺ، وكان أبو بكر أعلَمنا».

(٢) «تَابَعَ الوحيَ» أي كثُر نزولُه قبل وفاته ﷺ.

(٣) «يُبعث على ما مات عليه» أي يُبعث يوم القيامة على الحالة التي مات عليها في الدنيا، =

بابٌ في بَيان كثرةِ طرق الخير

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الجاثية: ١٥].

والآيات في الباب كثيرةٌ.

وأمّا الأحاديث فكثيرة جداً، وهي غير منحصرة، فنذكر طرفاً منها:

١١٧ ـ **الأوّل**: عن أبي ذرٍّ «جُنْدُبِ بن جُنَادَةَ» رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله، أيُّ الأعْمَالِ أفضلُ؟ قال: «الإيمانُ باللهِ، وَالجِهَادُ في سَبِيلِهِ». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفضلُ؟ قال: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أهْلِهَا[1]، وَأكْثَرُهَا ثَمَناً». قُلْتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قال: «تُعِينُ صَانِعاً[2] أوْ تَصْنَعُ لأخْرَقَ[3]» قُلْتُ: يا رَسول الله أرَأيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قال: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فإنها صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٨ ـ **الثاني**: عن أبي ذرٍّ أيضاً رضي اللهُ عنه، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى[4] مِنْ أحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىءُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٩ ـ **الثالثُ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أعْمَالِهَا الأذَى يُمَاطُ عَنِ

= كشهادةٍ عليه، إن مات في الحج بُعِث ملبياً، وإن مات في السُّكْر أو في الزنى، بُعِث على ما فارق الدنيا عليه.

(١) «أنفَسُها عند أهلها» أي أجودُها وأغلاها ثمناً عند أصحابها.

(٢) «تُعينُ صانعاً» أي تساعد عاملاً على عمله، ورُوي بالضاد (ضائعاً) أي تعين ضائعاً في الطريق، أو فقيراً ذا عيال، لا يجد ما يُنفق عليهم.

(٣) «أو تصنع لأخرق» الأخرقُ: الذي لا يُتقن ما يحاولُ فعله، لضعف تفكيره، وقلة فهمه.

(٤) «كل سُلَامَى» بضم السين وفتح الميم أي مفصل في الإنسان.

الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةُ[1] تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٠ ـ **الرابع**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّ ناساً قالوا: يا رسُول اللَّه، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[2] بالأُجُورِ؟ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ؟ قَالَ: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدقة، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدقةً، وكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدقةٌ، وَفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صدقةٌ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فيها أَجْرٌ؟! قال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيها وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الدُّثُورُ: الأموالُ، واحِدُها: دَثْرٌ، وهو الثراءُ والمال.

١٢١ ـ **الخامس**: عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٢ ـ **السادس**: عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيه الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدقةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ أيضاً من رواية عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: قال رَسُول اللَّه ﷺ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، عَلَى سِتِّينَ وثلاثمائةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، واستَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْماً عن طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نهى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلاثمائةِ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ».

---

(١) «النُّخاعة» أي البلغم الذي يخرج من الحلق، ومثله البُصاقُ.

(٢) «أهل الدثور» أي أهلُ الغنى والثراء.

١٢٣ ـ **السابع**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ ،عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ[١]، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً[٢] كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٤ ـ **الثامن**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرسِنَ شَاةٍ»[٣] مُتَّفَق عليه.

١٢٥ ـ **التاسع**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ، عن النبي ﷺ قال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ[٤]، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى[٥] عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٦ ـ **العاشر**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْراً، فَنَزَلَ فيها فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ[٦] يَأْكُلُ الثَّرَى[٧] مِنَ العَطَشِ، فقال الرجُل: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ، مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي!! فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّه مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَه بِفِيهِ، حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه، قَالُوا: يا رسول اللَّه إِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[٨] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية للبخاري: «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ له، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ».

وفي روايةٍ لَهُمَا: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُه العَطَشُ، إِذْ رَأَتْه بَغِيٌّ[٩] مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[١٠] فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

١٢٧ ـ **الحادي عشر**: عَنْهُ رَضيَ اللَّهُ عنهُ، عن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ

---

(١) «غدا إلى المسجد أو راح» أي ذهب إلى المسجد، أو عاد منه ورجع.

(٢) «أعدّ الله له نُزُلاً» أي ضيافةً وكرامةً، والنُّزُلُ: هو أولُ ما يُقدَّم للضَّيف من الكرامة، قال تعالى: ﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾، فاللَّهُ يكرمه في الذهاب والإياب.

(٣) «فِرْسِنَ شاةٍ» الفِرْسِنُ من البعيرِ: كالحافر من الدابة، وربما استُعير في الشاة، أو ولو كُراع شاة.

(٤) «بضع وسبعون» البِضْعُ: بالكسر من ثلاثة إلى تسعة.

(٥) «إماطة الأذى» أي إزالة كل ما يؤذي عن طريق المسلمين.

(٦) «كلب يلهث» أي اندلع لسانه من شدة العطش.

(٧) «يأكل الثرى» أي يلحسُ التراب من شدة عطشه.

(٨) «كبدٍ رطبةٍ أجر» أي في كل شيء حياةً، من إنسانٍ أو حيوانٍ، أجر وثواب.

(٩) «بغيٌّ» زانية تحترف الفجور والدعارة.

(١٠) «موقها» أي حذاءها وخُفَّها.

رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لأُنَحِّيَنَّ[1] هذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ».

وفي رواية لَهُمَا: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

١٢٨ ـ **الثَّانِي عَشَرَ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ: رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٩ ـ **الثَّالِثَ عَشَرَ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ، أَوِ المُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ، مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٠ ـ **الرَّابِعَ عَشَرَ**: عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ[4] إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣١ ـ **الخَامِسَ عَشَرَ**: عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!! قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[5] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لأُنَحِّيَنَّ» لأُبعدنَّ وأزيلنَّ عن طريق المسلمين هذا الغصن المؤذي.

(٢) «فقد لغا» من اللغو، وهو فعلُ ما ليس بممدوح، وهذا غاية في التحذير من العبث.

(٣) «نقياً من الذنوب» أي صافياً خالصاً من ذنوبه الصغائر، أما الكبائر فلا بدَّ لها من توبة.

(٤) «مكفِّرات لما بينهنَّ» أي الصلاة والصوم، وصلاة الجمعة، يمحو اللَّه بها الذنوب، بشرط اجتناب الكبائر من المحرَّمات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

(٥) «فذلكم الرباط» أي هذا هو الرباطُ الحقيقي في سبيل اللَّه، والرِّباط: ملازمة الثَّغر لحفظ عورات المسلمين، والدفاع عن الأوطان.

١٣٢ ـ **السَّادسَ عَشَرَ**: عن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

«البَرْدَانِ»: الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ.

١٣٣ ـ **السَّابعَ عَشَرَ**: عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٤ ـ **الثَّامنَ عَشَرَ**: عَنْ جَابِرٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ[1] صَدَقَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ورَوَاهُ مُسْلِمٌ مِن رواية حُذَيْفَة رضي اللَّه عنه.

١٣٥ ـ **التَّاسعَ عَشَرَ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَه صَدَقَةً، وَلا يَرْزَؤُهُ[2] أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية له: «فَلا يَغْرِس المُسْلِم غَرْساً، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا طَيْرٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

وفي رواية له: «لَا يَغْرِس مُسْلِم غَرْساً، وَلَا يَزْرَع زَرْعاً، فَيَأْكُلَ مِنْه إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَه صَدَقَةً».

١٣٦ ـ **العشْرُونَ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: «أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسولَ اللَّه ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رسول اللهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذلكَ!! فَقَالَ: بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ: «أَنَّ كُلَّ خَطْوَةٍ دَرَجَة» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أيضاً بِمَعْنَاهُ مِنْ رواية أَنس رضي اللَّه عنه. وَ «بَنُو سَلِمَةَ» بكسر اللام: قبيلة معروفة من الأنصار رضي اللَّه عنهم، و «آثَارُهُمْ» خُطَاهُمْ.

١٣٧ ـ **الْحَادِي وَالعشْرُونَ**: عَنْ أَبِي الْمُنْذِر «أُبَيِّ بن كَعب» رضي اللَّه عنه

---

(١) «كلُّ معروف» أي كلُّ ما يفعله المؤمن من أعمال البرّ والخير، وكل ما فيه طاعةٌ للّه.

(٢) «ولا يَرْزَؤه» أي ولا يصيبُه وينقصه من زرعه.

(٣) «ديَاركم تكتب آثاركم» أي الزموا دياركم، تكتب لكم خُطاكم إلى المسجد، فلكم بكل خطوة درجة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ جاء في التفسير أنها الخُطى إلى المسجد.

قال: «كَانَ رَجُلٌ لا أَعْلَمُ رَجُلاً أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ، فَقِيلَ لَهُ، أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: لَو اشْتَرَيْتَ حِمَاراً تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ[1]؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي!! فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وفي رواية: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»[2].

١٣٨ ـ **الثَّاني وَالعشْرُونَ**: عَنْ أَبِي محمدٍ «عَبدِ اللَّهِ بنِ عمرو بن العاص» رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاهَا مَنِيحَةُ العَنْزِ[3]، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَل بِخَصْلَةٍ مِنْهَا، رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٩ ـ **الثَّالثُ وَالعشْرُونَ**: عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رضِي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لهما عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُر أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُر أَشْأَمَ[4] مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُر بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[5]، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

١٤٠ ـ **الرَّابع وَالعشْرُونَ**: عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١ ـ **الْخَامسُ وَالعشْرُونَ**: عن أبي موسى رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَل بِيَدَيْهِ فَيَنْفَع

---

(١) «الرمضاء» وقت شدة الحرّ في الظهيرة.

(٢) «ما احتسبتَ» أي ما فعلته طلباً لرضوان اللَّه راجياً ثوابه.

(٣) «منيحة العنز» المنيحةُ: أن يعطيه لبَن الشاة أو الماعز ليشربه، ثم يردُّها إلى أصحابها.

(٤) «ينظر أيمنَ وأشأم» أي ينظر عن يمينه، وعن شماله.

(٥) «ولو بشقّ تمرة» أي اجتنبوا النار ولو بالتصدق بنصف تمرة، وهذا مثلٌ للتصدق ولو بالقليل من المال.

وَيَتَصَدَّق، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ[١]، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ: يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في الاقتصاد في الطاعَة

قال الله تعالى: ﴿طه[٢] ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

١٤٢ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قال: مَنْ هذِهِ؟ قالت: هذِهِ فُلَانَة تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا[٣]!! قَالَ: مهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ[٤]، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا. وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ، مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَمَعْنَى «لَا يَمَلُّ اللَّهُ» أي: لا يَقْطَعُ ثَوَابَهُ عَنْكُمْ وَجَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ، وَيُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ الْمَلِّ، حَتَّى تَمَلُّوا فَتَتْرُكُوا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيْهِ، لِيَدُومَ ثَوَابُهُ لَكُمْ وَفَضْلُه عَلَيْكُمْ.

١٤٣ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «جَاءَ ثَلَاثَة رَهْطٍ[٥] إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا[٦] وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ!! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا

(١) «ذا الحاجة الملهوف» أي يعين الضعيف الواقع في الضّيق.

(٢) ﴿طه﴾ قال الشوكاني: هي بمعنى يا رجل يريد به النبيّ ﷺ، وقيل معناها: يا حبيبي، وقيل: إنها اسم للنبي ﷺ، وقد كان ﷺ يتحمل مشقة الصلاة حتى تورّمت قدماه، فقال له ربه: ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتتعب به، بل أنزلناه هداية ورحمة، وتذكرة وموعظةً للخلق، انظر فتح القدير للشوكاني.

(٣) «تذكر من صلاتها» أي تتحدث لي عن كثرة صلاتها وعبادتها.

(٤) «مه عليكم ما تطيقون» «مَهْ» كلمةُ نهيٍ وزجر، أي لتكفّ عن فعل ما يُضعفها، وما لا تقوى عليه، وعليكم من الأعمال ما تستطيعونه، وما لا يشقُّ عليكم.

(٥) «ثلاثة رهط» أي ثلاثة رجال، وأصلُ الرَّهط: الجماعة، وقد يُطلق على الواحد كما هنا.

(٦) «كأنهم تقالُّوها» أي رأوها قليلة، لا يكفي أن يقتصر عليها الإنسانُ.

فأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَداً، وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِر، وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّج أَبَداً، فَجَاءَ رسول اللَّه ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ[1]، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي[2] فَلَيْسَ مِنِّي! » مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٤ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ[3] قَالَهَا ثَلَاثاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٥ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إِلَّا غَلَبَه[4]، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ، وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له: « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا »[5].

قَوْلُه: « الدِّينَ » هُو مَرْفُوع عَلَى مَا لَم يُسَمَّ فاعِله. ورُوِيَ منْصُوباً «لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ»، وقوله ﷺ: «إِلَّا غَلَبَهُ» أي غلبه الدِّينُ وعَجَزَ ذلك المُشَادُّ عن مقاومة الدِّين لِكثْرَة طُرُقه.

والغَدْوَةُ: سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَالرَّوْحَةُ: آخِرُ النَّهَارِ. وَالدُّلْجَةُ: آخِرُ اللَّيْلِ. وَهذَا اسْتِعَارَةٌ وَتَمْثِيلٌ، وَمَعْنَاهُ: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عز وجلَّ بالأَعْمَال، فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ، وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيْثُ تَسْتَلِذُّونَ الْعِبَادَةَ وَلَا تَسْأَمُونَ، وَتَبْلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ الْحَاذِقَ يَسِيرُ فِي هذِهِ الأَوْقَاتِ، وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا، فَيَصِلُ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ، وَاللَّهُ أَعْلَم.

١٤٦ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: « دَخَلَ النبيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ

---

(١) «لأخشاكم وأتقاكم لله» أي أنا أشدُّكم خوفاً من اللَّه، وأشدُّكم تقوى له، لفرط معرفتي بعظمته وجلاله.

(٢) «فمن رغب عن سُنَّتي» أي زهد في سنتي وأعرض عنها، فليس من المسلمين الكُمَّل، يُقال: (رغب فيه) إذا أحبَّه، ورغب عنه: إذا كرهه.

(٣) «هلك المتنطِّعون» أي المتعمِّقون المتشدِّدون في غير موضعه.

(٤) «إلَّا غلبه» أي لن يُشدِّد أحد على نفسه، إلَّا غلبه الدينُ بيسره.

(٥) «القَصْدَ القَصْدَ تبلُغوا» أي الزموا التوسط تبلغوا مقصودكم.

بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هٰذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هٰذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذا فَتَرَتْ[١] تَعَلَّقَتْ بِهِ!! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حُلُّوهُ[٢]، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٧ ـ وعن عائِشَةَ رضي اللّٰه عنها، أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكم إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٨ ـ وعن أبي عبد اللّٰه «جابر بن سَمُرَةَ السُّوائي» رضي اللّٰه عنهما قال: «كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْداً، وخُطْبَتُهُ قَصْداً»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٩ ـ وعن أَبِي جُحَيْفَةَ «وَهْبِ بْنِ عبد اللّٰه» رضي اللّٰه عنه قال: «آخَى[٤] النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ «سَلْمَانَ الفارِسِيِّ» و«أَبِي الدَّرْدَاءِ»، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً[٥]، فَقَالَ: مَا شأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا!! فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَاماً، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بآكل حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُوم، فقالَ لَه: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم، فقالَ لَه: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ من آخر اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً[٦]، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه!! فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلكَ لَه، فَقال النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٥٠ ـ وعن أبي محمدٍ «عبدِ اللّٰهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ» رضي اللّٰه عنهما قال: «أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنِّي أَقُول: وَاللّٰهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقَالَ رَسُول اللّٰه ﷺ: أَنْتَ الَّذِي تَقُول ذلكَ؟ فَقُلْت لَه: قَدْ قُلْتُه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رسول اللّٰه!! قَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيع ذلكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ!! قُلْت: إِنِّي أُطِيق أَفْضَلَ مِنْ

---

(١) «فإذا فَتَرتْ» أي إذا ضعفت همتُها وكسلت عن الصلاة تعلّقت به.

(٢) «حُلُّوه» أي فكُّوا هذا الحبل، وإذا نَعَس أحدُكم فلْيَنَمْ.

(٣) «صلاته وخطبته قَصْداً» أي كانت صلاة النبي ﷺ وخطبتُه وسطاً بين الطول والقِصَر.

(٤) «آخى النبيُّ» أي جعلهما أخوين في الدِّين. وذلك عندما هاجر أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، آخى بين المهاجرين والأنصار، وهذه الأخوّة أقوى من أخوّة النسب.

(٥) «متبذّلة» أي تلبس ثياب المهنة، ولا تلبس ما يليق بالزوجات.

(٦) «ولأهلك عليك حق» أي لزوجتك عليك حقُّ حسن المعاشرة.

ذلكَ[١]! قَالَ: فَصمْ يَوْماً، وَأَفطر يَوْمَيْنِ، قُلْت: فَإِنِّي أُطِيق أَفضَلَ منْ ذلكَ، قَالَ: «فَصمْ يَوْماً وَأَفطرْ يَوْماً، فَذلكَ صِيَام دَاودَ ﷺ، وَهُوَ أَعْدَل الصِّيَام».

وفي رواية: «هوَ أَفْضَلُ الصِّيَام» فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ منْ ذلكَ، فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: «لَا أَفْضَلَ منْ ذلِكَ» وَلأَنْ أَكُونَ قَبلْتُ الثَّلَاثَةَ الأَيَّامِ الَّتِي قال رسول اللَّه ﷺ أَحَبُّ إِليَّ منْ أَهْلي وَمَالِي.

وَفِي روايةٍ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْل؟ قلت: بَلَى يَا رَسول اللَّهِ، قَال: فَلا تَفْعَل: صُمْ وَأَفطرْ، وَنَمْ وَقُمْ فإِنَّ لجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لزَوْجكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لزَوْرِكَ[٢] عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ[٣] أَنْ تَصُومَ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيام، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ، فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رسول اللَّه إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ!! قلت: وَمَا كَانَ صِيَامُ دَاودَ؟ قال: نِصْفُ الدَّهْرِ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَمَا كَبِر: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رسول اللَّهِ ﷺ».

وفي روايةٍ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّك تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللَّهِ، وَلَمْ أُرِدْ بذلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ!! قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ، فَإِنَّه كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأْه في كُلِّ عِشْرِينَ» قُلْت: يَا نبيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَل مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأْهُ في كُلِّ عَشْرٍ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَاقْرَأْه فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ» قَالَ: فَصِرْت إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْت أَنِّي كُنْت قَبِلْت رخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ.

وَفِي رِوَايَة: «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً».

وَفِي رِوايةٍ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ» ثلاثاً.

وَفِي رِوَايةٍ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّه تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى

---

(١) «أطيقُ أكثر من ذلك» أي أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك.

(٢) «وإنَّ لزَوْرك» أي لضيفك عليك حقٌّ أيضاً.

(٣) «وإن بحسبك» أي يكفيك في الشهر صيام ثلاثة أيام.

اللَّهِ تَعَالَى صَلاةُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقى».

وفي رِوَايةٍ قَالَ: «أَنْكَحَنِي[١] أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ: أَي امْرَأَةَ وَلَدِهِ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا[٢]، فَتَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً[٣]، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفاً[٤]، مُنْذُ أَتَيْنَاهُ!! فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيه ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ» فَلَقِيتُهُ بَعْد ذَلِكَ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قُلْتُ كُلَّ يَوْم، قَالَ: وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟ قلتُ: كُلَّ لَيْلَةٍ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ[٥]، وَكَانَ يَقْرأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبُعَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّاماً وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئاً فَارَقَ عَلَيْهِ النبيُّ ﷺ»، كُلُّ هذِهِ الرِّوايَاتِ صَحِيحَةٌ، مُعْظَمُهَا فِي الصحِيحَيْنِ، وَقَليلٌ مِنْهَا فِي أَحَدِهِمَا.

١٥١ ـ وعن أبي رِبْعِيٍّ «حَنْظَلَةَ بنِ الرَّبِيعِ» الأُسَيِّدِيِّ، أَحَدِ كُتَّابِ رسول اللَّه ﷺ قال: «لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه فقال: كَيْفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ[٦]! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه مَا تَقُول؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رسول اللَّه ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْد رسول اللَّه ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ[٧]، وَالأَوْلَادَ، وَالضَّيْعَاتِ[٨]، نَسِينَا كَثِيراً!! قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دخَلْنَا عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فَقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسول اللَّه! فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رسولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ[٩]، فَإِذَا

---

(١) «أنكحني أبي» أي زوّجني امرأةً ذات جاهٍ ونسبٍ شريف.

(٢) «يسألها عن بعلها» أي يسألها عن زوجها كيف معاملته لها؟

(٣) «لم يطأ لنا فراشاً» أي لم ينم معها على فراش واحد.

(٤) «ولم يفتش لنا كَنَفاً» كناية لطيفة عن الجماع، أي لم يعاشرها معاشرة الأزواج، فهي تشكو زوجها بأسلوب ظاهره المدحُ، وحقيقته العتابُ.

(٥) «وذكر نحو ما سبق» أي أوصاه الرسول ﷺ بحسن المعاشرة، والقصد في العبادة.

(٦) «نافق حنظلة» أي صار منافقاً لعدم بقائه على حالته الأولى.

(٧) «عافسنا الزوجات» أي اشتغلنا وتلهَّينا بملاعبة النساء، والتلذّذ بهنّ.

(٨) «والضيعات» جمع ضَيْعة وهي القرية التي يملكها الإنسان، والمراد بها هنا: أمور المعايش، وشؤون الدنيا.

(٩) «كأنا رأيُ عين» أي كأننا نرى الجنة والنار أمامنا رأي عين.

خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيراً، فَقال رسولُ اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»[1] ثَلاثَ مَرَّاتٍ، رَوَاهُ مسلم.

وَقَوْلُهُ: «عَافَسْنَا» أَيْ: عَالَجْنَا وَلَاعَيْنَا، «وَالضَّيْعَاتُ»: المعايشُ.

١٥٢ ـ وعنِ ابن عباسٍ رضِي اللَّه عنهما قال: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: «أَبُو إِسْرَائِيلَ»[2] نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في المحافظة على الأعمال الصالحة، وترك التهاون بها والتساهل فيها

قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ[3] لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا[4] مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

---

(١) «ساعةً وساعةً» أي ساعةً لربك، وساعةً لنفسك، ومراده ﷺ أن التنعُّم بالدنيا، ونيل بعض ما أحلَّه اللَّه، لا ينافي العبادة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾؟ الآية.

(٢) «أبو إسرائيل» أحدُ العُبَّاد الصالحين، واسمه (يُسَيْر) مصغَّر يسر ضد العسر.

(٣) ﴿أَلَمْ يَأْنِ؟﴾ معنى الآية الكريمة: أما حانَ للمؤمنين أن ترقَّ قلوبهم، وتلين لمواعظ اللَّه؟ وأن لا يكونوا مثلَ أهل الكتاب، الذين طال عليهم الزمن، فأصبحت قلوبهم قاسية مثل الحجارة، لا تلين لموعظة ولا لذكر؟ قال ابن مسعود: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا اللَّهُ بهذه الآية، إلَّا أربع سنين) رواه مسلم.

(٤) ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانيةُ: رفضُ النساء، وشهوات الدنيا، واتخاذ الصوامع، وهذه اخترعوها وأحدثوها من تلقاء أنفسهم، ومع أنهم أحدثوها لكنهم لم يحافظوا عليها كما ينبغي، والاستثناء في الآية منقطع أي لم نأمرهم نحن بها، ولا فرضناها عليهم، إنما اخترعوها طلباً لرضوان اللَّه.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[1] [النحل: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] [الحجر: ٩٩].

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ، فَمِنْهَا:

١٥٣ ـ حَدِيثُ عَائِشَةَ: «وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ».

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ... (أنظر حديث رقم ١٤٢)

١٥٤ ـ وَعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ[3] مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ الظهرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٥ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٦ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللَّيْلِ، مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في الأمر بالمحافظة على السُّنة وآدابها

قَالَ اللَّه تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[4] [النجم: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نِكْث أي غزلت غزلها، وفتلته فتلاً محكماً، ثم نقضته وحلّته أجزاءً أجزاءً، وهذا تمثيلٌ لنقض العهد بديعٌ، مثّل له بصورة امرأة حمقاء، تغزل غزلها ثم تنقضه، ولا ينالها إلّا العناءُ والتعب.

(٢) ﴿اليقينُ﴾ الموتُ لأنه أمر متيقّن منه.

(٣) «نام عن حزبه» أي نام عن صلاة الليل، أو تلاوة الليل.

(٤) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ أي ما ينطق إلّا بوحي من الله، وقد دلّت الآية على أن الوحي قسمان: وحيٌ متلوٌ وهو القرآن، ووحيٌ مبلّغ وهو السُّنة النبويّة المطهّرة.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[1] لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ[2] بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال العُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ[3] أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والآياتُ فِي البَابِ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

١٥٧ ـ فالأَوَّلُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ، واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٨ ـ الثَّاني: عَنْ أَبِي نَجِيحٍ «العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ» رضي الله عنه قال: «وَعَظَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ[4] وَذَرَفَتْ مِنْهَا

---

(١) ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوةٌ صالحة بنبيكم محمد ﷺ.

(٢) ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم﴾ أي فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الأمور الدينيّة والدنيويّة، ثم ينقادوا ويستسلموا لحكمك يا محمد، ولا يجدوا ضيقاً مما حكمتَ به.

(٣) ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي فليحذَرْ من عصى أمر الرسول ﷺ، وخالفَ أمرَه وسنّته، أن تنزل به محنة عظيمة، والآية نصٌّ قاطعٌ، على وجوب العمل بالسنة النبوية.

(٤) «وجلت منها القلوب» أي خافت منها القلوب، وسالت منها الدموعُ.

العُيُون، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا!! قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً!! فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ[1]، وَإِيَّاكُمْ وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ[2] ضَلالَةٌ» رَوَاهُ أَبو داود، والترمِذِي وقال: حديث حسن صحيح.

«النَّواجِذُ» بالذالِ المعجمةِ: الأَنْيَابُ.

١٥٩ ـ الثَّالِثُ: عَنْ أَبي هريرة رضي اللّه عنه ،أن رسول اللّه ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قِيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٦٠ ـ الرَّابِعُ: عن أَبي مسلم «سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَكْوَعِ» رضي اللّه عنه، أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسول اللّه ﷺ بِشِمَالِهِ فقالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. ! قَالَ: لا اسْتَطَعْتَ، ما مَنَعَهُ إِلَّا الكِبرُ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦١ ـ الخَامِسُ: عَنْ أَبي عبدِ اللّهِ «النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ» رضي اللّه عنهما، قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقولُ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «كَانَ رسولُ اللّه ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ[4]، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يوماً، فَقَامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِياً صَدْرُهُ[5] فَقَالَ: عِبَادَ اللّهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

١٦٢ ـ السَّادِسُ: عن أبي موسى رضي اللّه عنه قال: «احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ

---

(١) «عضوا عليها بالنواجذ» أي بالأنياب، وهي كناية لطيفة لشدة التمسك بسنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين.

(٢) «كل بدعة ضلالة» البدعةُ: كلُّ ما أُحدث مخالفاً أمر الشرع، ممّ لا يتفق مع مقاصده السامية.

(٣) «ليخالفن الله بين وجوهكم» أي يوقع بينكم العداوة والبغضاء، واختلاف القلوب.

(٤) «يسوي القداح» أي يسويْ الصفوف كما يسوّي النبال.

(٥) «بادياً صدره» أي خارجاً صدره عن الصف، وجواب «إذا عقلنا عنه» تقديره: تَرَكنا.

عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رسول اللَّه ﷺ بِشَأْنِهِمْ قَالَ: إِنَّ هذِهِ النَّار عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٣ ـ السَّابِعُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّه بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْم، كَمَثَلِ غَيْثٍ [١] أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ [٢] أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِي قِيعَانٌ [٣]، لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّه تعالى [٤]، وَنَفَعَهُ بِما بَعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«فَقُهَ» بِضم الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ، أَيْ: صَارَ فَقِيهاً.

١٦٤ ـ الثَّامِنُ: عن جابرٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ ناراً، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ [٥] عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ [٦]، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدَيَّ» رَوَاهُ مسلِم.

«الْجَنَادِبُ»: نَحْوُ الجَرَاد وَالْفَرَاشِ، هذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَقَعُ فِي النَّار.

«وَالحُجَزُ»: جَمْعُ حُجْزَةٍ، وَهِيَ: مَعْقِدُ الإِزَارِ وَالسَّرَاوِيل.

١٦٥ ـ التَّاسِعُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رسول اللَّه ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهَا الْبَرَكَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية لَهُ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى [٧]

---

(١) «كمثل غيث» أي كمثل المطر النافع ينزل على الزرع فيُحييه ويُنعِشه.

(٢) «أجادب» أي أراضٍ صحراوية لا تُنبت شيئاً. ولكنها تحتفظ بالماء.

(٣) «قيعان» أي أراض سَبْخة، لا تصلح للزراعة ولا تمسك الماء، وإنما هي مستنقعٌ للبعوض والديدان.

(٤) «فَقُه في دين اللَّه» هذا مثلٌ بديع لمن تفقَّه في دين اللَّه، فاستفاد وأفاد، ومثلٌ لمن لم ينتفع بهدي النبوة، وبقي يتخبَّط في ظلمات الجهل.

(٥) «وهو يَذُبهنَّ» يعني يطردهن ويمنعهنَّ عن الوقوع.

(٦) «آخذٌ بحجزكم» أي ممسك بكم من مقعد الإزار، وهذا تشبيهٌ بديع لاقتحام الناس النارَ بالمعاصي، والرسولُ يمسكهم لئلا يقعوا فيه، وهم يَتفلَّتون من يده ﷺ.

(٧) «فليُمط الأذى» أي يُنحِّ ويُذهب الأذى عنها ـ ليأكلها.

وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ».

وفي رواية له: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، فَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ».

١٦٦ ـ **الْعَاشِرُ:** عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما، قال: «قَامَ فِينَا رسولُ اللَّه ﷺ بِمَوْعِظَةٍ فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ[١] تَعَالى، حُفَاةً، عُرَاةً غُرْلاً[٢] ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسى يَوْمَ الْقِيَامَةِ «إِبْرَاهِيمُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ[٣]، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي[٤]، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ!؟ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ[٥]: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٧ ـ **الْحَادِي عَشَرَ:** عَنْ أَبِي سعيدٍ «عبدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ» رضِي اللَّه عَنْه، قال: «نَهَى رسولُ اللَّه ﷺ عَنِ الْخَذْفِ[٦] وقالَ: إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ[٧]، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: أَنَّ قَرِيباً لابْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ، فَنَهَاهُ وقال: إن رسول اللَّه ﷺ نَهَى عن الخَذْفِ وَقَالَ: «إِنَّهَا لا تَصِيدُ صَيْداً» ثُمَّ عَادَ فقالَ: أُحَدِّثُكَ أَن رسول اللَّه ﷺ نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ تَخْذِفُ!؟ لا أُكَلِّمُكَ أَبَداً.

١٦٨ ـ وعن عابِسِ بْنِ ربيعةَ قال: «رَأَيْتُ عُمَرَ بن الخطابِ رضي اللَّه عنه

---

(١) «محشورون إلى اللَّه» أي مجموعون عنده للحساب والجزاء.

(٢) «غُرْلاً» أي غير مختونين.

(٣) «ذات الشمال» أي يُؤمر بهم إلى النار.

(٤) «فأقول: يَارَبِّ أصحابي» أي هؤلاء من أمتي

(٥) «كما قال العبد الصالح» يريد به «عيسى بن مريم» عليه السلام.

(٦) «نهى عن الخَذْف» أي رمي الحصى بالسبّابة.

(٧) «لا ينكأ العدوّ» أي لا يقتله ولكنه يؤذي، ويفقأ العينَ.

يُقَبِّلُ الحَجَرَ ـ يَعْنِي الأَسْوَدَ ـ وَيَقُولُ: إِنِي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في وُجُوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دُعي إلى ذلك وأُمِرَ بمعروف أو نُهيَ عن منكر

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَفِيهِ مِنَ الأَحَادِيثِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَذْكُورُ فِي أَوَّلِ الْبَابِ قَبْلَهُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الأَحَادِيثِ فِيهِ.

١٦٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[1] [البقرة: ٢٨٤]. الآيَةَ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رسول الله ﷺ، فَأَتَوْا رسول الله ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رسولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالْجِهَادَ، وَالصِّيَامَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا!! قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ[2] مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قالوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا

---

(١) ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ ظاهر الآية أن الله يحاسب العباد، على ما أسرُّوه في أنفسهم، ولهذا شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ لأن الإنسان ربَّما حدَّثته نفسه بالمعصية، فإذا حوسب عليها هلك، ولهذا نُسخت بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وفي الحديث: «إن الله عفر لهذه الأمة ما حدَّثت به أنفسها» رواه البخاري، وهذا النسخ جاء بعد أن استجاب المسلمون لأمر الرسول ﷺ فقالوا: «سمعنا وأطعنا».

(٢) «كما قال أهلُ الكتابين» يعني اليهود، والنصارى.

القَوْمُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا[1] كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في النّهي عَن البِدَع وَمُحدثات الأمور

قال اللّه تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ﴾ [يونس: ١٠].

وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] أي: الكِتَاب وَالسُّنَّةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَالآيَاتُ فِي البَاب كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَكَثِيرَةٌ جِداً، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ، فَنَقْتَصِرُ عَلَى طَرَفٍ مِنْهَا:

١٧٠ ـ عن عائشةَ، رضي اللّه عنها، قالت: قَالَ رسولُ اللّه ﷺ «مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا[2] هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «إصراً» أي حملاً ثقيلاً، والمراد به هنا: التكاليف الشاقة التي يعجز عنها الإنسانُ.

(٢) «من أحدث في أمرنا» أي أحدث أمراً مبتدعاً يخالف الشريعة، ويناقضُ أصولها، فهو مردودٌ عليه، ولم يقل ﷺ: من فعل شيئاً لم نفعله، فإن مدار البدعة على فعل شيء يتعارض مع أصول الإسلام، ولا يتفق مع مقاصده السامية.

وفي رواية لمسلم «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

١٧١ ـ وعن جابرٍ رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ، إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ[١]، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَيَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا[٢]، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ[٣] مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً[٤] فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٢ ـ وعن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، رضي اللَّهُ عنه، حَدِيثُهُ السَّابِقُ فِي بَابِ المُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ[٥].

❁❁❁

بابُ فِيمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

١٧٣ ـ عَنْ أَبِي عَمْرٍو «جَرِيرِ بنِ عبدِ اللَّه» رضي الله عنه، قال: كُنَّا في

---

(١) «كأنه منذر جيش» أي كأنه يُنذر الناس من هجوم الأعداء عليهم، يقول لهم: تَيَقَّظوا يصلكم العدوُّ في الصباح أو المساء، فخذوا حذركم، واستعدُّوا لمقاومته.

(٢) «وشر الأمور محدثاتها» أي الأمور المحدثة المبتدعة، التي لا تتفق مع الشريعة الغراء، وليس كل أمرٍ مستحدث بدعة، فإن وجود المدارس، والجامعات، ودوائر القضاء، وافتتاح المحاضرات بالقرآن الكريم، وصندوق الزواج لمساعدة العُزَّاب من الشباب، كلُّ ذلك لم يكن في عهد النبي ﷺ بل هو مستحدث، ولا يقول عاقل: إنه بدعة، ويؤيده قولُ النبي ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة» الحديث، فتنبَّه لهذا والله يرعاك.

(٣) «أنا أولى بكلِّ مُؤمنٍ» أي أحقُّ بالمؤمن من نفسه.

(٤) «ترك ديناً أو ضياعاً» أي مات وترك ديوناً للناس فأنا أحقُّ بوفائها، أو ترك أطفالاً صغاراً ضائعين ليس لهم من يرعاهم، فأنا وليُّهم، فلرسول ﷺ كالوالد لأمته يتعهدهم ويرعاهم.

(٥) أنظر حديث رقم (١٥٨).

صَدْرِ النَّهَارِ[١] عِنْدَ رسول اللَّه ﷺ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ[٢]، أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسول اللَّه ﷺ، لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ[٣]، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وَالآيَةُ الأُخْرَى الَّتِي فِي آخِرِ الْحَشْرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ[٤]، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ[٥]، كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ[٦]، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٧] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَوْلُهُ «مُجْتَابِي النِّمَارِ» هُوَ بِالْجِيمِ. و«النِّمَارُ»: جَمْعُ نَمِرَةٍ، وَهِيَ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٌ، وَمَعْنَى «مُجْتَابِيهَا» أَيْ: لابِسِيهَا قَدْ خَرَقُوهَا فِي رُؤُوسِهِمْ. «وَالْجَوْبُ»: الْقَطْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أَيْ: نَحَتُوهُ وَقَطَعُوهُ. وَقَوْلُهُ «تَمَعَّرَ» هو بالعين المهملة، أَيْ: تَغَيَّرَ، وَقَوْلُهُ: «رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ»

---

(١) «في صدر النهار» أي أول النهار.

(٢) «مجتابي النمار» أي يلبسون أكسية وأثواباً من الصوف، لا تكاد تستر أجسادهم، ولهذا قال عنهم: (قوم عراة).

(٣) «من الفاقة» أي من الفقر والحاجة والمسكنة.

(٤) «تصدق رجل من دينار» خبرٌ يراد به الأمرُ، أي ليتصدَّقْ الإنسانُ بما يستطيع، ولو بجزءٍ من الدرهم أو الدينار، أو من صاع البر والتمر، حتى ولو كان بنصف تمرة.

(٥) «بصرة» أي بصُرَّة من الدراهم كبيرة.

(٦) «يتهلل كأنه مُذْهَبة» أي يتلألأ وجهه من السرور والفرح، ويلمع كأنه الذهبُ الوهَّاج، لأنهم استجابوا لدعوته، وجمعوا لإخوانهم ما يدفع عنهم الحاجة.

(٧) هذا الحديث نصٌّ قاطع، على أنه يوجد في المستحدث من الأمور، ما هو سُنَّةٌ حسنة، وسنة مبتدعة، لقوله ﷺ: «من سنَّ» ولم يقل: من عمل بسنتنا كما فسَّره البعضُ، فإن من الأمور ما يتفق مع الإسلام ولا يتعارض معه فهو سنة حسنة، والله أعلم.

بفتحِ الكافِ وضمِّها، أَيْ: صُبْرَتَيْنِ. وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ» هو بالذالِ المعجمةِ، وَالمُرَادُ بِهِ: الصَّفَاءُ وَالاسْتِنَارَةُ.

١٧٤ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «ليس مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْماً، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدم الأَوَّلِ، كِفْلٌ[1] مِنْ دمِهَا، لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتْلَ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بـابٌ فـي الـدَّلالـة
على الخير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قال تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وعن أَبي مسعودٍ «عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ، مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٦ ـ وعن أَبي العباسِ «سَهْلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ» رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ[2] أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا[3] عَلَى رسول اللَّه ﷺ: كُلُّهُمْ يَرْجُوا أَنْ

---

(١) «كِفْلٌ» أي نصيب من الذنب، والمراد بابن آدم الأوّل قابيل قاتل أخيه هابيل.

(٢) «يَدُوكون ليلتهم» أي يخوضون في ليلتهم ويتحدّثون لمن سيعطي الرايةَ رسول اللَّه ﷺ؟

(٣) «غَدَوْا على رسول اللَّه» أي ذهبوا إلى الرسول ﷺ مسرعين، أيُّهم يُعطى الراية.

يُعْطَاهَا، فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طالبٍ؟» فَقِيلَ: يا رسول اللّه هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْه!! قال: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ» فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رسولُ اللّه ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ[1] حَتَّى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٧ ـ وَعَن أَنس رضي اللّه عنه «أَنَّ فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قال: يا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْغَزْوَ، وَلَيْسَ مَعِي مَا أَتجهَّزُ بِهِ؟[3] قَالَ: ائْتِ فُلاناً فَإِنه قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِض، فَأَتَاهُ فَقَال: إِنَّ رسول اللّه ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، فقال: يَا فُلانَةُ أَعْطِيهِ الَّذِي تجهزْتُ بِهِ، وَلا تحْبِسِي مِنْه شَيْئاً، فَواللّهِ لا تحْبِسِين مِنْه شَيْئاً فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في التعاون على البرّ والتقوى

قال اللّه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

قال الإمام الشافعي رَحِمَه اللّه: إِنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَدَبُّرِ هَذِهِ السُّورَةِ، ولو لم يُنزل اللّهُ غير هذه السورة لكفت الناسَ.

١٧٨ ـ عن أبي عبدِ الرحمنِ «زيدِ بنِ خالدٍ الْجُهَنِيِّ» رَضِيَ اللّه عنه قالَ: قالَ رَسُول اللّه ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً[4] فِي سَبِيلِ اللّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ[5] غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «انفُذْ على رِسْلِكَ» أي امضِ على مَهْلك ولا تتعجَّل.

(٢) «خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم» أي خير لك من الإبل الجياد الحُمْر، التي هي أنفسُ أموال العرب.

(٣) «ما أتجهز به» أي ليس عندي المركب والسلاح الذي أقاتل به.

(٤) «من جهَّز غازياً» أي هيَّأ له المركب والسلاح الذي يقاتل به.

(٥) «ومن خَلَف غازياً» أي قام بعده بحوائج أهله، ينال ثواب الغازي.

١٧٩ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّهُ عنهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَ بَعْثاً[١] إلى بَنِي لِحيانَ مِنْ هُذَيْلٍ، فقالَ: لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ[٢] أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٠ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضي اللَّه عنهما، أَنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ[٣] فقال: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: المُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قال: «رسول اللَّه» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيّاً فَقَالَتْ: أَلهذَا حَجٌّ؟ قال: «نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١ ـ وَعَنْ أَبِي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ، الَّذِي يُنَفِّذُ ما أُمِرَ بِهِ، فَيُعْطِيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إلى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ». وضبطوا «المُتَصَدِّقَيْنِ» بفتح الكاف مع كسر النون على التثنية، وعكسُه على الجمع، وكلاهما صحيح.

❁❁❁

بابٌ في النَّصيحة

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى إخباراً عن نوح ﷺ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وعَنْ هُودٍ ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وَأَمَّا الأحاديثُ:

١٨٢ ـ **فَالأَوَّلُ:** عن أبي رُقَيَّةَ «تَمِيمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ» رضي اللَّه عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[٥] قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ،

---

(١) «بَعَثَ بعثاً» أي أراد أن يرسل سريَّةً للجهاد في سبيل اللَّه.

(٢) «من كل رجلين أحدهما» أي ليخرج من كل قبيلةٍ نصف العدد، والأجرُ بين المجاهدين والقاعدين، لإعانتهم لهم على طاعة اللَّه، حيث يخلفونهم في أهليهم بخير.

(٣) «لقي ركباً بالرَّوْحاء» أي لقي جماعة معتمرين في مكان قريبٍ من المدينة المنورة.

(٤) «أحدُ المتصدِّقيْنِ» بالتثنية أي أحد الشخصين الذي تصدَّق بماله، وضَبْطه بعضهم بالجمع (المتصدِّقينَ) وكلاهما صحيح.

(٥) «الدِّينُ النَّصيحةُ» أي النصح لكل مسلم هو الدينُ، وهو علامة صدق المؤمن، والنصيحةُ: كلمةٌ جامعةٌ لكل خير، وهي أجمعُ كلمةٍ لخيْري الدارين.

وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٣ ـ الثَّاني: عَنْ «جَرِير بْنِ عبد اللَّه» رضي اللَّه عنه قال: «بَايَعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٤ ـ الثَّالِثُ: عَن أَنَس رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2] مُتَّفَق عليه.

❁❁❁

بابٌ في الأمرِ بالمعروف والنَّهي عَنْ المنكر

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3] [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

---

(١) «ولأئمة المسلمين» أي أمرائهم وحُكّامهم «وعامتهم» أي سائر المسلمين.

(٢) «لا يؤمن أحدكم» أي لا يكمل إيمانُ أحدكم، حتى يحبَّ لأخيه في الإسلام ما يحبُّه لنفسه.

(٣) هذه الآية توحي بأن هذه الأمة أمة إنقاذ، ادّخرها اللّه لإنقاذ البشرية من ظلمات الكفر والجهل والضلال، وهيّأها لهذه المهمة، أخرج البخاري عن أبي هريرة في الآية قال: (خيرَ الناسِ للنّاس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام) ومعناه: أنهم يأسرون الكفار، فإذا عرفوا الإسلام وفهموه على حقيقته، دخلوا في الإسلام، فيكون ذلك سبباً لدخولهم الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2] [الحجر: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ[3] بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وَالآياتُ في الباب كَثِيرَةٌ مَعلومَةٌ.

وَأَمَّا الأَحادِيثُ:

١٨٥ ـ **فالأَوَّلُ**: عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّه عنه قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٦ ـ **الثاني**: عن ابن مسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّه في أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كان لَه مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّون[4] وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُون بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُون بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ[5]، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وليس وراء ذَلِكَ مِن الإِيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٧ ـ **الثالثُ**: عن أبي الوليدِ «عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ» رضي اللَّه عنه قال: «بَايَعْنَا رسولَ اللَّه ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ[6]،

---

(١) هذه الآية واردة على وجه التهديد والوعيد، وليست للتخيير بين الإيمان والكفر.

(٢) ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي اجهرْ بالحقّ ولا تُبالِ بأحدٍ من الخلق، فاللَّهُ حسبُك وناصرك.

(٣) ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي بعذاب مؤلم شديد اشتدّ بؤسُه ووجعُه.

(٤) «حواريون» أي أصحاب أصفياء أتقياء يكونون عوناً للأنبياء صلوات اللَّه عليهم.

(٥) «تخلف من بعدهم خلوف» أي يأتي من بعد أولئك الأتقياء، أناسٌ أشقياء، يخلفونهم بالشرّ والسُّوء، جمع خَلْفٍ بسكون اللام وهو من يخلف غيره بشرّ، وأمّا (خَلَفٌ) فهو من يخلف غيره بخير، يقال في الدعاء: جعله اللَّه خيرَ خَلَفٍ لخيرِ سَلَفٍ.

(٦) «والمَنْشَط والمَكْره» أي في السهل والصعب، وفي حالة اليسر والعُسر، والحبّ والكراهية.

وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا[١]، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً[٢]، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٨ ـ **الرَّابع**: عن النعمانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ، مَرُّوا عَلى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا، فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا! فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ، نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

«القَائِمُ فِي حُدُودِ اللَّهِ تَعالى» مَعْنَاهُ: المُنْكِرُ لها، القَائِمُ فِي دفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا، والمُرادُ بِالحُدُودِ: مَا نهى اللَّهُ عَنهُ: «اسْتَهَمُوا»: اقْتَرَعُوا.

١٨٩ ـ **الخامِسُ**: عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِين أُمِّ سَلَمَةَ «هِنْدٍ بنتِ أَبِي أُمَيَّةَ» رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ[٤]، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِىءَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ[٥]!! قَالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

مَعْنَاهُ: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِنْكَاراً بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ، فَقَدْ بَرِىءَ مِنَ الإِثْمِ، وَأَدَّى وَظِيفَتَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ، فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ المَعْصِيَةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَتَابَعَهُمْ، فَهُوَ العَاصِي للَّه.

١٩٠ ـ **السَّادِسُ**: عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِين أُمِّ الحَكَمِ «زَيْنَب بنْتِ جَحْش» رضي اللَّه

---

(١) «وعلى أثرة علينا» أي وعلى اختصاص بعض الناس بما لنا فيه حقٌّ، من المناصب والمال.

(٢) «كفراً بَوَاحاً» أي كفراً صريحاً ظاهراً لا يحتمل التأويل.

(٣) شبَّههم بقوم ركبوا في سفينة، وأراد بعضهم أن يخرق السفينة، ليستخرج الماء من البحر، بدون تعب ولا إزعاج للآخرين، فإن تركوهم غرقوا جميعاً، وإن منعوهم نَجَوْا جميعاً، ويا له من مثلٍ رائع، جميل صريح، يفهمه الخاصَّةُ والعامَّة!!

(٤) «فتعرفون وتنكرون» أي تعرفون منهم أموراً حسنة، وتنكرون عليهم أموراً سيئة.

(٥) «ولكنْ من رضي وتابع» أي رضي بما هم عليه من الفسق والفجور، وسايرهم على أهوائهم وفجورهم، فهو الهالك.

عنها، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْها فَزِعاً[١]، يَقُولُ: «لا إله إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ[٢] مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِأُصْبُعَيْهِ[٣] الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رسول اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

١٩١ ـ **السَّابِعُ**: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»[٥] فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللَّه مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ[٦]؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا! فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ اللَّه؟ قال: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٩٢ ـ **الثَّامِنُ**: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما «أَن رسول اللَّه ﷺ رَأى خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ في يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ[٧] مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!» فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رسول اللَّه ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ، انْتَفِعْ بِهِ[٨]. قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رسول اللَّه ﷺ»[٩] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٩٣ ـ **التَّاسِعُ**: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ «الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ» أَنَّ عَائِذَ بن عَمْرٍو رضي اللَّه عنه دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زِيَادٍ فَقَالَ: «أَيْ بُنَيَّ! إِنِّي سَمِعتُ رسول اللَّه

---

(١) «دخل عليها فزعاً» أي خائفاً مضطرباً لما يحدث لأمته من بعده.

(٢) «ردم يأجوج» أي السدّ الذي بناه ذو القرنين.

(٣) «وحلّق بأصبعيه» أي جعل السّبابة معقودة مع الإبهام، وضمّهما حتى صارا كالحلقة الصغيرة التي فيها شيء من الفراغ.

(٤) «إذا كثر الخبث» أي فشا الفسوق والفجور، وكثرت المعاصي والمنكرات.

(٥) «إياكم والجلوس في الطرقات» أي احذروا الجلوس في طرقات الناس.

(٦) «ما لنا منها بُدٌّ» أي لا يمكننا الاستغناء عن الجلوس فيها.

(٧) «يعمد أحدكم إلى جمرة» يريد أن لبس خاتم الذهب للرجل حرام، وهو سببٌ لوضع جمرة من نار في يده يوم القيامة.

(٨) «انتفع به» أي خذ الخاتم فبعه وانتفع بثمنه ولا تلبسه بعد اليوم!!

(٩) «لا آخذه وقد طرحه رسولُ اللَّه» أي خذوه أنتم فبيعوه، أمّا أنا فواللَّهِ لا أنتفع به، بعد أن طرحه الرسول ﷺ في الأرض.. للَّهِ ما أسمى هذه النفوس الطاهرة، التي تستجيب سريعاً لدعوة اللَّه!!

ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ»[١]، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةٍ[٢] أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟![٣] إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٩٤ ـ **الْعَاشِرُ**: عَنْ حُذَيْفَةَ رضيَ اللّٰه عنه، عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ[٤]، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللّٰه أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن.

١٩٥ ـ **الْحَادِي عَشَرَ**: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي اللّٰه عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ[٥] عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٩٦ ـ **الثَّانِي عَشَرَ**: عَنْ أَبِي عبدِ اللّٰه «طَارِقِ بن شِهَابٍ الْبَجَلِيِّ الأَحْمَسِيِّ» رضي اللّٰه عنه «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَه فِي الغَرْزِ[٦]: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَل؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» رَوَاهُ النسائيُّ بإسنادٍ صحيح. «الْغَرْز» رِكَابُ كَوْرِ الْجَمَلِ، إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ.

١٩٧ ـ **الثَّالِثَ عَشَرَ**: عن ابن مَسْعُودٍ رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ[٧] عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللّٰهَ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وهُو

---

(١) «شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمة» أي شرُّ الأمراء الذين استرعاهم اللّٰه على الأمة، الذي يكون قاسياً عنيفاً في رعيته، غليظ القلب، كأنه بتعامله معهم يحطمهم ويكسرهم.

(٢) «من نُخالة» أي اسكتْ فأنتَ لستَ من أكابر أصحاب النبي ﷺ الذين اختارهم اللّٰه لصحبة نبيه ﷺ وإنما أنت من النخالة أي رَعَاع الناس.

(٣) «وهل كانت لهم نُخالة» أي جميع أصحاب النبي ﷺ سادة أشراف، ليس فيهم شخص رضيع، وإنما النخالة فيمن جاء بعدهم.

(٤) «لتأمرنَّ، ولتنهونَّ» اللام للتوكيد أي يجب عليكم وجوباً مؤكداً أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر.

(٥) «كلمةُ عَدْل» أي كلمةُ حقٍّ عند سلطان ظالم فاجر، لا ينفّذ أحكام اللّٰه.

(٦) «في الغَرْز» أي وضع رجله في ركاب الدابة، يريد أن يركبها.

(٧) «دخلَ النَّقْصُ» أي أول الأمور التي كانت سبباً لهلاك بني إسرائيل، مخالطتهم وهم على المعاصي والفجور.

عَلَى حَالِهِ، فَلا يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ، وَشَرِيبَهُ، وقَعِيدَهُ[1]. فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ، ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١] ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا، وَاللَّهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً[2]، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال حديث حسن. هذا لَفظ أبي داود. ولفظ التِّرمِذِيُّ: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي، نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ، وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، فَجَلَسَ رسول اللَّه ﷺ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَالَ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ[3] عَلَى الْحَقِّ أَطْراً».

١٩٨ ـ الرَّابِعَ عَشَرَ: عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه، قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَقْرَؤُونَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[4] [المائدة: ١٠٥] وإني سَمِعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، والنسائي بأسانيد صحيحة.

❁❁❁

---

(١) «أكيله وشريبه وقعيده» أي أن يأكل معه، ويشرب معه، ويجالسه.

(٢) «ولتقصرنه على الحق قصراً» أي تجبرونه على قبول الحق إجباراً.

(٣) «تأطروهم» أي تحملونهم على ترك المنكرات والفواحش، أو يلعنكم الله كما لعن بني إسرائيل، وتلا ﷺ الآية.

(٤) «تقرءون هذه الآية» أي تفهمونها فهماً خاطئاً، أنه لا يضركم ضلال من ضلّ من الناس إذا كنتم مهتدين! فتتركونهم دون نصح وتحذير، وإن من جملة الاهتداء أن ينكر المؤمن المنكر، ويأمر بالمعروف.

بابٌ في تغليظ عقوبة من أمَر بمعروف أو نهى عن منكر وَخَالفَ قوله فِعْلَه

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا[2] عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

وقال تعالى إخباراً عن شُعَيبٍ عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

١٩٩ ـ وعن أبي زيدٍ «أُسَامَةَ بن زيدِ بن حَارِثَةَ» رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ[3]، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَا، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُن تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيه، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ: «تَنْدَلِقُ» هُوَ بالدَّالِ المهملةِ، وَمَعْنَاهُ تَخْرُجُ. وَ «الأَقْتَابُ»: الأَمْعَاءُ، وَاحِدُهَا قِتْبٌ.

❁❁❁

بابٌ في الأمر بأداء الأمانة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ[4] عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

---

(١) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ الآية نزلت في اليهود، وهي تحذير للمؤمنين، أن يفعلوا مثل فعل اليهود، فيستحقوا العقوبة.

(٢) ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي عَظُم إثماً عند الله وبغضاً أن يقول الإنسانُ قولاً، ولا يفعله، فيكون كالشمعة تُحرق نفسها لتضيء للناس.

(٣) «فتندلق أقتابُ بطنه» أي تخرج أمعاؤه من بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار برحى الطاعون، وهو الحجر الذي يُطحن به الحبُّ.

(٤) «عرضنا الأمانة» المراد بالأمانة التكاليف الشرعية، والفرائض الإلهية، التي فرضها الله على عباده.

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

٢٠٠ ـ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ، قال: «آيَةُ المُنَافِقِ[١] ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

٢٠١ ـ وعن حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه، قال: «حدثنا رسول الله ﷺ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ[٢]، ثُمَّ نَزَلَ القُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ[٣]، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ[٤]، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُم أَخَذَ حَصَاةً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِيناً، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ[٥]! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ؟ لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيّاً أَوْ يَهُودِيّاً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ[٦]، وَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلاناً وَفُلاناً» مُتَّفَقٌ عليه.

قوله: «جَذْرُ» بفتح الجيم وهو: أَصْلُ الشَّيْءِ. و «الوَكْتُ»: الأَثَرُ اليَسِيرُ. «وَالمَجْلُ»: وَهُوَ تَنَفُّطٌ في اليَدِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَثَرِ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ. «مُنْتَبِراً»: مُرْتَفِعاً. «سَاعِيهِ»: الوَالِي عَلَيْهِ.

---

(١) «آية المنافق» أي علامة المنافق.

(٢) «في جَذْرِ قلوب الرجال» أي في أصول قلوب أهل الإيمان، من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٣) «مثلَ الوَكْتِ» الوكْتُ: الأثرُ القليل اليسير الذي يظهر على الثوب أو الجلد.

(٤) «مثلَ أَثَرِ المَجْلِ» المَجْلُ: انتفاخُ اليد من أثر حرقٍ من الحروق تصيب الإنسان، فتصبح اليد منتبرة، وهذا تمثيلٌ لضعف الأمانة، وذهابها عند الناس، بحيث لا يبقى منهم إلا القليل، القليل من أصحاب الدين والأمانة.

(٥) «ما أجلده؟ وما أظرفه؟» أي ما أشدَّ قوته على تحمُّل الشدائد؟ وما أجمله من إنسان؟ وليس في قلبه ذرة من إيمان.

(٦) «ليردنَّه عليَّ ساعيه» أي يردُّه عليَّ من أتى به من الذي يتولَّى شأنه، فلا أبايعه لكونه كاذباً في دعوى الإيمان.

٢٠٢ ـ وعن حُذَيْفَةَ، وَأَبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ[١]، فَيَأْتُونَ آدَمَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ[٢]!! فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ؟! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، قال: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[٣]، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قال: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَأَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ لا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفاً، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ[٤] مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْرْدَسٌ[٥] فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً»[٦] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «وَرَاءَ وَرَاءَ» مَعْنَاهُ: لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُذْكَرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ.

٢٠٣ ـ وعن أبي خُبَيْبٍ «عبد اللَّهِ بنِ الزبَيْرِ» رضيَ اللَّه عنهما، قال: «لَمَّا وَقَفَ الزبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ، دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ اليَوْمَ، إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لا أُرَانِي إِلَّا سأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُوماً، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ

---

(١) «نُزلفُ لهم الجنّةُ» أي نُقرّب لهم حتى يروها.

(٢) «استفتح لنا الجنّةَ» أي اطلب لنا فتح أبواب الجنة.

(٣) «من وراءَ وراءَ» أي ليس لي هذه المنزلة الرفيعة، قالها سيدنا إبراهيم عليه السلام تواضعاً منه، اذهبوا إلى غيري ممن له عند الله جاه ومكانة.

(٤) «كلاليبُ معلّقة» هي تعاليق من حديد يُعلّق عليها اللحمُ بعد الذبح.

(٥) «مكردسٌ» أي مكدّسٌ بعضهم فوق بعض في النار.

(٦) «سبعون خريفاً» أي سبعون سنة يهوي فيها الكافر.

هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتَرَى دَيْنَنَا يُبْقِي مِنْ مَالِنَا شَيْئاً؟ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ بِعْ مَا لَنَا، واقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ ـ يَعْنِي لِبَنِي عَبْدِ اللَّه بن الزبير ثُلُثَ الثُّلُث ـ قَالَ: فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِبَنِيكَ، قال هشامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى[1] بَعْضَ بَنِي الزبَيْرِ: خُبيبٌ، وَعَبَّادٌ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلَايَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّه. قال: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ، قَالَ: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، إِلَّا أَرَضِينَ، مِنْهَا الغَابَةُ وإِحْدَى عَشْرَةَ دَاراً بالمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالبَصْرَةِ، وَدَاراً بالكُوفَةِ وَدَاراً بِمِصْرَ. قال: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بالمالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ[2] إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ، وَلَا جِبَايَةَ وَلا خَرَاجاً وَلَا شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رسول اللَّه ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي اللَّه عنهم، قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمَائَتَيْ أَلْفٍ! فَلَقِيَ حَكِيمُ بن حزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَيه مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمَتْهُ وَقُلْتُ: مائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسعُ هَذِهِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي! قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدِ اشْتَرَى الغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمائَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّه بِأَلْفِ أَلْفٍ وستّمائةِ أَلْفٍ[3]، ثُمَّ قَامَ فقال: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ شَيْءٌ فَلْيُوَافِنَا بِالغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمَائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لعبْدِ اللَّه: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّه: لا، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فقال عَبْدُ اللَّه: لا، قال: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، قال عَبْدُ اللَّه: لَكَ مِنْ هَهُنَا إِلَى هَهُنَا. فَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ

---

(١) «قد وازى» أي قارَبَ وساوى.

(٢) «ولكنْ هُوَ سَلَف» أي تُقرضني هذا المال حتى يكون ديناً في عنقي أردُّه عند الطلب.

(٣) «باعها بألف ألفٍ وستمائة ألف» أي بمليون وستمائة ألف درهم، فكان الربح فيها كبيراً.

مِنْهَا، فَقَضَى عَنْهُ دَيْنَه وَأَوْفَاه، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُم وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ فقال لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قال: كُلُّ سَهْم بِمَائَةِ أَلْفٍ قال: كَمْ بَقِي مِنْهَا؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُم وَنِصْفٌ، فقال المُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْماً بِمَائَةِ أَلْفٍ، قالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَان: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْماً بِمَائَةِ أَلْفٍ. وقال ابن زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْماً بِمِائَة أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قال: سَهْمٌ ونِصْفُ سَهْم، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمَائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّه بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتْمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرِغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: وَاللَّهِ لا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَع سِنِين: أَلا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي فِي المَوْسِم، فَلَمَّا مَضى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسم بَيْنَهُمْ وَدَفَعَ الثُّلث. وَكَان للزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوةٍ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْف أَلْفٍ وَمائَتَا أَلْف» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في تحريم الظلم، والأمر بردّ المظالم

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1] [غافر: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وأمّا الأحاديث فمِنْهَا حَدِيثُ أَبِي ذرّ رضي الله عنه المُتَقَدِّمُ فِي آخِرِ بابِ المُجَاهَدَةِ. (انظر حديث رقم ١١١)

٢٠٤ ـ وعن جابرٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ[2]، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْم القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أي ليس لهم صديق ينفعهم، ولا شافعٌ يشفع لهم، فتُقبل شفاعتُه فيهم.

(٢) «اتقوا الظلم» أي اجتنبوا الظلم، واجتنبوا الشُّحَّ وهو «شدّة البخل»، فإنه قد أهلك من قبلكم من الأمم.

(٣) «استحلُّوا محارمهم» استحلُّوا ما حرَّم الله عليهم من الفواحش، والمحرَّمات من النساء.

٢٠٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٠٦ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ؟ حَتَّى حَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ(٢) فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ: أَنْذَرَهُ نُوح وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ إِنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ(٣). أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ ـ ثَلَاثاً ـ وَيْلَكُمْ، أَوْ وَيْحَكُمْ، انْظُرُوا! لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وروى مسلم بعضه.

٢٠٧ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ(٤) مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٠٨ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ(٥) فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»(٦) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٠٩ ـ وعن مُعَاذٍ رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَأَنِّي رسول

---

(١) «الشاة الجلحاء من القرناء» أي يُقتصّ من الشاة التي لها قرون، للشاة المنزوعة القرون، إذا نطحتها في الدنيا.

(٢) «فأطنب في ذكره» أي توسّع وأسهب في بيان خطر الدجال.

(٣) «عِنَبَةٌ طافية» أي بارزة ومارقة إلى الأمام كحبة العنب.

(٤) «قِيد شِبْرٍ» أي اغتصب مقدار شبر من الأرض.

(٥) «يملي للظالم» أي يمهله ويؤخره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

(٦) «لم يُفلته» أي لم يتركه، والمراد بالأخذ العذاب.

اللَّه، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[١]، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ[٢] فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١٠ ـ وعن أبي حُمَيْدٍ عَبْد الرَّحْمن بن سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللَّه عنه قال: «اسْتَعْمَلَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: (ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ) عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسول اللَّه ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّه وَأَثْنَى عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ، مِمَّا وَلَّانِي اللَّه، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ، حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقاً؟! وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا لَقِيَ اللَّه تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّه يَحْمِلُ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ[٣]، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْت؟ ثلاثاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١١ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْه مِنْه الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢١٢ ـ وعن عبد اللَّه بن عَمْرو بن العَاص رضي اللَّه عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١٣ ـ وعنه رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ عَلَى ثَقَلِ[٤] النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ

---

(١) «إيّاك وكرائم أموالهم» أي احذر أن تأخذ منهم نفائس أموالهم في الزكاة.

(٢) «واتّقِ دعوة المظلوم» أي اخشَ دعوة المظلوم فإنها مستجابة.

(٣) «بعيراً له رُغاء» صوتُ البعير أي الجمل، والخُوارُ: صوتُ البقر، وقوله: (تَيْعَرُ) صوتُ الشاة.

(٤) «على ثَقَل» أي عيال وأحمال النبي ﷺ التي غنمها في بعض غزواته.

كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رسول اللّه ﷺ: هُوَ فِي النَّارِ، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا»[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢١٤ ـ وعن أبي بَكْرَة «نُفَيْع بن الحرث» رضيَ اللّه عنهُ، عنِ النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ[٢] يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم، ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدة، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّم وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قال: أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى. قال: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، فَسَكَتَ حتى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قال: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، فِي شَهْرِكم هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلا فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى[٣] لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَه، ثُمَّ قال: أَلا هَلْ بَلَّغْت؟ أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١٥ ـ وعن أَبي أُمَامَةَ «إِيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الحَارِثِيِّ» رضيَ اللّه عنه، أَن رسول اللّه ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللّه لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقَال رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يا رسولَ اللّهِ؟ فقال: «وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٦ ـ وعن عَدِي بن عُمَيْرَةَ رضي اللّه عنه قال: سَمِعْت رسول اللّه ﷺ يَقُول: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطاً فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ،

---

(١) «قد غلّها» أخذها من الغنيمة قبل القسمة، والغلول: الخيانةُ في الغنيمة.

(٢) «قد استدار كهيئته» أي رجع إلى وضعه الصحيح، بعد أن تلاعب فيه المشركون بالنسيء.

(٣) «أوعى له» أي أفهم للحديث من المبلَّغ.

(٤) «قضيباً من أراكٍ» هو السِّواكُ الذي يُستاك به.

فقال: يا رسول الله اقبلْ عَنِّي عَمَلَكَ [١]!! قال: وَمَا لَكَ؟ قال: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذا، قال: وَأَنَا أَقُولهُ الآنَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيجِيءْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٧ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، وَفُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ، فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٨ ـ وعن أبي قَتَادَةَ «الْحَارث بن رِبْعِيٍّ» رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ «أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ، أَفْضَلُ الأَعمالِ، فَقَامَ رَجُلٌ فقال يا رسول الله: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ [٢]، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قال: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال رسول الله ﷺ: نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ قال لِي ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ!! فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٢٠ ـ وعن أم سَلَمَةَ رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ [٣] مِنْ بَعْضٍ،

---

(١) أي اعفني من هذا العمل فإنه خطير.

(٢) «محتسب» أي تطلب أجرك من الله تعالى وتعمل العملَ خالصاً لوجهه الكريم.

(٣) «ألحن بحجته» أي أقوى وأوضح في بيان حجته من غيره.

فَأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢١ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٢٢ ـ وعن خَوْلَةَ بِنْتِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيَّةِ «وَهِيَ امْرَأَةُ حَمْزَةَ رضي الله عنه وعنها» قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ[1] فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في تعظيم حُرمات المُسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2] [المائدة: ٣٢].

٢٢٣ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ

---

(١) «يتخوّضون» أي يقعون في المال الذي حرّمه الله دون مبالاة.

(٢) ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ الآية تهويلٌ لأمر القتل، وتعظيم أمره، فإن إهدار دم إنسان عدوانٌ على البشرية، فكأنه قتل جميع الناس، من حيثُ إنه هَتَك حرمة الدماء، وسنَّ القتل، وجرّأ الناسَ عليه.

(٣) «كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً» تشبيه رائع بديع، شبَّه المسلمين في تآخيهم وتعاطفهم، وتناصرهم، بالبنيان المرصوص، كلُّ جزءٍ قد شُدَّ إلى الآخر، حتى صار كأنه قطعة واحدة، وكذلك في الحديث الثاني شبَّهه بالجسد الواحد، إذا تألَّم عضوٌ منه، تألَّم له جميع الجسد، والتشبيه بهما بالغ الروعة.

مِنْ مَسَاجِدِنَا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ، أَنْ يُصِيبَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٥ ـ وعن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٦ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: «قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عنهما، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً!! فَنَظَرَ إِلَيْهِ رسولُ اللَّه ﷺ فقال: مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٧ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: «قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ[1] عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فقال: نَعَمْ، قالوا: لَكِنَّا واللَّه مَا نُقَبِّلُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ؟» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٨ ـ وعن جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٩ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ!! فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ، فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣٠ ـ وعن عَائِشَةَ رضي اللَّه عنها قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رسول اللَّه ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ[2]، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣١ ـ وَعَنْهَا رضي اللَّه عنها قَالَتْ: «نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ[3]

---

(١) «من الأعراب» هم سُكان البوادي، البعيدون عن المدنية والحضارة.

(٢) «ليَدَعُ العمل» أي يترك فعل الشيء خشية أن يُفرض على الأمة.

(٣) «الوصال» هو أن يصوم يوماً ولا يفطر في المساء، ويصله بصيام يوم آخر.

رَحْمَةً لَهُمْ، فَقالوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَال: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» مُتَّفَقٌ عليه. مَعْنَاهُ: يَجْعَلُ فِيَّ قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ.

٢٣٢ ـ وَعن أَبِي قَتَادَةَ الحَارِث بن رِبْعِيٍّ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي[١]، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٣٣ ـ وعن جُنْدُبِ بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ[٢] فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ[٣]، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٣٤ ـ وعن ابنِ عمر رضي اللَّه عنهما، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ[٤]، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ[٥] عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا[٦]، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ[٧] أَخَاهُ المسلم» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٢٣٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلَا

---

(١) «فأتجوّز في صلاتي» أي أخفف في الصلاة رحمةً بأمّه.

(٢) «في ذمة اللّه» أي من صلّى الفجر في جماعة فهو في أمانة اللّه وعهده..

(٣) «فلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللّه» أي لا تؤذوا هذا المؤمن، فتتعرضوا لنقض عهد اللّه، وتستحقوا عقابه بنار الجحيم.

(٤) «لا يُسلمه» لا يتركه للأعداء بدون نصرة.

(٥) «من فرّج كربة» أي أزال عن مسلم شدّةً من شدائد الدنيا، أزال اللّه عنه أهوال وشدائد يوم القيامة.

(٦) «التقوى ههنا» أي في القلب مصدر الخير أو الشر.

(٧) «أن يحقر أخاه» أي يكفي الإنسانَ من مقارفة الشرّ، أن يحتقر أخاه المسلم.

تَنَاجَشُوا[١] وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا[٢] وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ[٣]، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً[٤]. المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا (وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ) بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُه» رَوَاهُ مسلِم.

٢٣٧ ـ وعن أَنسٍ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسول اللَّه أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: تَحْجُزُهُ ـ أَوْ تَمْنَعُهُ ـ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٣٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدعْوَةِ[٦]، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «حَقُّ المُسْلِمِ على المسلم سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ[٧] وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٤٠ ـ وَعن أَبي عُمَارَةَ «البَرَاءِ بن عازِبٍ» رَضِي اللَّه عنهما قال: «أَمَرَنَا رسول اللَّه ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ،

---

(١) «ولا تناجشوا» النَّجْشُ: أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ليغرّ غيره.

(٢) «ولا تدابروا» أي لا يهجر أخاه ويعرض عنه، ويجعله كالشيء الذي هو وراء الظهر.

(٣) «ولا يبع بعضكم» أي لا يقدم على شراء سلعة، ويدفع فيها ثمناً أكثر، إذا كان غيره يريد شراءها، لأن هذا يورث العداوة.

(٤) «وكونوا إخواناً» أي متحابين، متعاطفين، متآخين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

(٥) «لا يؤمن أحدكم» أي لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه المسلم ما يحبُّه لنفسه.

(٦) «وإجابةُ الدعوة» أي دعوة العرس لتناول الطعام كما قال ﷺ لبعض أصحابه: «أولِمْ ولو بشاة» وهي سُنّة في جميع الولائم.

(٧) «وإذا عطس فشمّته» أي قل له: يرحمكم اللّه.

وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ[١]، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ، وَنَهَانَا عَنْ تَخَتُّمٍ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِالفِضَّةِ، وَعَنِ المَيَاثِرِ الحُمْرِ[٢]، وَعَنِ القَسِّيِّ[٣]، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ، وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «وَإِنْشَادِ الضَّالَّةِ فِي السَّبْعِ الأُوَلِ».

❁❁❁

بابٌ في ستر عورات المُسلمينَ والنّهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[٤] [النور: ١٩].

٢٤١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٤٢ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ[٥]، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنه» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٤٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا[٦] فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا[٧]، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا

---

(١) «إبرار المقسم» أي إذا حلف عليك بالله، فلا تدعه يحنث ويُكَفِّرْ عن يمينه، بل أجبه لطلبه حتى يكون باراً بيمينه.

(٢) «المياثر الحمر» هو ما يُتَّخذ من الحرير، ويُحشى بالقُطن ويجعل على ظهر البعير للركوب.

(٣) «القسي» هي ثياب الحرير والكتان المختلطين.

(٤) ﴿أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي يحبون أن تفشو وتنتشر الرذائل والقبائح بين المؤمنين، ويسعون إلى إشاعتها كالزنى، والتكشف، وسائر المنكرات، لهم عذاب شديد مؤلم.

(٥) «إلا المجاهرين» المجاهرُ: الذي يُظهر المعصية ويُحدِّث بها كالمفتخر، لترغيب الناس في القبيح.

(٦) «فتبيَّن زناها» أي انكشف أمرها بمقارفة جريمة الزنى.

(٧) «ولا يُثرِّب» أي يقيم عليها الحدَّ، ولا يبالغ في التوبيخ والعقاب.

الحَدِّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ» مُتَّفَقٌ عليه. «التَّثْرِيبُ»: التَّوْبِيخُ.

٢٤٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْراً، قَالَ: اضْرِبُوهُ، قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّه[1]، قال: لا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في قضاء حوائج المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

٢٤٥ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُه وَلَا يُسْلِمُهُ[2]، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّه عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٤٦ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عَنهُ، عن النبي ﷺ قالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّه فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّه لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ[3]، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ[4]، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ[5]، وَذَكَرَهُمُ

(١) «أخزاه الله» أي أهانه الله وأبعده من رحمته.
(٢) «ولا يُسْلِمُه» أي لا يترك نصرته ويتركه للأعداء.
(٣) «نزلت عليهم السكينة» أي راحةُ النفس وطمأنينة القلب.
(٤) «وغشيتهم الرحمةُ» أي عمّتهم رحمة الله.
(٥) «وحفّتهم الملائكةُ» أي أحاطت بهم بأجنحتها من كل جانب.

اللَّه فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ[1] لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في الشفاعة

قال اللَّه تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

٢٤٧ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: كان النبي ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقال «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّه عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحبَّ»[2] مُتَّفَقٌ عليه. **وفي رواية:** «مَا شَاءَ»!!

٢٤٨ ـ وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما في قِصَّةِ بَرِيرَةَ وَزَوْجِها، قال: قَال لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَال: إِنَّمَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لا حَاجَةَ لِي فِيهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في الإصلاح بَيْنَ النَّاسِ

قال اللَّه تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢٤٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى[4] مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ

---

(١) «بطأ به عمله» أي أخره عمله الصالح، لم ينفعه النسب.

(٢) «اشفعوا تُؤجروا» أي من قصدكم بشفاعة فاشفعوا له، لتنالوا الأجر، ولا يتمُّ إلا ما قدَّره اللَّهُ.

(٣) **معنى الآية:** لا خير في كثير مما يتحدث به الناس في السرّ والخفاء، إلا إذا كان فيه مصلحة ومنفعة للخلق.

(٤) «كل سُلامي» أي كلُّ مفصل في الإنسان عليه صدقة.

الاثْنَيْنِ [١] صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى [٢] عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٠ ـ وعن أُمِّ كُلْثُوم «بنتِ عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيط» رضي اللَّه عنها قالت: سمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْراً [٣]، أَوْ يَقُولُ خَيْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية مسلم زيادة، قالت: «وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ [٤]، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا».

٢٥١ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «سمِع رسول اللَّه ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ [٥] الآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ [٦] فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ [٧]، لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟! فقال: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٢ ـ وعن أبي العباس سهل بن سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللَّه عنه «أَنَ رسول اللَّه ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ، كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ رسولُ اللَّه ﷺ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ، فِي أُنَاسٍ مَعَه، فَحُبِسَ [٨] رسول اللَّهِ ﷺ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي اللَّه عنهما فقال: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رسول اللَّه ﷺ قَدْ

---

(١) «تعدل بين الاثنين» أي تصلح بينهما بالعدل.

(٢) «وتميط الأذى» أي تُبعد الأذى وتنحّيه عن طريق المسلمين.

(٣) «فينمي خيراً» أي ينقل كلاماً فيه خير للتوفيق والإصلاح بين الخصوم.

(٤) «وحديث الرجل امرأته» مثلُ أن يقول لها: إِنِّي أُحِبُّكِ، وهو يكرهها، أو أذيع أقوال الناس عندي، وهو غير صادق فيه، وذلك من أجل استدامة الحياة الزوجية بينهما، فمثل هذا الكلام غير الصادق لا إثم فيه.

(٥) «يستوضعه» أي يطلب منه أن يضع عنه بعض دَيْنه.

(٦) «يسترفقه» يسأله الرِّفق في بعض الأمور.

(٧) «المتألي» أي الحالف باللَّه ألّا يفعل الخَيْر، فكأنه يتعالى على ربه.

(٨) «فَحُبِسَ رسولُ اللَّهِ» أي تأخّر عند القوم وأمسكوه ليصلّوه.

حُبِسَ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاس؟ قال: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلالٌ الصَّلاةَ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فكبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رسول اللَّه ﷺ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ، وَكَانَ أَبُو بَكْر رَضِي اللَّه عنه لا يَلْتَفِتُ في صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ، الْتَفَتَ، فَإِذَا رسول اللَّه ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رسول اللَّه ﷺ[1]، فَرَفَعَ أَبُو بَكْر رضي اللَّه عنه يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى[2] وَرَاءَهُ، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ، فَتَقَدَّمَ رسول اللَّه ﷺ فَصَلَّى لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فقال: أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ[3] شَيْءٌ فِي الصَّلاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيقِ؟! إِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّه، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّه، إِلَّا الْتَفَتَ، يَا أَبَا بَكْر: مَا مَنَعَكَ أَن تُصَلِّي بِالنَّاسِ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ؟ فقال أبو بَكْر: مَا كَانَ يَنْبَغِي لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ[4] أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاس بَيْنَ يَدَيْ رسول اللَّه ﷺ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في فضل ضَعَفَةِ المُسلمين والفقراء والخاملين

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٥٣ ـ عن حَارِثَة بْنِ وَهْبٍ رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ[5]، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[6] مُسْتَكْبِرٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «فأشار إليه رسولُ اللَّه» أي أشار إليه أن يبقى في مكانه يؤمُّ الناسَ.

(٢) «رجع القهقرى» أي رجع يمشي إلى خلفه، ليتقدم رسول اللَّه ﷺ.

(٣) «حين نابكم» أي حين أصابكم شيء وأنتم في الصلاة.

(٤) «لابن أبي قحافة» أبو قُحافة: والد أبي بكر الصدِّيق، أي ما يحقُّ لي أن أكون إماماً بين يدي رسول اللَّه ﷺ؟ قاله تواضعاً وهضماً لنفسه، وتفخيماً لأمر الرسول ﷺ.

(٥) «ضعيف متضعَّف» أي كل مؤمن ضعيف، يقهره الناسُ ويستضعفونه، ولا يبالون به، لو أقسم على اللَّه لاستجاب قَسَمه.

(٦) «كل عُتُلٍّ جوّاظ» أي كلُّ غليظ القلب، مختالٍ في مشيته متكبّر.

«العُتُلُّ»: الغَلِيظُ الجَافِي. «وَالجَوَّاظُ» الجَمُوعُ المَنُوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ.

٢٥٤ ـ وعن أبي العباس «سهل بن سعدٍ الساعِدِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ على النبيِّ ﷺ، فقال لرَجُلٍ[١] عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ[٢] إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فقال: يا رسول اللَّه هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أن لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٥ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ[٣]، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ[٤] وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ[٥]، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَ: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي، أُعَذِّب بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُما عَلَيَّ مِلْؤُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٥٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[٦] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ[٧]، أَوْ

---

(١) «فقال لرجل» هو أبو ذر الغفاري.

(٢) «حريٌ به» أي جديرٌ به وحقيقٌ أن يزوّجه الناسُ، ويقبلون شفاعته إذا شَفَع لأحد، لشرفه ومكانته، ومراد الحديث أن الناس، ينظرون إلى الظاهر، ولا يعرفون حقائق النفوس، ولهذا قال ﷺ عن الرجل الضعيف: هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا!! لأنَّ اللَّهَ لا ينظر إلى الصور والأجسام، ولكنْ ينظر إلى القلوب والأعمال.

(٣) «احتجّت الجنة والنار» أي تخاصمت وتجادلت، والمقصودُ حكاية ما يقع بينهما من التخاصم، الذي فيه معنى الشكاية حيث يفصل اللَّه بينهما.

(٤) «فيَّ الجبّارون» أي الظلمة المتكبرون أصحاب الفخامة والعظمة.

(٥) «فيَّ ضعفاءُ الناس» أي الفقراء الضعفاء الذين لا يُؤبه لهم، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن أكثرَ أهلِ الجنة: الفقراءُ الضعفاء، وأكثر أهل النار: الأغنياءُ المترفون المتكبرون.

(٦) «لا يزن عند اللَّه جَنَاحَ بعوضة» أي حقير لا قدر له عند اللَّه، وفي بعض روايات الحديث قال ﷺ واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

(٧) «تقمُّ المسجدَ» أي تكنسه وتنظّفه، والقُمامةُ: الكُناسة.

شَابّاً، فَفَقَدَهَا أَوْ فَقَدَهُ رسول اللّه ﷺ «فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ، فَقالوا: مَاتَ. قال: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي[١] به؟ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فقال: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قال: إِنَّ هَذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللّهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٨ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ[٣] أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ[٤] لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٥٩ ـ وعن أُسَامَةَ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ[٦] مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ[٧]، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٦٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: «عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ»، وَ«صَاحِبُ جُرَيْجٍ»، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدّاً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي[٨]!! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي!! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي!! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ الَى وُجُوهِ المُومِسَاتِ[٩]!. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ

---

(١) «أفلا كنتم آذنتموني»؟ أي أعلمتموني بموته.

(٢) «بصلاتي عليهم» أي بدعائي لهم ينوّر الله قبورهم.

(٣) «ربّ أشعث» أي ملبّد الشعر، غير مدهون ولا مُرَجَّل.

(٤) «مدفوع بالأبواب» أي يدفعه الناس عن أبوابهم، احتقاراً له.

(٥) «لو أقسم على الله لأبرّه» أي لو حلف على وقوع شيء، أوقعه الله إكراماً له، لعظم منزلته عند الله، وإن كان حقيراً عند الناس.

(٦) «عامّةُ من دخلها» أي معظم من دخلها المساكين والفقراء.

(٧) «وأصحاب الجَدِّ» أي الحظّ والغنى (محبوسون) للحساب لم يُؤذن لهم بعدُ في الدخول.

(٨) «أمّي وصلاتي» أي اجتمع عليّ إجابة أمي، وإتمامُ صلاتي، فآثر البقاء في الصلاة.

(٩) «المومسات» أي الزواني من النساء.

بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ «جُرَيْجٍ»، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فقال: مَا شَأْنُكُمْ؟ قالوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ!؟ قال: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ فقال: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي[1]، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قال: لا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ[2]، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فقال: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ (فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رسول اللَّه ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا)، قال: ومَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ. فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا! فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثَ، فقالت: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قال: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّاراً فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

(١) «فلان الراعي» أي تكلّم الطفل وأخبر أن أباه الراعي، وهذا هو الثاني، من الذين تكلموا في المهد، وهو صاحب جريج.

(٢) «دابة فارهة» أي حسنة جميلة، وصاحبها له هيئةٌ وجمال، وهذا الصبي هو الثالث الذي تكلم في المهد. وفي هذا الحديث بيانُ عظم حق الوالدين، وإجابة دعائهما حتى ولو كان الإنسان في الصلاة.

بابٌ في مُلاطفة اليتيم والبنات، وسائر الضَّعَفَة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم، والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

٢٦١ ـ وعن سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فقال المُشْرِكُونَ للنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ[1] عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا!! فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رسول الله ﷺ مَا شَاءَ اللَّه أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ[2]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦٢ ـ وعن أبي هُبَيْرَةَ «عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو المُزَنِيِّ» وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رضي الله عنه «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا[3]، فقال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فقال: يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ

---

(١) «لا يجترئون علينا» أي لئلا يتجرؤوا على مخالطتنا وهم دوننا في الشرف!.

(٢) «فحدّث نفسه» أي حدّث ﷺ نفسه أن يبعدهم عنه، لما يعلم من كمال يقين أصحابه، ومخالطة الإيمان قلوبهم، طمعاً في إسلام رؤساء قريش، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾ الآية.

(٣) «ما أخذت السيوف مأخذها» أي لم تستوف حقها من عدوّ الله (أبي سفيان) حين كان مشركاً!!

أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦٣ ـ وعن سهل بن سعدٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ[2] فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ـ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ـ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ الرَّاوِي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقوله ﷺ: «الْيَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ» مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَوِ الْأَجْنَبِيُّ مِنْهُ، فَالْقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفُلَهُ أُمُّهُ، أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ، أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٢٦٥ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ».

٢٦٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ وَأَحْسَبُهُ قَالَ: ـ وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٦٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يا أخي» أي يا أخانا في اللَّه ورُوي (ياأُخَيَّ) بضم الهمزة تصغير أخي.. وفي الحديث دلالة على مكانة هؤلاء الفقراء الضعفاء عند اللَّه، إذْ حذَّر الرسول ﷺ من إغضابهم.

(٢) «كافل اليتيم» الذي يقوم بشؤون تربيته، وتفقُّد أحواله.

(٣) «المسكين الذي يتعفَّف» أي يترك سؤال الناس مع فقره وحاجته.

وفي رواية في «الصحيحين» عن أبي هريرة من قوله: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ».

٢٦٨ ـ وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ[١] حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦٩ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ[٢]، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فقال: مَنِ ابْتُلِيَ[٣] مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٧٠ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لها، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسول الله ﷺ فقال: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٧١ ـ وعن أبي شُرَيح «خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرٍو الخُزَاعِيِّ» رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: اليَتِيمِ، وَالمَرْأَةِ»[٥] حديث حسن رَوَاهُ النسائي بإسنادٍ جيد.

ومعنى: «أُحَرِّجُ»: أي أُلحِقُ الحَرَجَ، وَهُوَ الإِثْمُ، بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيراً بَلِيغاً، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْراً أَكِيداً.

---

(١) «من عال جاريتين» أي بنتين فقام عليهما بالتربية والنفقة.

(٢) «ومعها ابنتان تسأل» أي تسأل العون والإحسان.

(٣) «من ابْتُلِي من هذه البنات» أي امتحن واختُبر بالبنات، ورُزِق بهنَّ.

(٤) «سِتراً من النار» أي حجاباً من نار جهنم.

(٥) هذه هي عناية الإسلام بالنساء والأيتام، ووصيته بهم، فقد جعل الإثم والعقاب على من أساء إلى امرأةٍ أو يتيم، لأن المرأة ضعيفة، واليتيم يحتاج إلى من يواسيه ويحميه، فما أحسن إليهن إلا كريم، ولا أساء معاملتهن إلا لئيم.

٢٧٢ ـ وعن مُصْعَبِ بْنِ سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنهما قال: «رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً[١] عَلَى مَنْ دُونَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَكَذَا مُرْسلاً، فَإِنَّ مُصْعَبَ بن سعدٍ تَابِعِيٌّ، ورَوَاهُ الحافظُ «أبو بكر البَرْقَاني» في صحيحه مُتَّصِلاً عن مُصْعَب عن أبيه رضي الله عنه.

٢٧٣ ـ وعن أبي الدَّرْدَاءِ عُوَيْمِرٍ رضي الله عنه قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «ابْغُونِي[٢] الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ بِضعَفَائِكُمْ» رَوَاهُ أبو داود بإسناد جيد.

❁❁❁

بابٌ في الوصيّة بالنساء

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣] [النساء: ١٢٩].

٢٧٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ[٤] خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي

---

(١) «رأى أن له فضلاً» أي ظَنَّ أنَّ له فضلاً على غيره، لقوته وشجاعته، فنبهه ﷺ على أن الله ينصر الأمة بالضعفاء بدعائهم وصلاحهم.

(٢) «ابغوني» أي اطلبوا لي، وقَرِّبوا مني الضعفاء، فإنما يُنصر المؤمنون ويُرزقون بالضعفاء والفقراء والمساكين، وفي هذا الحديث بيان لفضل ضعفاء المسلمين، لأنهم أشدُّ إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخارف الدنيا؟!

(٣) هذه الآية نزلت كما قال ابن عباس، في ميل القلب والحبِّ والاستمتاع، ومعناها: لن تستطيعوا تحقيق العدل التام الكامل بين النساء، وتسوُّوا بينهن في المحبة والأنس، والاستمتاع، ولو بذلتم أقصى وُسْعكم، لأن المحبة، وميل القلب، ليس بمقدور الإنسان، فلا تميلوا ميلاً كاملاً عن إحدى الزوجات، فتجعلوها كالمعلَّقة التي ليست بذات زوج ولا مطلَّقة، تشبيهاً لها بالمعلَّق بين السماء والأرض، وهذا من أبدع التمثيل والتشبيه، ولقد كان ﷺ يعدل بين نسائه في القسمة ويقول: «اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» رواه الترمذي.

(٤) «استوصوا بالنساء» السينُ والتاء للطلب، أي اطلب منكم أن تستوصوا خيراً بالنساء، فإنهن =

الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ وَفِيهَا عِوَجٌ».

وفي رواية لمسلم: «إِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، وَفِيهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاقُهَا». قولُهُ: «عِوَجٌ» هو بفتح العينِ والواوِ.

٢٧٥ ـ وعن عبد اللَّهِ بن زَمْعَةَ رضي اللَّه عنه «أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَخْطُبُ ـ وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا ـ فقال رسول اللَّه ﷺ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ انْبَعَثَ لَها رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ[1] منيع في رَهْطِهِ[2] ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، فَوَعَظَ فِيهِنَّ، فَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا[3] مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ» ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ وقال: لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟» متفقٌ عليه. «وَالْعَارِمُ» الشِّرِّيرُ المُفْسِد، وقولُهُ: «انْبَعَثَ»، أَيْ: قَامَ بِسُرْعَةٍ.

٢٧٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْها خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[4] أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقولُهُ: «يَفْرَكْ» معناه: يُبْغِضْ، يقالُ: فَرِكَتِ المَرْأَةُ زَوْجَهَا، وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا، بكسر الراءِ يَفْرَكُهَا بفتحها: أَيْ: أَبْغَضَهَا، واللَّه أعلم.

٢٧٧ ـ وعن عَمْرِو بن الأَحْوَصِ الجُشَمِيِّ رضي اللَّه عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ

= ضعيفات عاجزات عن الانتصار لأنفسهن، وقد شبههن ﷺ بالضلع المنحني إذا أراد أحد تسويته انكسر، ويدل على أن الحديث على التشبيه الرواية الأخرى «المرأة كالضلع . . .» الحديث.

(١) «عزيز عارم» أي رجل قوي، شرّير مفسد، أشنى القوم، الذي عقرَ الناقة.

(٢) «منيعٌ في رهطه» أي ذو قوةٍ ومَنَعة في عشيرته وقومه.

(٣) «لعله يضاجعها» أي يجلدها في النهار، ثم يجامعها في الليل؟ كيف يليق به أن يصنع ذلك!؟ وفيه تقبيح وزجر للرجل الذي يضرب زوجته، ثم ينام معها في فراش واحد يستمتع بها في الليل.

(٤) **معنى الحديث**: لا يبغضْ المؤمن زوجته المؤمنة، فإن كان فيها خُلُقٌ سيئٌ، ففيها أخلاق أخرى حسنة، والحسنةُ تستر وتمحو السيئة.

في حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّه تعالى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قال: «أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّما هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ[١]، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ[٢] مُبَيِّنَةٍ، فإن فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ في الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ[٣]، فإنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً[٤]، أَلا إن لكم عَلَى نِسائِكُمْ حقاً، ولِنِسَائِكُم عليكم حقاً، فحقكم عليهن أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٢٧٨ ـ وعن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ رضي اللَّه عنه قال: «قلت يا رسولَ اللَّه ما حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قال: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلَّا في الْبَيْتِ» حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ أبو داود، وقال: معنى «لا تُقَبِّحْ» أي: لا تَقُلْ قَبَّحَكِ اللَّهُ.

٢٧٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢٨٠ ـ وعن إياس بن عبد اللَّه بن أبي ذُبابٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ[٥]» فَجَاءَ عُمَرُ رضي اللَّه عنه إلى رسول اللَّه ﷺ، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ[٦] عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ في ضَرْبِهِنَّ[٧]،

---

(١) «عوانٍ عندكم» شبَّههنَّ ﷺ بالأسيرات، لدخولهن تحت حكم الأزواج، والأسير ينبغي الإحسان إليه، والعطف عليه.

(٢) «بفاحشة مبينة» أي ذنب كبير كالنشوز والعصيان، وسوء العشرة.

(٣) «ضرباً غير مبرِّح» أي غير شديد ولا شاق، بسواكٍ ونحوه، لإخراج الشيطان من رأسها، لا لكسرها وتحطيمها.

(٤) «عليهن سبيلاً» أي لا تطلبوا طريقاً تحتجُّون به على إيذائهن وضربهن، فاللَّه أكبر منكم وأقدر.

(٥) «لا تضربوا إماء اللَّه» المراد بالإماء: النساء.

(٦) «ذئرن النساء» أي تطاولن واجترأن على أزواجهن.

(٧) «فرخَّص في ضربهن» هذا الترخيص علاج في بعض الحالات، التي يستعصي فيها على الرجل إصلاح المرأة، بالنصح والإرشاد، ثم بالهجر في المضاجع، وضربُها أهون من=

فَأَطَافَ[١] بِآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فقال رسول الله ﷺ: لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِير، يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

قوله: «ذَئِرْنَ» أَيْ: اجْتَرَأْنَ، قوله: «أَطَافَ» أَيْ: أَحَاطَ.

٢٨١ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَة الصَّالِحَةُ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في حقّ الزوج على المرأة

قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[٣] [النساء: ٣٤].

وأَمَّا الأَحَادِيثُ فَمِنْهَا حَدِيثُ عَمْرو بنِ الأَحْوَصِ السَّابق في الْبَاب قَبْلَهُ.

٢٨٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ[٤]، فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا[٥]، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لهما «إِذا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى

= إيقاع الطلاق عليها، إذا ما تمردت وعصت، وجعلت الحياة الزوجية، جحيماً لا يطاق، وكما قيل: (عند ذكر العمى يُستحسن الغَوَرُ)!!

(١) «فأطاف» أي أحاط ببيوت أزواج النبي نساء كثيرات.

(٢) «الدنيا متاع» أي منفعة وشهوة يتسلّى بها الإنسان، وخير تسلية ومنفعة في هذه الدنيا: المرأة الفاضلة الصالحة، التي تعرف حق الله وحقّ زوجها فتسعِدُه وتسعد معه.

(٣) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية أي يقومون عليهن قيام الوُلاة على الرعية، بالتربية والتعهد والإنفاق، وقد فضّل الله الرجال على النساء بالعقل الكامل، وحسن التدبير، ومزيد القوة للقيام بشؤون الحياة، وليست القوامة قوامة استعباد، إنما هي قوامة مسؤولية وإرشاد.

(٤) «دعاها إلى فراشه» كناية لطيفة عن الجماع، أي دعاها للمعاشرة الزوجية.

(٥) «فبات غضبان عليها» أي بات ساخطاً عليها.

فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ[1] سَاخِطاً عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا».

٢٨٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ[2] وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري.

٢٨٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ[3]، ومَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّته، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وهو مسؤول عَنْ رعيَّته، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رعيَّتها، وَالخَادِمُ راعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤُولٌ عَنْ رعيَّته، فكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٨٥ ـ وعن أبي عَلي طلق بن علي رضي الله عنه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ[4] لحاجته فَلْتَأْتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٢٨٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٢٨٧ ـ وعن أُمِّ سَلَمَة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديث حسن.

٢٨٨ ـ وعن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ

---

(١) «كان الذي في السماء ساخطاً عليها» أي كان الله تعالى ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها، لأنها أساءت عشرة الزوج، وهو طريقٌ إلى حصول العداوة والبغضاء بينها وبينه، وربما كان سبباً لدمار الأسرة، بالطلاق والفراق.

(٢) «أن تصوم» أي تطوعاً ونفلاً إلا بإذن زوجها، لأنه قد يتشوّق إلى مضاجعتها، وأما الفرض فلا يحتاج إلى إذن.

(٣) «كلكم راعٍ» الراعي: هو الحافظ المؤتمن، المكلّف بإصلاح ما هو قائم عليه، من الحفظ والرعاية لشؤون الغير، وفي الحديث دلالة على أن كل إنسان من الحاكم إلى الخادم، مطالبٌ بالعدل، والقيام بمصالح الغير، في دينه، ودنياه، وكل أحواله.

(٤) «إذا دعا الرجل زوجته» أي إذا دعاها إلى الفراش فلتأته، ولو كانت تخبز الخبز في التنور، لقضاء حاجته، فقد تكون شهوته الجنسية، قد غلبت عليه برؤية امرأة، وخاف على نفسه.

زَوْجَهَا في الدُّنْيَا، إلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ لا تُؤْذِيهِ[١]، قَاتَلَكِ اللَّه! فَإنَّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إلَيْنَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديث حسن.

٢٨٩ ـ وعن أسامَة بن زيد رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً[٢]، هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في النَّفقة على العِيَال

قال اللَّه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

٢٩٠ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ[٣]، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ[٤]، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٩١ ـ وعن أَبي عبد اللَّه ـ وَيُقَالُ له: أبو عبدِ الرَّحمنِ «ثَوْبَانُ بْنُ بُجْدَدَ» مَوْلَى رسول اللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ[٥] في سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لا تؤذيه قاتلك اللَّه» أي لا تؤذي زوجك فلنا به حقٌّ، وإنما هو ضيف ونزيل عندك، وعمَّا قريب يفارقك إلينا.

(٢) «ما تركت فتنة» أي ليس هناك محنة وبلاء، على الرجال، أعظم من فتنة النساء، وهذا تحذير للرجال من الوقوع في شباك النساء، فالفتنة بهن أعظم الفتن، ولهذا بدأ اللَّه بهن في قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية.

(٣) «في رقبة» أي دينار أنفقته لعتق رقبة لتخليصه من الرِّق.

(٤) «على أهلك» المراد من يجب عليه نفقته كالزوجة والأولاد، قال أبو قلابة: وأيُّ رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفُّهم؟

(٥) «على دابته» أي التي أعدَّها للجهاد في سبيل اللَّه.

٢٩٢ ـ وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالَتْ: «قلتُ يا رسولَ الله، هَلْ لي أَجْرٌ في بَني أبي سَلَمَةَ، أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ؟ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هكَذَا وَهَكَذَا[١]، إِنَّمَا هُمْ بَنيَّ؟ فقال: نَعَمْ لَكِ أَجْرُ ما أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٣ ـ وعن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه في حديثِهِ الطَّويلِ، الذي قَدَّمْنَاهُ في أَوَّلِ الْكِتَابِ، في بَابِ النِّيَّةِ أَنَّ رسول الله ﷺ قال له: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً، تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فِيِّ امْرَأَتِكَ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٤ ـ وعن أَبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا[٣]، فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٥ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[٤] حديثٌ صحيحٌ رَوَاهُ أبو داود وغيره.

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ في صحيحه بِمَعْنَاهُ قال: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أن يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

٢٩٦ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً[٥]، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[٦] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٧ ـ وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «الْيَدُ الْعُلْيَا[٧] خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهرِ غِنًى[٨]، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ، يُغْنِهِ اللهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «بتاركهم هكذا وهكذا» أي يتفرقون في طلب القوت يميناً وشمالاً.

(٢) «في في امرأتك» أي اللقمة تضعها في فمها.

(٣) «يحتسبها» أي يقصد بها وجه الله تعالى وثوابه.

(٤) «من يقوت» أي من يجب أن يطعمه وينفق عليه.

(٥) «منفقاً خَلَفاً» أي اخلف على من أنفق، وهذا في الطاعات والقربات، وعلى العيال والضيوف.

(٦) «ممسكاً تَلَفاً» أي أتلِفْ مال البخيل الذي لا ينفق ولا يتصدّق!!

(٧) «اليد العليا»: هي المعطية، والسُّفلى: هي السائلة.

(٨) «عن ظهر غنى» أي أفضل الصدقة أن يخرج من ماله ويبقي له ما يكفيه.

بابٌ في الإنفاق مما يحبّ ومن الجيد

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا[1] الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢٩٨ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ أَبُو طَلْحَة رضي الله عنه أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْل، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاء، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رسول الله ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب[2] قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ الله تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإِنَّ أَحَبَّ مَالي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّها صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تعالى، فَضَعْهَا يا رسول الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، فقال رسول الله ﷺ: بخ[3]! ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِينَ!! فقال أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسول الله، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَة في أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ ﷺ: «مَالٌ رَابِحٌ» رُوِيَ في الصحيحين «رَابِحٌ» و «رَايِحٌ» بالباءِ الموحدةِ وبالياءِ المثناةِ، أَيْ: رَايِحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ، و «بَيْرَحَاءُ» حَدِيقَةُ نَخْلٍ.

❁❁❁

بابٌ في وجُوب امره اهله واولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة، وتاديبهم، ومنعهم من ارتكاب مَنْهِيٍّ عنه

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الرديء تنفقون منه.

(٢) «من ماء طيب» أي عذب حلو.

(٣) «بَخٍ» كلمةٌ لتفخيم الأمر والإعجاب به، أي ما أحسنَ هذا؟

٢٩٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا في فِيهِ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: كُخْ كُخْ[١]! ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ!؟» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ «أَنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ».

٣٠٠ ـ وعن أبي حَفْصٍ «عُمَرَ بن أبي سَلَمَة» رَبِيبِ رسولِ اللَّه ﷺ قال: «كُنْتُ غُلاماً في حِجْرِ[٢] رسول اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ[٣]، فقال لي رسول اللَّه ﷺ: يَا غُلامُ سَمِّ اللَّه تعالى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ!! فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي[٤] بَعْدُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠١ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإمامُ رَاعٍ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠٢ ـ وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جَدِّهِ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»[٥] حديثٌ حسنٌ، رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

٣٠٣ ـ وعن أبي ثُرَيْدَةَ «سَبْرَةَ بن مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ» حديث حسنٌ رَوَاهُ أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن، وَلَفْظُ أبي دَاوُدَ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ».

---

(١) «كُخ، كُخ» كلمةُ زجرٍ لترك المستقذرات، وكان الحسن صغيراً.

(٢) «في حجْر» أي في حمايته وكَنَفه، وأصلُ الحجر: الحِضْنُ.

(٣) «تَطِيشُ» أي تدور في جوانب القصعة أي الإناء.

(٤) «طِعْمَتي» أي صفةُ أكلي، وفي الحديث تعليمُ الصبيان آداب الأكل.

(٥) «فرِّقوا بينهم في المضاجع» أي لا تتركوا الذكور ينامون بجانب الإناث، إذا بلغوا سنَّ العاشرة «بداية المراهقة».

بابٌ في حَقّ الجار والوصيّة به

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ[1] وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

٣٠٤ ـ وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠٥ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية له عن أبي ذرٍّ قال: «إن خليلي ﷺ أَوْصَانِي: إذا طَبَخْتَ مَرَقاً فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

٣٠٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ!! قِيلَ: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

٣٠٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً في جِدَارِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أبو هريرة: مَالِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ[5]! واللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ»[6] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي الذي بينك وبينه قرابة ﴿والجَارِ الجُنُبِ﴾ أي البعيد ﴿والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ﴾ الرفيق في السفر أو طلب العلم ونحوه.

(٢) «سيورِّثه» أي حتى قلتُ: سيرثُ الجارُ جارَه، من كثرة ما أوصاني به جبريل عليه السلام.

(٣) «من لا يأمن جارُهُ بوائقه» البوائقُ: الشرورُ والغوائل، أي لا يؤمن من لا يخلص جارُه من شروره ومكايده.

(٤) «فِرْسِنَ شاة» أي ولو قَدَمَ شاة، ومعنى الحديث: لا تمتنع جارةٌ من الصَّدَقَة والهدية، ولو كان شيئاً قليلاً كقدم الشاة.

(٥) «مالي أراكم معرضين»؟ يعني عن هذه السُّنَّة النبوية!!

(٦) «بين أكتافكم» أي سأصرِّح بها بينكم، وأوجعكم بالتقريع بها.

٣٠٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ، فلا يُؤْذ جاره، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ»[1] مُتَّفَق عليه.

٣١٠ ـ وعن أَبي شُرَيْح الخُزاعِيِّ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَوم الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إلى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَوم الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه.

٣١١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله: إنَّ لي جَارَيْنِ، فَإلى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قال: إلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَاباً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣١٢ ـ وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ[2] عِنْدَ اللَّه تعالى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّه تعالى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁❁❁

بابٌ في برّ الوالدين وَصلة الأرحام

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[3] [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[4] الآية [الرعد: ٢١].

---

(١) «خيراً أو ليسكت» قال الشافعي رحمه الله: ينبغي أن يتفكّر فيما يقول، فإذا ظهر له أنه خير، وليس فيه مفسدة، أتى به، وإلا سكت.

(٢) «خير الأصحاب» أي الأصدقاء.

(٣) ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ والأَرْحَامَ﴾ أي اتقوا ربكم الذي يناشد بعضُكم بعضاً به، فيقول: أسألك بالله، وأنشدك بالله، واتقوا الأرحام أن تقطعوه.

(٤) ﴿أَن يُوصَلَ﴾ المراد بها صلةُ الرحم، التي أمر الله بوصلها.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ[1] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ[2] مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا[3] عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

٣١٣ ـ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ النبي ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلى اللهِ تَعَالَى؟ قال: الصَّلاةُ عَلى وَقْتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ[4]، قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣١٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً[5]، إِلَّا أن يَجِدَهُ مَمْلُوكاً، فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣١٥ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً، أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣١٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إذا فَرَغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هذا

---

(١) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي أمَرَ وفَرَض ألا تعبدوا غيره.

(٢) ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ استعارة لطيفة بديعة، حيث شبَّه الذلَّ بطائرٍ، له جناح يكسره ويضمُّه إليه عند الوقوف عن الطيران، ومعنى الآية: لِنْ جانبك لوالديك، وتواضع لهما بتذلُّل وخضوع، من فرط الرحمة والشفقة، قال سعيد بن جبير: اخضعْ لوالديك كما يخضع العبدُ للسيِّد الفظِّ الغليظ «تفسير الشوكاني».

(٣) ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً على ضعف، من حين الحمل إلى حين الولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه في تمام عامين.

(٤) «بِرُّ الوالدين» أي الإحسانُ إلى الوالدين بجميع وجوه الإحسان، قُدِّم برُّ الوالدين على الجهاد في سبيل الله، لعظيم حقِّهما، بعد حقِّ الله عزَّ وجل في الصلاة.

(٥) «لا يجزي ولدٌ والداً» أي لا يقوم ولد بأداء حقِّ والده عليه، ولا يكافئه بإحسانه، إلا أن يصادفه مملوكاً فيشتريه فيعتقه.

مُقَامُ الْعَائِذِ[١] بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ!! قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ[٢]، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بَلَى، قال: فَذٰلِكَ لَكِ، ثم قال رسول اللّٰه ﷺ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ[٣] إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]. مُتَّفَقٌ عليه».

وفي رواية للبخاري: قال رسول اللّٰه ﷺ: «مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ، قَطَعْتُهُ».

٣١٧ ـ وعنه رضي اللّٰه عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ اللّٰهِ ﷺ فقال: يا رسول اللّٰه مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أَبُوكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «يا رسول اللّٰه مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قال: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

٣١٨ ـ وعنه رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣١٩ ـ وعنه رضي اللّٰه عنه، أن رجلاً قال: «يا رسول اللّٰه إِنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ!! فقال: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّٰهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذٰلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

و«تُسِفُّهُمْ» بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء. و«المَلُّ» بفتح الميم، وتشديد اللام، وهو: الرَّمادُ الحارُّ، أي: كأنما تُطْعِمُهُمُ الرَّمادَ الحارَّ، وهو تشبيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الإثم بِمَا يُلْحَقُ آكِلَ الرَّمادَ الحارَّ مِنَ الأَلَم، وَلَا شَيْءَ عَلَى هٰذَا الْمُحْسِنِ إِلَيْهِمْ، لٰكِنْ يَنَالُهُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّهِ وَإِدْخَالِهِمُ الأَذَى عَلَيْهِ، واللّٰهُ أَعْلَم.

---

(١) «هذا مقام العائذ» أي مقام الملتجئ إليك يا رب من قطيعة الرحم!

(٢) «أصِلَ من وَصَلَك» أي أكرم وأرحم من وصلك، وأبْعِد وأعذِّب من قطعك!!

(٣) ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض..﴾ الآية والمعنى: لعلكم إن أعرضتم عن الإسلام، أن ترجعوا إلى الإفساد في الأرض بالمعاصي، وقطع الأرحام؟ وهؤلاء هم المطرودون من رحمة اللّٰه، الذين لا يسمعون ولا يفهمون!! (صفوة التفاسير).

٣٢٠ ـ وعن أنس رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ[١]، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ[٢]، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاءَ، وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ ماءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّه إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعالَى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أَحَبَّ مَالي إليَّ بَيْرَحَاءُ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تعالى، أَرْجُو بِرَّها وذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّه تعالى، فَضَعْهَا يا رسول اللَّه حَيْثُ أَرَاكَ اللَّه!! فقال رسول اللَّه ﷺ: بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ! ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ! وَقَدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِينَ!! فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسول اللَّه، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٢ ـ وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: «أَقْبَلَ رَجُلٌ إلى نَبِيِّ اللَّه ﷺ، فقال: أُبَايِعُكَ عَلى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ[٣] مِنَ اللَّه تعالى!! قال: فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قال: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قال: فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّه تعالى؟ قال: نَعَمْ، قال: فَارْجِعْ إلى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لَفْظُ مسلم.

وفي روايةٍ لَهُمَا: «جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ فقال: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»[٤].

٣٢٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ[٥] وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «يُبسط له في رزقه» أي يُوسّع عليه في الرزق.

(٢) «ويُنسأ له في أثره» أي يؤخّر له في عمره وأجله.

(٣) «أبتغي الأجر» أي اطلب الثواب من الله.

(٤) «ففيهما فجاهد» أي جاهد في والديك، بالطاعة لهما، والإحسان إليهما، والتلطف معهما، وفي الحديث دلالة عظيمة واضحة على فضيلة برّ الوالدين، وأنه آكد من الجهاد.

(٥) «ليس الواصل بالمكافئ» أي ليس الواصلُ الذي يعطي مكافأةً لغيره، مقابل ما أعطاه ذلك الغير، ولكنّ الواصل أن تصل من قَطَعك، والناس ثلاث درجات: واصل، ومكافئ، وقاطع.

٣٢٤ ـ وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللَّه، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٥ ـ وعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ «مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ» رضي اللَّه عَنْهَا، أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَومُهَا الَّذي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قالت: «أَشَعَرْتَ يا رسولَ اللَّه أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتي[1]؟ قال: أَوَ فَعَلْتِ؟» قالت: نَعَمْ. قال: أما إِنَّكِ لو أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كان أَعْظَمَ لأَجْرِكِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٦ ـ وعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي اللَّه عنهما قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشرِكَةٌ، في عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رسول اللَّه ﷺ قلتُ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ[2]، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قال: نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٧ ـ وعن زينبَ الثَّقَفِيَّةِ «امْرَأَةِ عبدِ اللَّهِ بن مسعودٍ» رضي اللَّه عنه وعنها قالت: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، قالت: فَرَجَعتُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فقلتُ له: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ[4] وَإِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قد أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ، فاسأَلْهُ، فإن كَانَ ذلِكَ يُجْزِىءُ عَنِّي، وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إلى غَيرِكُمْ!! فقال عبدُ اللَّهِ: بَلِ ائتِيهِ أَنتِ، فانْطَلَقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رسول اللَّه ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، وَكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ قد أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ المَهَابَةُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائتِ رسولَ اللَّه ﷺ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالبَابِ تَسأَلانِكَ: أَتُجْزِىءُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا على أَزْوَاجِهِمَا وَعَلى أَيْتَامٍ في حُجُورِهِمَا؟[5] وَلا تُخْبِرْهُ مَنْ نحنُ، فَدَخَلَ بِلالٌ عَلى رسول اللَّه ﷺ، فَسَأَلَهُ، فقال لهُ رسولُ اللَّه ﷺ «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟» قال: امْرَأَةُ عبدِ اللَّهِ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ القَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «أعتقتُ وليدتي» أي أعتقتُ جاريتي وأَمَتي.

(٢) «وهي راغبة» أي طامعة فيما عندي تسألني العون.

(٣) «صِلِي أمَّك» أي أكرميها وصليها بالعطاء، ولو كانت غير مسلمة، فإن واجب الإحسان واجب لكل قريب.

(٤) «خفيفُ اليد» أي قليلُ المال ومحتاج للمساعدة.

(٥) «أيتام في حجورهما» أي في ولايتهما وتربيتهما.

٣٢٨ ـ وعن أبي سُفْيَانَ «صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ» رضي اللَّه عنه في حَدِيثِهِ الطَّويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ، أنَّ هِرَقْلَ قال لأبي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ قال: قلت: يقولُ: «اعْبُدُوا اللَّه وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، واتْرُكُوا ما يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَّلاةِ، والصِّدْقِ، والعَفافِ، والصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٩ ـ وعن أبي ذرّ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ».

وفي روايةٍ: «سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرَاً، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً»[1].

وفي روايةٍ: «فإذا افْتَتَحْتُمُوهَا، فَأَحْسِنُوا إلى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً، أو قال: ذِمَّةً وصِهراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال العُلَماءُ: الرَّحِمُ الَّتي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ﷺ مِنْهُمْ، «والصِّهْرُ»: كَوْنُ مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابنِ رسول اللَّه ﷺ مِنْهُمْ.

٣٣٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «لَمَا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُولُ اللَّه ﷺ قُرَيْشاً، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ، وخَصَّ[2]، وقال: يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، يَا بني كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً، سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله ﷺ: «بِبِلالِهَا» «البِلالُ»: المَاءُ، ومعنى الحديث: سَأَصِلُهَا، شَبَّهَ قَطِيعَتَهَا بالحَرَارَةِ تُطْفَأُ بالمَاءِ، وَهذِهِ تُبَرَّدُ بالصِّلَةِ.

---

(١) «ذمة ورحماً» أي لهم حرمةٌ وحقٌ، ولهم رحم لأن السيدة (هاجر) أم إسماعيل من أهل مصر.

(٢) «فعمّ وخصّ» أي عمّم النداء لقريش والقبائل، وخصّ النداء لبني عبد المطلب، وبني هاشم.

(٣) «سأبلُّها ببلالها» أي لكم رحم وقرابة، سأصلها ولا أقطعها، تشبيهاً لها بالحرارة تُطفأ بالماء البارد، وهذا الحديث واضح الدلالة، على أن النسب لا ينفع يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ وأمّا في الدنيا فسيحسن الرسول ﷺ إلى أقاربه ويصلهم ببعض وجوه الخير والإحسان.

٣٣١ ـ وعن أبي عبد الله «عمرو بن العاص» رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ جِهَاراً غَيْرَ سِرٍّ يَقولُ: «إنَّ آلَ بَني فُلانٍ، لَيْسُوا بأَوْلِيَائِي[1]، إنما وَلِيِّيَ اللهُ وصَالِحُ المُؤمِنِينَ، وَلكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلالِهَا» مُتَّفَق عليه، واللَّفظُ للبخاري.

٣٣٢ ـ وعن أبي أيُّوبَ «خالدِ بن زيدٍ الأنصاري» رضي الله عنه: «أن رجلاً قال: يا رسولَ الله أَخْبِرني بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. فقال النبيُّ ﷺ: تَعبُدُ اللهَ، وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٣٣ ـ وعن سَلْمَانَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إذا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلى تَمْرٍ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْراً، فَالمَاءُ، فَإِنَّهُ طَهُورٌ، وقال: الصَّدَقَةُ عَلى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ» حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٣٣٤ ـ وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما: «كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّها، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فقال لي: طَلِّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتى عُمَرُ رضي الله عنه النبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: طَلِّقْهَا»[2] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٣٣٥ ـ وعن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه «أن رَجُلاً أَتَاهُ، فقال: إنَّ لي امْرأَةً، وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا!؟ فقال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: الْوَالِدُ أَوْسَطُ[3] أَبْوابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ، فَأَضِعْ ذلِكَ البَابَ، أَوِ احْفَظْهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٣٣٦ ـ وعن البَرَاءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن صحيح.

---

(١) «ليسوا بأوليائي» أي ليس بيني وبينهم ودٌّ ومحبة لعدم إسلامهم.

(٢) «فقال النبي طلِّقها» إنما أمره الرسول ﷺ بطلاقها، لأنه يعلم أن عمر لا يكره زوجة ابنه، إلّا لأمر ديني، فهو يريد لولده زوجةً أتقى لله وأفضل، وقد جعل الله الحقَّ على لسان عمر وقلبه، وليس كلُّ أبٍ يأمر ولده بطلاق زوجته تجب طاعته.

(٣) «أوسط أبواب الجنة» هذا على التمثيل أي الوالد أحدُ أبواب الجنة، بل هو أفضل الأبواب، فإمّا أن تدخل بسببه الجنة، أو تحرم منها بسبب العصيان.

وفي البابِ أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، منها حديث أصحابِ الغارِ، وحديث جُرَيْجٍ وَقَدْ سَبَقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حَذَفْتُهَا اخْتِصَاراً، وَمِنْ أَهَمِّهَا حديثُ «عَمْرِو بن عَبَسَةَ» رضي اللّه عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلى جُمَلٍ كثيرة مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدابِهِ، وَسَأَذْكُرُهُ بِتَمَامِهِ إن شاء اللّه تعالى في بابِ الرَّجَاءِ، قال فيه: «دَخَلْتُ على النبيِّ ﷺ بِمَكَّةَ ـ يَعْنِي في أَوَّلِ النُّبُوَّةِ ـ فقلتُ له: مَا أَنْتَ؟ قال: «نَبِيٌّ»، فقلتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قال: «أَرْسَلَنِي اللّهُ تعالى» فقلتُ: بأيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللّه لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» وَذَكَرَ تَمَامَ الحديث، رواه مسلم. واللّه أعلمُ.

❁❁❁

بابٌ في تحريم العقوق وقطيعة الرَّحم

قال اللّه تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٣٣٧ ـ وعن أبي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بن الحارثِ رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟[1] ـ ثلاثاً ـ قُلْنَا: بَلَى يا رسول اللّه!؟ قال: الإشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فقال: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٣٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاص رَضِيَ اللّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الغَمُوسُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «بأكبر الكبائر» أي ألا أخبركم بأعظم الذنوب الكبيرة عند اللّه؟ وعدَّ منها عقوق الوالدين، والعقوق المحرَّمُ: كلُّ ما يتأذى به الوالد أو الوالدة من أقوال أو أفعال.

(٢) «ليته سكت» أي شفقةً عليه ﷺ، من كثرة ما ردَّد كلمة «وشهادة الزور، وشهادة الزور».

«اليَمِينُ الغَمُوسُ»[1] الَّتِي يَحْلِفُهَا كَاذِباً عَامِداً، سُمِّيَتْ غَمُوساً، لأَنَّهَا تَغْمِسُ الحَالِفَ فِي الإِثْمِ.

٣٣٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مِن الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ! قَالُوا يَا رسول اللَّه: وَهَلْ يَشْتِمِ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قال نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ[2]! قِيلَ: يَا رسول اللَّهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَال يَسُبُّ لَهَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

٣٤٠ ـ وعن أَبي محمد «جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم»، رضي اللَّه عنه، أَن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ» قال سفيانُ في روايتِهِ يَعْنِي: «قَاطِع رَحِم» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٤١ ـ وعن أَبي عِيسى «المُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ» رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعاً وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ: «مَنْعاً» مَعْنَاهُ: مَنْعُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ، وَ «هَاتِ»: طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ. وَ «وَأْدَ البَنَاتِ» مَعْنَاهُ: دَفْنُهُنَّ فِي الحَيَاةِ. وَ «قِيلَ وَقَالَ» مَعْنَاهُ: الحَدِيثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُهُ، فَيَقُولُ: قِيلَ كَذَا، وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا مِمَّا لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ، وَلَا يَظُنُّهَا، وَكَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ. وَ «إِضَاعَةُ المَالِ»: تَبْذِيرُهُ وَصَرْفُهُ فِي غَيْرِ الوُجُوهِ المَأْذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَتَرْكُ حِفْظِهِ مَعَ إِمْكَانِ الحِفْظِ. وَ «كَثْرَةُ السُّؤَالِ»: الإِلحَاحُ فِيمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ.

وفي البابِ أَحَادِيثُ سَبَقَتْ فِي البَابِ قبله كَحَدِيثِ «وَأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ» وحديث «مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّه».

---

(١) «اليمين الغموس» هي الحلف باللّه كاذباً، وهي ذنب عظيم ليس له كفارة، لأن جريمته أعظم من أن تكفّرها صدقة، لأنها استهانة بعظمة اللّه وجلاله، ولذلك قُرنت بالشرك، وسميت «غموساً» لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم.

(٢) «يلعن والديه» أي يسبّب لهما اللعنة، حيث يسبّ الناسُ فيلعنون أباه وأمه، فكأنه لعن أبويه بنفسه.

بابٌ في فضل برّ أصدقاء الأب والأمّ والأقاربِ، والزوجة وسائر من يُنْدَبَ إكرامه

٣٤٢ ـ عن ابنِ عمر رضي اللّه عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إن أَبَرَّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ»[١].

وعن عبدِ اللّه بن دينار، عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما «أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ «عَبْدُ اللّه بْنُ عُمَرَ»، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قال ابنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللّه، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ، وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فقال عبدُ اللّهِ بنُ عمر: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بن الخطاب رضي للّه عنه، وإِنِّي سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

وفي روايةٍ عن ابن دينار، عن ابن عُمَرَ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ[٢] إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بها رَأْسَهُ[٣]، فَبَيْنَا هُو يَوْماً عَلَى ذَلِكَ الحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فقال: أَلَسْتَ ابنَ فُلانِ بنِ فُلانٍ؟ قال: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ، فقال: ارْكَبْ هَذَا، وَأَعْطَاهُ العِمَامَةَ، وقال: أُشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ!؟ فقال لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللّه لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَاراً، كُنْتَ تَرْوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ!؟ فقال: إِنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللّه ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ[٤] وإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقاً لِعُمَرَ رضي اللّه عنه» روى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مسلم.

٣٤٣ ـ وعن أبي أُسَيْدٍ «مالِك بن رَبِيعَةَ» السَّاعِدِيِّ رضي اللّه عنه قال:

---

(١) «وُدَّ أبيه» أي من يحبُّهم أبوه من الأصدقاء.

(٢) «يتروّح عليه» أي يستريح عليه إذا سئم ركوب البعير أي الجمل.

(٣) «وعمامة يشدُّ بها رأسه» أي عمامة يتعمّم بها فيلفُّها على رأسه، وفي الحديث دليل على أن لبس العمائم من شعائر أهل الإسلام، فهي سنة مؤكدة، فقد كان ﷺ إذا اعتمّ سدل طرفها بين كتفيه، وكانت عمامته بيضاء، وأحياناً يلبس السوداء في الغزوات والحروب كما في صحيح مسلم «دَخَلَ مَكَّةَ فَاتِحاً وَعَلَيهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

(٤) «بعد أن يولي» أي بعد أن يموت.

«بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ يَا رَسولَ اللَّهِ: هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ[١] شَيْءٌ، أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فقال: نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا[٢]، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا[٣] مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِما»[٤] رَوَاهُ أبو داود.

٣٤٤ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: «مَا غِرْتُ[٥] عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النبي ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي اللَّه عنها، وَمَا رَأَيْتُهَا قطُّ، وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امرأةٌ إِلَّا «خَدِيجَةُ»! فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ «وإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ، فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا[٦]، مَا يَسَعُهُنَّ منها».

وفي روايةٍ: «كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ».

وفي روايةٍ قالت: «اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ «أُخْتُ خَدِيجَةَ» عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاحَ لِذَلِكَ[٧] فقالَ: اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».

قولُها: «فَارْتَاحَ» هو بِالحاءِ، وَفِي الجَمْعِ بين الصحيحين لِلْحُمَيْدِي: «فَارْتَاعَ» بِالعينِ، ومعناه: اهْتَمَّ بِهِ.

٣٤٥ ـ وعن أَنس بن مالكٍ رضي اللَّه عنه قال: «خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه الْبَجَلِيِّ رضي اللَّه عنه فِي سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي[٨] فَقُلْتُ لَهُ: لا تَفْعَلْ،

---

(١) «هل بقي من برّ أبويّ»؟ أي هل هناك خيرٌ أعمله ينفع والديّ بعد موتهما؟ ويصل إليهما ثوابه؟

(٢) «الصلاة عليهما» أي الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، كما قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

(٣) «وإنفاذُ عهدهما» أي تنفيذ ما أوصيا به في حياتهما.

(٤) «وإكرام صديقهما» أي إكرام أصدقاء الوالدين بهدية، أو شيء من المعروف والإحسان.

(٥) «ما غرتُ على أحد» أي ما دخلتْ إليّ الغيرةُ من واحدة من النساء، كما دخلت عليّ من خديجة، مع أنني لم أرها، لكثرة ذكر النبي ﷺ لها، وإكرامه لصديقاتها.

(٦) «في خلائلها» جمع خليلة وهي الصديقة.

(٧) «فارتاح لذلك» أي هَشَّ وسُرَّ لمجيئها، لتذكُّره خديجة وأيامها، لأن صوتها يشبه صوت خديجة، وهذا من وفائه ﷺ لمن شاركته أحزانه وآلامه، وسقته كأس الحبِّ والوفاء.

(٨) «فكان يخدمني» أي وهو أكبر مني سناً، وقوله شيئاً أي عظيماً.

فقال: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً، آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي[1] أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَداً مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في إِكْرَام أَهْلِ بيت رسول الله ﷺ، وبيان فضلهم

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ[2] أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٣٤٦ ـ وعن يزيد بن حَيَّانَ قال: «انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعَمْرُو بن مُسْلِمٍ إِلى «زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ» رضي اللَّهِ عنه، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ له حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً!! رَأَيْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً!! حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! . قال: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي[3] مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ، فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قال: قَامَ رسولُ اللَّه ﷺ يَوْماً فِينَا خَطِيباً، بِمَاءٍ يُدْعَى «خُمّاً»[4] بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّه، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ، وَذَكَّرَ، ثُمَّ قال: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رسولُ ربي فَأُجِيبَ[5]، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ[6]: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّه، وَاسْتَمْسِكُوا به». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّه، وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ

---

(١) «آليت على نفسي» أي حلفتُ على نفسي، ألَّا أصحب أحداً منهم إلَّا خدمته.

(٢) ﴿الرِّجْسَ﴾ دنس المعاصي والآثام وكل قبيح.

(٣) «كنتُ أعي» أي نسيت ما كنت أحفظه من رسول الله ﷺ.

(٤) «يُدعى خُمّاً» بضم الخاء وتشديد الميم مكان بين مكة والمدينة.

(٥) «يوشك أن أجيب» أي يقرب أن يأتيني مَلَك الموت فأجيب.

(٦) «تارك فيكم ثقلين» أي شيئين عظيمين كبيرين هما: «كتابُ اللَّه، وأهلُ بيتي» سُمِّيا ثقلين لعظيم شأنهما.

«وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّه في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّه[1] في أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية[2]: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّه وَهُوَ حَبْلُ اللَّه، مَنِ اتَّبَعَه كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ».

٣٤٧ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما، عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي اللَّه عنه مَوْقُوفاً عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: «ارْقُبُوا محمَّداً ﷺ في أَهْلِ بَيْتِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مَعْنى «ارْقُبُوا»: رَاعُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ وَأَكْرِمُوهُ، واللَّه أعلم.

❁❁❁

بابٌ في توقيرِ العُلماء
والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم
ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم

قال اللَّه تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٣٤٨ ـ وعن أبي مسعودٍ «عُقبةَ بْنِ عمروٍ البدريِّ الأنصاري» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ[3] لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا في

---

(١) «أذكركم اللَّه» أي أسألكم باللَّه أن تزعوا أهل بيتي، بالإحسان إليهم، وحب الخير، وعدم الإساءة لهم.

(٢) «وفي رواية» أي في صحيح مسلم وهي زيدة قوله «كتاب اللَّه، هو حبلُ اللَّه، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة... وفيه فقلنا: من أهلُ بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، إن المرأة تكون مع الرجل العصْرَ من الدهر، ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها!! أهلُ بيته: أصلُه وعصبتُه الذين حرموا الصدقة بعده» انظر صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٤.

(٣) «يؤمُّ القومَ أقرؤهم» أي أحسنهم قراءةً، وأجمعهم صوتاً، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، وقال مالكٌ والشافعيُّ: الأفقه مقدَّم على الأقرأ، لأن المطلوب مراعاة الصواب، ولا يقدر عليه إلَّا كاملُ الفقه، ولهذا قدَّم النبي ﷺ أبا بكر في الصلاة حين مرضه، مع أن غيره كان أقرأ منه!

الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُم سِنّاً، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ[١]، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ[٢] إِلَّا بِإِذْنِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ لَهُ: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً» بَدَلَ «سِنّاً» أَوْ «إِسْلاماً».

وفي روايةٍ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً، فَيَؤُمُّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنّاً».

وَالمُرادُ «بِسُلْطَانِهِ» مَحَلُّ ولايَتِهِ، أَو المَوْضعُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِه «وَتَكْرِمَتُهُ» بفتحِ التاءِ وكسر الراءِ: وَهِيَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ مِنْ فِرَاشٍ وَسَرِيرٍ وَنَحْوِهِمَا.

٣٤٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسولُ اللَّه ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى[٣]، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الذين يلونهم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقوله ﷺ «لِيَلِنِي» هو بتخفيفِ النُّونِ وَلَيْسَ قَبْلَها يَاءٌ، «وَالنُّهَى» الْعُقُولُ، «وَأُولُو الأحلام» هُمُ الْبَالِغُونَ، وَقِيلَ: أَهْلُ الحِلْمِ وَالْفَضْلِ.

٣٥٠ ـ وعن عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثَلاثاً، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٥١ ـ وعن أبي يَحْيَى «سَهْلِ بن أبي حَثْمَةَ» الأنصاري رضي اللَّه عنه قال: «انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّه بن سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، إلى خَيْبَرَ - وَهِيَ يَوْمَئِذٍ

---

(١) «ولا يؤمنّ الرّجُلُ الرّجُلَ في سلطانه» أي صاحب المنزل والمجلس، وإمامُ المسجد، أحقُّ من غيره، وإن كان ذلك الغيرُ أفقه وأقرأ.

(٢) «ولا يقعد على تكرمته» أي لا يقعد على فراش صاحب المنزل، وفي المكان المخصَّص لجلوسه إلّا بإذنه.

(٣) «أولو الأحلام والنهي» أي البالغون العقلاء، وأهل العلم والفضل.

(٤) «وإياكم وهيشات الأسواق» أي ارتفاع الأصوات، وما يحدث في الأسواق، من الجَلَبة والفتن والتنازع، **وقال المناوي**: أي لا يختلط الذكور بالإناث، ولا الصبيان بالبالغين.

صُلْحٍ ـ فَتَفَرَّقَا[١]، فأتى مُحَيِّصَةُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سهلٍ وهو يَتَشَحَّطُ[٢] في دَمِهِ قَتِيلاً، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرحمنِ بْنُ سَهْلٍ[٣]، وَمُحَيِّصَةُ، وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إلى النَّبِي ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمنِ يَتَكَلَّمُ فقال: «كَبِّرْ كَبِّرْ»[٤] وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ[٥]، فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فقال: أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ[٦]؟ وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ «مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله ﷺ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» مَعْنَاهُ: يَتَكَلَّمُ الأَكْبَرُ.

٣٥٢ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه «أَنَّ النبي ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ يَعْنِي في القَبْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ[٧]؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إلى أَحَدِهِمَا، قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ»[٨] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٣٥٣ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، أَنَّ النبي ﷺ قال: «أَرَانِي في المَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إلى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا»[٩] رَوَاهُ مُسْلِمٌ مُسْنَداً، وَرَوَاهُ البخاري تعليقاً.

---

(١) «فتفرّقا» أي تفرّق كلُّ واحد في طريق لحاجتهما، وجاء في صحيح مسلم (وهي يومئذٍ صلحٌ وأهلُها يهود).

(٢) «وهو يتشحّطُ» أي يتخبّطُ ويضطرب في دمائه قتيلاً.

(٣) «فانطلق عبد الرحمن بن سهل» أي أخو القتيل ليتكلم.

(٤) «كبّرْ، كبّرْ» أي ليتكلم الأكبر منكم سناً.

(٥) «وهو أحدثُ القوم» أي أصغرهم سناً.

(٦) «أتحلفون وتستحقون قاتلكم»؟ جاء توضيح الرواية في صحيح مسلم «فمشى عبد الرحمن أخو المقتول، مع محيّصة وحُوَيِّصة إلى رسول اللَّه ﷺ فذكروا له شأن المقتول، وحيثُ قُتل، فقال لهم ﷺ: تحلفون خمسين يميناً وتستحقون قاتلكم؟ قالوا يا رسول اللَّه: ما شهدنا ولا حضرنا!! فقال لهم: فيبرّئكم يهود بخمسين يميناً، قالوا: كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فَوَداه ـ أي دفع ديته ـ رسولُ اللَّه ﷺ من عنده، بعث إليهم مائة ناقة حتى أُدخلت عليهم الدار» والشاهد أن النبي ﷺ أمر بأن يتكلم الأكبر من القوم.

(٧) «أخذاً للقرآن» أي حفظاً له في صدره.

(٨) «في اللحد» أي في جانب القبر، وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن، والّذي يحفظ القرآن، وتتمةُ الحديث كما في البخاري «قدّمه في اللحد، وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء، وأمَرَ بدفنهم بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يُغَسَّلوا» فتح الباري ٣/ ٢١٢.

(٩) هذه الرؤيا وإن كانت منامية، لكنها رؤيا حق، وهي جزء من الوحي، فالنبي ﷺ رأى كأنه =

٣٥٤ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ إجْلالِ اللَّهِ تعالَى[١]، إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ[٢]، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ[٣]، غَيْرِ الْغَالِي[٤] فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ[٥]، وإكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ»[٦] حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ أبو داود.

٣٥٥ ـ وعن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيهِ، عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا[٧] مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا»[٨] حديثٌ صحيحٌ رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وفي رواية أبي داود «حَقَّ كَبِيرِنَا».

٣٥٦ ـ وعن مَيْمُونَ بن أَبِي شَبِيبٍ «أن عَائِشَةَ رضي الله عنها مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأَقْعَدَتْهُ، فَأَكَلَ فَقِيلَ لَهَا فِي ذلِكَ؟ فقالت: قال رسول الله ﷺ: أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[٩] رَوَاهُ أبو داود، لكِنْ قال: مَيْمُون لَمْ يُدْرِك عَائِشَةَ، وقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ تَعْلِيقًا، فقال: وَذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسولُ الله ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» وَذَكَرَهُ الحَاكِمُ أَبُو عبدِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «مَعْرِفَةُ عُلُومِ الحَدِيثِ» وقال: هو حديثٌ صحيح.

= يستاك، فجذبه رجلان: صغيرٌ، وكبير، فأعطى السِّواك للصغير، فقيل له: كبِّرْ أي أعطه للكبير، وهذا أدبٌ إسلامي رفيع، ينبغي أن يتنبَّه له المسلمون، وهو أن الكبير يُقدَّم على الصغير في جميع الأمور.

(١) «إن من إجلال الله» أي من تعظيم الله عز وجلّ لمكانة المؤمن، ورفعه لقدر أهل الفضل.

(٢) «إكرام ذي الشيبة المسلم» أي إكرام كل من شاب في الإسلام، وقضى زهرة عمره في دين الله الخالد.

(٣) «وحامل القرآن» أي قارئ القرآن وحافظه.

(٤) «غير الغالي فيه» أي غير المتنطِّع والمتشدِّد فيه.

(٥) «والجافي عنه» أي التارك للقرآن البعيد عن تلاوته.

(٦) «ذي السلطان المقسط» أي العادل في الحكم بين الرعية.

(٧) «ليس منا» أي ليس من أهل سُنَّتنا وهدينا وطريقتنا.

(٨) «شرف كبيرنا» أي فضله بما يستحقه من التعظيم والتبجيل.

(٩) «أنزلوا الناسَ منازلهم» أي ضعوهم في المكان اللائق بهم، واعرفوا لكل إنسان مكانته ومنزلته، والحديث حضٌّ على مراعاة مقادير الناس ومناصبهم!

٣٥٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلى ابْنِ أَخِيهِ «الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ»، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمَشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فقال عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه، فلما دَخَل قال: هِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فقال لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّه تعالى قال لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا مِنَ الجَاهِلِينَ. واللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عمرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّه تعالى»[1] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٣٥٨ ـ وعن أبي سعيدٍ «سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ» رضي الله عنه قال: «لَقَدْ كُنْتُ عَلى عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ غُلاماً، فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ[2]، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إِلَّا أَنَّ هٰهُنَا رِجَالاً، هُمْ أَسَنُّ مِنِّي» مُتَّفَقٌ عليه

٣٥٩ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ[3] اللَّه لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث غريب.

❁❁❁

بابٌ في زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ[4] حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ

(١) تقدّم شرح الحديث في كتاب الصبر ورقمه (٥٠) وكلمة (هي) بكسر الهاء وعيدٌ وتهديد.

(٢) «كنتُ أحفظُ عنه» أي كنت أحفظ ما أسمعه من رسول اللَّه ﷺ، ولكنْ يمنعني من الحديث عنه، أن بين أصحابه من هو أكبر سناً مني..! وفيه إشارة إلى توقير الكبير.

(٣) «قيّض له» أي قدّر له من يكرمه عند شيخوخته، فمن كرّم الشيخ الكبير، هيّأ اللَّه من يكرمه عند بلوغه ذلك السنّ، جزاءً وفاقاً.

(٤) ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير حتى أصل إلى مجمع البحرين، ولو استغرق ذلك مني زماناً طويلاً.

أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠ ـ ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

٣٦٠ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: «قال أبو بكر لِعمر رضي الله عنهما، بَعْدَ وَفَاةِ رسول الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إلى «أُمِّ أَيْمَنَ»[١] رضي الله عنها نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ، خَيْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكونَ أعْلَمُ[٢]، أنَّ مَا عِنْدَ اللهِ تعالى خَيْرٌ لرسول الله ﷺ، وَلكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ[٣]، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٦١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ تعالى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً[٤]، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخاً لي في هَذِهِ القَرْيَةِ، قال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ[٥]؟ قال: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللهِ، قال: فَإِنِّي رسول اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

يقال: «أَرْصَدَه» لِكَذا: إذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ، وَ «المَدْرَجَةُ» بفتح الميم والراءِ: الطَّريقُ، ومعنى «تَرُبُّهَا» تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَى في صَلاحِهَا.

٣٦٢ ـ وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ

---

(١) «أم أيمن» هي حاضنةُ الرسول ﷺ، ومرَبِّيَتُه في طفولته، كان ﷺ يكرمها ويبرُّها ويقول: «أُمُّ أيمن أمي».

(٢) وأخرجه ابن ماجه بلفظ «أني لأعلمُ أنَّ ما عند الله خير لرسوله، ولكني أبكي لأن الوحي انقطع من السماء».

(٣) «فهيَّجتها على البكاء» أي حركتهما وأثارتهما على البكاء فصارا يبكيان معها.

(٤) «فأرصد على مدرجته» أي وكَّلَ وأجلس على طريقه مَلَكاً ينتظره ـ جاء بصورة رجل ـ فأخبره بأن الله يحبُّه، لحبِّه لأخيه المسلم في الله.

(٥) «نعمة تربُّها عليه» أي هل لك نعمة عليه تقوم بإصلاحها؟ وتنهض إليها بسبب ذلك؟ وفي هذا الحديث: فضلُ المحبة في الله، وأنها سببٌ لحبِّ الله للعبد، وفيه فضيلةُ زيارة الصالحين والأصحاب الأفاضل.

زَارَ أَخَاً لَهُ في اللَّه، نَادَاه مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ[١]، وَتَبوَّأتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ، وفي بعض النسخ غريبٌ.

٣٦٣ ـ وعن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنه، أَنَّ النَّبي ﷺ قال: «إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ[٣]، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ[٤]، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ[٥]، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً» مُتَّفَقٌ عليه. «يُحْذِيكَ»: يُعْطِيكَ.

٣٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، ولِحَسَبِهَا[٦]، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ[٧] تَرِبَتْ يَدَاكَ»[٨] مُتَّفَقٌ عليه، ومعناه: أَنَّ النَّاسَ يَقْصِدُونَ في الْعَادَةِ مِنَ المَرْأَةِ هذِهِ الخِصَالَ الأَرْبَعَ، فَاحْرِصْ أَنْتَ عَلى ذَاتِ الدِّينِ، وَاظْفَرْ بِهَا، وَاحْرِصْ عَلى صُحْبَتِهَا.

٣٦٥ ـ وعن ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟[٩]» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «طِبْتَ وطابَ ممشاك» أي أنت رجل طيّب مبارك، وأجرك عظيم عند اللّه.

(٢) «وتبوّأت من الجنة منزلاً» أي هيّأ اللّه لك في الجنة، داراً تنزلها وتسكنها، لزيارتك لأخيك في اللّه.

(٣) «حامل المسك» أي بائع المسك والطِّيب.

(٤) «تبتاع منه» أي تشتري منه.

(٥) «نافخ الكير» أي الذي ينفخ في الموقد الذي فيه الجمرُ لإلانة الحديد، وهذا تمثيل رائع لجليس السوء، وفيه التحذير عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، لأن الإنسان لا يلقى منهم إلّا كل ضرر وقبيح.

(٦) «لحَسَبها» أي لشرفها ونسبها بسبب الغنى أو الجاه.

(٧) «فاظفر بذات الدين» أي عليك بالحرص على المرأة الصالحة، ذات الأخلاق الحميدة، والدين المتين، والمراد من الحديث الشريف: أن يُخبر الرسول ﷺ بما يفعله الناسُ في العادة، فإنهم يقصدون بالزواج، هذه الخصال الأربع، وآخرها عندهم «ذاتُ الدِّين» وهي التي فيها الخير والسعادة، فاظفر بها أيها المسترشد، لتفوز بالمحبوب والمطلوب، كما قيل: «إن الطيور على أشكالها تقع» والطيّبات للطيّبين!

(٨) «تربت يداك» أي إن لم تظفر بذات الخُلق والدين، افتقرتَ وذللتَ، وهذه الكلمة لا يراد منها الدعاء، وإنما الحثُّ والتحريض على فعل الخير، والحرص الشديد عليه.

(٩) «أكثر مما تزورنا» أي ما الذي يمنعك من كثرة زيارتنا؟ فأجابه جبريل بأنه عبد مأمور، ولا يتنزّل إلّا بأمر وإذنٍ من اللّه جل وعلا.

٣٦٦ ـ وعنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِناً[١]، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَك إلَّا تَقِيٌّ»[٢] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ بإسْنَادٍ لا بأس بِهِ.

٣٦٧ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ[٣]، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[٤] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ بإسنادٍ صحيح، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ.

٣٦٨ ـ وعن أبي موسى الأشْعَرِيِّ رضي اللّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

٣٦٩ ـ وعن أنس رضي اللّه عنه، أن أعرابياً قال لرسول اللّه ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قال: حُبُّ اللّهِ ورسولِهِ، قال: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي روايةٍ لهما: «مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ، وَلا صَلَاةٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلكِنِّي أُحِبُّ اللّه وَرَسُولَهُ».

٣٧٠ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضي اللّه عنه قال: «جاءَ رَجُلٌ إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ، أَحَبَّ قَوْمَاً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسولُ اللّه ﷺ: المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «لا تصاحب إلا مؤمناً» أي لا تجعل لك صديقاً وصاحباً، إلا إذا كان مؤمناً صادق الإيمان، فصحبته تنفع.

(٢) «إلَّا تقيٌ» أي لا تدْعُ إلى طعامك إلَّا الرجل التقيّ، فإن الفاسق إذا أكل الطعام، تقوّى به على المعصية.

(٣) «على دين خليله» أي على طريقة صديقه ومشربه.

(٤) «من يُخالل» أي من يصادقه من الأصحاب، فالصاحب ساحب.

(٥) «المرء مع من أحبَّ» أي يحشر كلُّ إنسان مع من يحبّه.
وفي رواية في الصحيح: «قال أنس: فأنا أحبُّ اللّه ورسولَه وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعملْ بأعمالهم» رواه مسلم.

٣٧١ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللّه عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «النَّاسُ مَعَادِنُ[١] كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا. وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ[٢]، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا، ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا، اخْتَلَفَ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وروى البخاري قوله: «الأَرْوَاحُ» الخ من رواية عائشة رضي اللّه عنها.

٣٧٢ ـ وعن «أُسَيْرِ بن عَمْرو»، وَيُقَالُ: ابْنُ جابر قال: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي اللّه عنه إِذا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ «أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ»[٤]؟ حَتَّى أتى عَلى أُوَيْسٍ فقال: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، قال: نَعَمْ، قال: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ «أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ» مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّه لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ! فَاسْتَغْفِرْ لي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فقال له عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: الْكُوفَةَ، قال: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلى عَامِلِهَا؟ قال: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَى عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فقال: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ[٥]، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول: يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ

---

(١) «الناسُ معادن» أي الناس يختلفون في الصفات والأخلاق، كاختلاف المعادن في الجودة والرداءة، وأكرمُهم وأفضلهم عند اللّه، من كان في الجاهلية شريفاً، فأسلم وحسن إسلامه، وتفقّه في الدين.

(٢) «الأرواح جنود» أي نفوس البشر، جموع مجتمعة، وأنواع مختلفة، فالصالح يميل إلى الصالحين، والشرّيرُ يميل إلى أهل الشرّ، ولجنسُ يألفه الجنسُ.

(٣) «ائتلف.. واختلف» أي إذا كانت النفس صافية، أحبّت أهل الفضل والصلاح، وإذا كانت خبيثة، كرهت أهل الصلاح، وأحبت أهل الفسوق والفجور، وهذا تمثيل لتقارب الصفات.

(٤) «أُويسُ بن عامر» هذا من أفضل التابعين، من أهل اليمن، آمن بالنبي ﷺ وصدّقه ولم يلقه، فلا يُعَدُّ من الصحابة، وإنما هو من أفاضل التابعين، وقد أرشد الرسول ﷺ عمر إلى فضل هذا التابعي البارّ بأمه، وأنه لو أقسم على اللّه لأبرّه ـ أي لاستجاب دعاءه جزاء برّه بوالدته ـ وأمره إذا لقيه أن يطلب منه الاستغفار له، فلذلك حرص عمر على لقياه!.

(٥) «رثّ البيت» أي رثّ متاع البيت، ليس عنده منه شيء جيد.

أَمْدَادِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ، فَأَتَى أُوَيْساً، فقال: اسْتَغْفِرْ لي، قال: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لي!! قال: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قال: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ[1]، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ لمسلم أيضاً: عن أُسَيْر بن جابر «أَنَّ أَهلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، وَفِيهِم رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فقال عُمَرُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ، فقالَ عُمَرُ: إِنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قد قال: إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ، يُقالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لا يَدَعُ بِاليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ تعالى، فَأَذْهَبَهُ، إِلَّا مَوضِعَ الدِّينارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وفي روايةٍ له عَن عمر رضي اللَّه عنه قال: إِنِّي سَمِعْت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَال لَهُ: «أُوَيس»، ولَهُ وَالِدَةٌ، وكانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُروه، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

قوله «غَبْرَاءِ النَّاسِ» فُقَرَاؤُهُمْ وَسَمَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَف عَيْنُه مِنْ أَخلاطِهِمْ «وَالأَمْداد» جَمْعَ مَدَدٍ وَهُمُ الأَعْوَان وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمِدُّونَ المُسْلِمِينَ في الجِهَادِ.

٣٧٣ ـ وعن عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه قال: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لي، وقال: «لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»[2] فقال كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لي بِها الدُّنْيَا».

وفي روايةٍ قال: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ» حديثٌ صحيحٌ رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) «ففطن له الناس» أي عرف الناس فضله فأقبلوا نحوه، فانطلق على وجهه أي ابتعد عن الناس لئلا يشغلوه عن عبادة ربه.

(٢) «لا تنسنا يا أخيّ من دعائك» أخيّ تصغير أخ، وهي ملاطفة من الرسول ﷺ لعمر رضي اللَّه عنه، بأبدع أسلوب، وألطف لفظ، وبهذا فرح عمر بها فرحاً شديداً، وقال: إن هذه الكلمة أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها.. وهكذا سيرته ﷺ مع أصحابه.

٣٧٤ ـ وعن ابن عُمَرَ رضي اللّه عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُ قُبَاءَ[١] رَاكِباً وَمَاشِياً[٢]، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «كان النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِباً وَمَاشِياً وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ».

❁❁❁

بابٌ في فضل الحبّ في الله، والحثّ عليه وإعلام الرجل أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمهُ

قال اللّه تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخِرِ السورة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ[٣] مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

٣٧٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ[٤] وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ[٥]: أَنْ يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا[٦]، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلّهِ[٧]، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي

---

(١) «يزور قباء» أي يزور مسجد قباء ويقصده للصلاة فيه، لأنه أول مسجدٍ بُني في المدينة قبل المسجد النبوي، وفيه نزلت الآية: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

(٢) «راكباً وماشياً» أي أحياناً يأتيه راكباً، وأحياناً ماشياً، قال النووي: وفي الحديث بيان فضل المسجد والصلاة فيه، وفضيلة زيارته، وهكذا جميع المواضع الفاضلة، تجوز زيارتها راكباً وماشياً، ويستحب أن تكون صلاة النفل بالنهار، ركعتين كصلاة الليل، وفيه جواز تخصيص بعض الأيام بالزيارة اهـ شرح مسلم للنووي.

(٣) «تبوءوا الدار والإيمان» هم الأنصار رضي الله عنهم، سكنوا المدينة المنورة، فاتخذوها سكناً لهم ودار إقامة، وأخلصوا الإيمان لله، حتى تمكن ورسخ في قلوبهم رسوخ الجبال، قال الشوكاني: أي تمكنوا من الإيمان تمكناً شديداً، من قبل هجرة المهاجرين إليهم.

(٤) «ثلاث من كنّ فيه» أي ثلاث خصال، وثلاث صفات من كانت فيه، كان صادق الإيمان.

(٥) «وجد حلاوة الإيمان» معنى حلاوة الإيمان: هو استلذاذ الطاعة، وتحمل المشقة في رضى الله عزّ وجلّ، فالإيمان له حلاوة في القلب، كحلاوة الطعام اللذيذ، بعد شدة الجوع.

(٦) «أحب إليه مما سواهما» أي يكون حبُّ الله وحبُّ رسوله، أعظم عنده من كل شيء في الدنيا، من المال، والولد، والمتاع.

(٧) «لا يحبه إلّا لله» أي لا يحبُّ الرجل إلّا لله، ومن أجل الله.

الْكُفْرِ[١]، بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّه مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٧٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللَّه في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ[٢]، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ[٣] وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ[٤]، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ[٥]، فقال: إِنِّي أَخَافُ اللَّه، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ[٦] مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[٧] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٧٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تعالى يقولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي[٨]؟ الْيَومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي[٩] يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٧٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي

---

(١) «أن يعود في الكفر» أي يكره أن يصير إلى الكفر، كما يخاف أن يُقذف في النار اللاهبة المستعرة.
هذا الحديثُ أصلٌ من أصول العقيدة، وركنٌ من أركان الإيمان، فلا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان، إلا إذا تحققت فيه هذه الشروط الثلاثة:
١ ـ أن يكون حبُّ اللَّهِ ورسوله أعلى من كل شيء في الدنيا.
٢ ـ أن تكون المحبة بين الرجل وصاحبه خالصة لوجه اللَّه.
٣ ـ خوفه من الكفر كما يخاف من نار جهنم المستعرة.

(٢) «إمام عادل» السلطان العادل، وكلُّ من له ولاية على المسلمين، كالحاكم والقاضي إذا تحقَّق منهم العدل.

(٣) «معلق بالمساجد» كناية عن حبه للمساجد، ومواظبته عليها.

(٤) «اجتمعا عليه وتفرقا عليه» أي إذا اجتمعوا اجتمعوا للَّه، وإذا تفرّقوا تفرّقوا للَّهِ، لا يلتقون لمصالح دنيوية، وإنما للَّه وفي اللَّه.

(٥) «ذات منصب وجمال» أي ذات أصلٍ وشرف، وذات جمالٍ ساحر.

(٦) «حتى لا تعلم شماله» هذه كناية عن المبالغة في إخفاء الصدقة عن أعين الناس كما قال سبحانه: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

(٧) «ففاضت عيناه» يعني بالدموع أي بكى بكاء حاراً خوفاً من اللَّه تعالى.

(٨) «المتحابون بجلالي» أي تحابُّوا لجلال اللَّه وعظمته لا لغرضٍ دنيوي.

(٩) «أظلهم في ظلي» أي في ظلِّ عرشي من الحرّ والشمس، الذي يأخذ بأنفاس الخلق، فلا يكون في القيامة إلَّا ظلُّ عرش الرحمن، وإضافته إلى اللَّه تعالى للتشريف.

بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا[١]، أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلام بينكم»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٧٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّه لَهُ عَلى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً» وذكر الحديث إلى قوله: «إِنَّ اللَّه قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقد سبق بالباب قبله[٣].

٣٨٠ ـ وعن البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال في الأَنْصَار[٤]: «لا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّه، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٨١ ـ وعَنْ مُعَاذٍ رضي اللَّه عنه قال: سمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: المُتَحَابُّونَ في جَلالي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ[٥] النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٣٨٢ ـ وعن أبي إدريس الخَوْلاني رَحِمَهُ اللَّه قال: «دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا[٦] وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ[٧]، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هذا «مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» رضي اللَّه عنه، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ[٨]، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ

---

(١) «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» أي لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في دعوى الإيمان، حتى يحبّ بعضكم بعضاً.

(٢) «أفشوا السلام بينكم» أي أشيعوا السلام بينكم، وسلّموا على إخوانكم المسلمين، من عرفتم ومن لم تعرفوا، وهذا أبسط طريق إلى حصول المحبة بين الناس.

(٣) في باب زيارة أهل الخير والصلاح، ورقمه (٣٦١).

(٤) الأنصارُ: هم سُكان المدينة المنورة، الذين ناصروا الرسول ﷺ وآووه، وبذلوا أرواحهم ومهجهم نصرةً لدين الله، وأصلُهم من قبيلة «الأوس» و«الخزرج» كانت بينهم حروب طاحنة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه سموا أنصاراً، وصار حبُّهم من الإيمان، وبغضُهم من النفاق.

(٥) «يغبطهم» الغبطةُ الفرحُ، وهو تمني مثل ما للغير من الخير.

(٦) «برّاق الثنايا» أي أبيضُ الأسنان، كثير التبسّم.

(٧) «صدروا عن رأيه» أي أخذوا بقوله وتمسكوا به.

(٨) «سبقني في التهجير» أي سبقني في التبكير فجاء قبلي.

قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ للّه، فَقَالَ: آللَّهِ[١]؟ فَقُلْتُ: اللَّهِ[٢]، فقال: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: اللَّهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي[٣]، فَجَذَبَنِي[٤] إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول: قال اللّه تعالى وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والمُتَجالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» حديث صحيح رَوَاهُ مالِك في «الموطَّإ» بإسنادِهِ الصَّحيح.

قَوْلُهُ «هَجَّرْتُ»: أَيْ بَكَّرْتُ، وَهُوَ بتشديد الجيم. قوله: «آللَّهِ فَقُلْتُ: آللَّهِ» الأَوَّلُ بهمزةٍ ممدودةٍ للاستفهامِ، والثاني بلا مدٍّ.

٣٨٣ ـ عن أَبي كَرِيمَةَ «المِقْدَادِ بْنِ مَعْدِ يَكرِبَ» رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْه أَنَّهُ يُحِبُّهُ»[٥] رَوَاهُ أبو داود. والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٣٨٤ ـ وعن مُعَاذٍ رضي اللّه عنه، أَنَّ رسول اللّه ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقال: «يَا مُعَاذُ، واللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ[٦] كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» حديث صحيحٌ، رَوَاهُ أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

٣٨٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه، أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَالَ: يا رسول اللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ هذَا، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «أَأَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لا: قَالَ: «أَعْلِمْهُ»[٧] فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ في اللّه، فقالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

---

(١) «آللَّهِ» استفهام يراد به القَسَم أي أتحلف باللّه أنك تحبني؟

(٢) «قلتُ اللَّهِ» أي واللَّهِ إني أحبك للّه.

(٣) «بحبوة ردائي» أي أخذ بفتحة ثوبي عند الرأس.

(٤) «فَجَذبني» أي جذبني وقرّبني إليه، يقال: جَبَذه، وجذبه بمعنى واحد.

(٥) «فليخبره أنه يحبه» لأن ذلك يزيد في المحبة بين المسلمين، ويقوّي أواصر الألفة والصداقة.

(٦) «دبر كل صلاة» أي عقب كل صلاة تصليها أن تدعو بهذا الدعاء.

(٧) هذا التوجيه النبوي الكريم، هو الذي يولّد دعائم الأخوة والمحبة بين المسلمين، فالإنسان الذي يحبُّ أخاً له في اللّه، يخبره بما في قلبه نحوه فيقول له: «إني أحبك في اللّه» وينبغي على السامع أن يبادله المودة والمحبة، فيقول له في دعائه: «أحبَّك اللّه الذي أحببتني من أجله»!

بابٌ في عَلاَمات حبّ الله تعالى للعَبْد والحثّ على التخلق بها، والسعي في تحصيلها

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

٣٨٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّه تعالى قال: مَنْ عَادَى لي وَلِيّاً[١]، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ[٢]، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ، حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا[٣]، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِهَا، وإِنْ سَأَلَني، أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَني[٤]، لأُعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

معنى «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ له. وقوله: «اسْتَعَاذَنِي» روي بالباءِ وروي بالنون.

٣٨٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ اللَّه تعالى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي

---

(١) «من عادى لي ولياً» الوليُّ: هو المؤمن القريب من الله، المتقي لله سبحانه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

(٢) «آذنته بالحرب» أي أعلمته بأني محارب له إعلاماً صريحاً.

(٣) «كنت سمعه، وبصره، ويده، ورجله» هذا كلُّه على الاستعارة التمثيلية، أي إذا أحببته وفقته للأعمال الصالحة التي يباشرها بأعضائه، وذلك بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه من الشرور والآثام، فلا يسمع ولا يبصر، ولا يفعل إلا ما يرضي الله.. **قال الطوفي:** هذا مجاز عن نصرة العبد، وإعانته وتأييده، حتى كأنه سبحانه يُنزِّل نفسه من عبده، منزلة الأعضاء التي يستعين بها، «الأذن، والعين، واليد، والرجل» ولهذا جاء في بعض الروايات «فبي يسمع، وبي يُبصر، وبي يمشي، وبي يبطش».

(٤) «استعاذني» أي التجأ إليَّ واحتمى بي.

في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ[١]، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى إذا أَحَبَّ عَبْدَاً دَعَا جِبْرِيلَ، فقال: إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي في السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إنَّ اللَّه يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ، وإذا أَبْغَضَ عَبْدَاً دَعا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلاناً، فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّماءِ، إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاناً، فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ».

٣٨٨ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها «أن رسول اللَّه ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ[٣]، فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ في صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] فَلَمَّا رَجَعُوا، ذَكَرُوا ذلِكَ لرسول اللَّه ﷺ، فقال: سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمٰنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فقال رسول اللَّه ﷺ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّه تعالى يُحِبُّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بـابٌ في الـتـحـذيـر
من إيذاء الصّالحين والضّعَفَة والمساكين

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].

---

(١) «فيحبُّه أهل السماء» أي الملائكة الأطهار.

(٢) ومصداق هذا الحديث قولُ اللَّه سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

(٣) «بعث رجلاً على سرية» السَّرية: القطعةُ من الجيش.

(٤) فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا الأمر لم يفعله رسول اللَّه ﷺ، وإنما استحسنه هذا الصحابي، حيث كان يقرأ بعد الفاتحة شيئاً من القرآن، ثم يختم بسورة الإخلاص، ومثلُ هذا لا يسمى (بدعة) لأنه تلاوة للقرآن ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ولهذا اقرّه ﷺ.

وأما الأحاديث، فكثيرة منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الباب قبل هذا: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

ومنها حديث سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، السابق في باب ملاطفة اليتيم وقوله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ».

٣٨٩ ـ وعن جُنْدُبِ بْنِ عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ[١]، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ على وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في إجراء أحكام النَّاسِ على الظاهِرِ، وسرائرهم إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

٣٩٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسولَ الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا[٣] مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ[٤]، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تعالى»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٩١ ـ وعن أبي عبدِ الله «طارقِ بن أُشَيْمٍ» رضي الله عنه، قال: سمعتُ

---

(١) «في ذمة الله» أي في أمان الله وضمانه، والمراد بقوله: «صلى الصبح» أي صلاها في المسجد مع الجماعة.

(٢) «ثم يكبه على وجهه» أي يُلقيه على وجهه في نار جهنم.

(٣) «عَصَمُوا دماءهم» أي منعوا دماءهم من القتل.

(٤) «إلَّا بحقّ الإسلام» أي إلَّا إذا ارتكب حداً من الحدود، كالقتل أو الزنى وهو محصن، فيقتل قصاصاً.

(٥) «وحسابهم على الله» أي تفويضُ أمر ما في قلوبهم من الإيمان أو النفاق، موكولٌ إلى الله تعالى، لأننا نحكم بالظاهر، والله تعالى يتولَّى السرائر، وفي الحديث ترك تكفير أهل البدع، المقرّين بالتوحيد.

رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَال لا إلهَ إلَّا اللَّهُ[١]، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلى اللَّه تعالى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٩٢ ـ وعن أَبي مَعْبَدٍ «المِقْدَادِ بن الأَسْوَدِ» رضي اللَّه عنه، قال: «قلت لِرسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَها، ثُمَّ لاذَ[٢] مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فقال: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَأَقْتُلُهُ يا رسولَ اللَّه بَعْدَ أَنْ قَالها؟ فَقَالَ: «لَا تَقْتُلْهُ» فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قال ذلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فقال: لا تَقْتُلْهُ، فَإنْ قَتَلْتَهُ، فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قال» مُتَّفَقٌ عليه.

ومعنى «أَنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ» أَيْ: مَعْصُومُ الدَّمِ مَحْكُومٌ بِإسْلَامِهِ، ومعنى «أَنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ» أَيْ: مُبَاحُ الدَّمِ بِالْقِصَاصِ لِوَرَثَتِهِ، لا أَنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْكُفْرِ، واللَّه أعلم.

٣٩٣ ـ وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي اللَّه عنهما، قال: بَعَثَنَا رسولُ اللَّه ﷺ إلى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ عَلى مِيَاهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ[٣] قال: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، بَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فقال لي: «يا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ؟» قلتُ: يا رسولَ اللَّه إنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذاً[٤]، فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إله إلَّا اللَّهُ؟!» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَقَالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟!» قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ السِّلاحِ. قال: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ[٥] حَتَّى

---

(١) «من قال لا إله إلا الله» أي مقرونة بشقيقتها (محمد رسول الله) ولا يكفي أن يقول الجزء الأول منها ليدخل في الإسلام، ويعصم نفسه وماله من القتل.

(٢) «ثم لاذ بشجرة» أي اعتصم مني بشجرة ثم نطق بكلمة التوحيد، هل أقتله؟ قال: لا تقتله، ويؤخذ من هذا الحديث أن من قال: «لا إله إلا الله» فهو معصوم الدم محكوم بإسلامه، حتى ولو ارتكب أكبر الكبائر والموبقات!

(٣) «فلما غشيناه» أي دنونا منه وصرنا عند رأسه.

(٤) «إنما كان متعوذاً» أي معتصماً يريد بقولها أن ينجو من القتل لا معتقداً لها.

(٥) «أفلا شققت عن قلبه» أي هل شققت عن قلبه؟ حتى تعلم أنه قالها اعتقاداً، أو خوفاً من ـ

تَعْلَم أَقَالَها أَمْ لا؟!» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

«الحُرَقَةُ» بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ الْقَبِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ، وقوله: «مُتَعَوِّذاً» أَيْ: مُعْتَصِماً بِهَا مِنَ الْقَتْلِ لا مُعْتَقِداً لَها.

٣٩٤ ـ وعن جُنْدُبِ بْنِ عبدِ اللَّه، رضي اللَّه عنه «أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ[(١)] إلى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إذا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إلى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وأَنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ ـ وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ «أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» ـ فَلَمَّا رَفَعَ السَّيْفَ، قال: «لا إلهَ إلَّا اللَّهُ»، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فَسَأَلَهُ، وَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ، كَيْفَ صَنَعَ؟ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فقال: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَقَالَ: يا رسولَ اللَّهِ أَوْجَعَ في الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلاناً وفُلاناً ـ وسَمَّى له نَفراً ـ وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قال: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. قال رسول اللَّه ﷺ: أَقَتَلْتَهُ؟ قالَ: نَعَمْ، قال: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بلا إلهَ إلَّا اللَّهُ، إذا جاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قالَ: يا رسولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي!! قال: وَكَيْفَ تَصْنَعُ «بِلا إلهَ إلَّا اللَّهُ»[(٢)] إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَجَعَلَ لا يَزِيدُ عَلى أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إلهَ إلَّا اللَّهُ إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٩٥ ـ وعن عبدِ اللَّه بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مسعودٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي اللَّه عنه، يقولُ: إنَّ نَاساً كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ[(٣)] فِي عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ، وإنَّ الوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وإنَّما نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْراً، أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ[(٤)]، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّه

= القتل؟ والمراد أننا مكلَّفون بالعمل بالظاهر، وبما ينطق به اللسان، أما القلب فليس لنا طريق إليه، إنما أمره إلى علّام الغيوب.

(١) «بعثاً من المسلمين» أي جيشاً من المسلمين.

(٢) «كيف تصنع بلا إله إلا الله»؟ كيف تدفع العذاب عن نفسك؟ وأنت قد قتلت رجلاً قال: لا إله إلا الله؟ وفيه التحذير من قتل مسلم يقول: لا إله إلا الله.

(٣) «يؤخذون بالوحي» أي ينكشف أمرهم بما ينزل به الوحيُ في شأنهم، وقد انتهى هذا الوحيُ بموته ﷺ.

(٤) «أمنّاه وقرّبناه» أي صار عندنا أميناً ومقرَّباً لدينا.

يُحاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءاً[1]، لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وإِنْ قالَ: إِنَّ سَرِيرَتَه حَسَنَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في الخوف

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود: ١٠٢ ـ ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الآيات [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

والآيات في الباب كثيرة جداً معلوماتٌ، والغرضُ الإشارةُ إلى بعضها وقد حَصَلَ.

---

(١) «ومن أظهر لنا سوءاً» أي فعل الشرّ وكشف لنا عن سريرته، لم نأمنه ولم نصدّقه، وإن زعم أن سريرته طيّبة.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جداً، فنذْكُرُ مِنْها طَرَفاً وباللّه التَّوْفيقُ.

٣٩٦ ـ عن ابنِ مسعودٍ رضي اللّه عنه، قال: حدثنا رسولُ اللّه ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدوقُ[١]: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ[٢]، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ «رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» فَوَالَّذِي لا إلهَ غَيْرُهُ، إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلَّا ذِراعٌ[٣]، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُها، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدخُلُهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٩٧ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ[٤]، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٩٨ ـ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي اللّه عنهما، قال: سمِعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ[٥] يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «وهو الصادق المصدوق» أي هو ﷺ الصادق في قوله، المصدَّق عندنا، لأنه لا يقول إلا ما هو حقٌّ وصدقٌ.

(٢) «ينفخ فيه الروح» تُنفَخ في الجنين الروحُ لتمام أربعة أشهر.

(٣) «حتى ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراع» هنا يرد إشكال وهو: كيف تضيع حسناتُ الرجل المؤمن، الذي لم يبق بينه وبين الجنة إلا القليل؟ واللّه تعالى عادل لا يظلم أحداً؟ والجواب: أن هذا في المنافق، الذي يتظاهر بالإيمان وهو يُخفي الكفر، بدليل ما ورد في صحيح مسلم من قوله ﷺ «فيما يبدو للناس» فالحديث ليس في المؤمن الصادق، وإنما هو في المنافق الذي يُخدع به الناسُ. واللّه أعلم.

(٤) «زمام» الزمامُ: ما يُجعل في أنف البعير من حبل، ليشدَّ به عند سَوْقة، وجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، وهذا تمثيلٌ لضخامة جهنم، وفظاعة عذابها ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟

(٥) «في أخمص قدميه» أي يوضع في باطن قدميْه جمرتان، يغلي منها دماغُه، كغليان القدر بالماء الحار، وهذا «أبو طالب» كما جاء التصريح باسمه في رواية عند مسلم «أهونُ أهل النارِ أبو طالب وهو منتعلٌ بنعلين، يغلي منهما دماغه» صحيح مسلم ١/١٩٦.

٣٩٩ ـ وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي اللَّه عنه، أن نبيَّ اللَّه ﷺ قال: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى حُجْزَتِهِ[١]، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى تَرْقُوَتِهِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الحُجْزَةُ»: مَعْقِدُ الإزَارِ تحتَ السُّرَّةِ، و «التَّرْقُوَةُ» هِيَ: العَظْمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وللإنْسَانِ تَرْقُوَتَانِ في جَانِبَي النَّحْرِ.

٤٠٠ ـ وعن ابنِ عمر رضي اللَّه عنهما، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إلى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه. و «الرَّشْحُ» العَرَقُ.

٤٠١ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه، قال: «خَطَبَنَا رَسولُ اللَّه ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» فَغَطَّى أَصْحَابُ رسول اللَّه ﷺ وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: بَلَغَ رسولَ اللَّه ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ، فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ في الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا فَمَا أَتَى عَلى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُم وَلَهُمْ خَنِينٌ».

«الخَنِينُ» بالخاءِ المعجمة: هُوَ البُكَاءُ مَعَ غُنَّةٍ، وَانْبِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأَنْفِ.

٤٠٢ ـ وعن المِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيل، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ الرَّاوِي عَنِ المِقْدَادِ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ما يَعْنِي بِالمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) «منهم من تأخذه إلى حُجزته» أي تأخذه النار إلى سُرَّته.

(٢) «إلى ترقوته» أي تأخذه النار إلى عنقه عند البلعوم.

(٣) «في رشحه إلى أنصاف أذنيه» أي هو غارق في العَرَق من فَرْقه إلى قدمه، حتى يصل العَرَق إلى أذنيه من شدة الحر، أجارنا اللَّه من حرِّ يوم الحساب.

يَكُونُ إلى حِقْوَيْهِ[١]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجاماً»[٢] وَأَشَارَ رَسولُ اللَّه ﷺ بِيَدِهِ إلى فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٠٣ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأَرْضِ[٣]، سَبْعِينَ ذِرَاعاً، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه. ومعنى «يَذْهَبُ في الأَرْضِ» ينزل ويغوص.

٤٠٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول اللَّه ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبَةً[٤] فقال: هَلْ تَدْرُونَ ما هذَا؟ قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً[٥] فَهُوَ يَهْوِي في النَّارِ، الآنَ حَتَّى انْتَهَى إلى قَعْرِهَا، فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٠٥ ـ وعن عَدِيُّ بْنِ حَاتِمٍ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ[٦]، فَلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ[٧]، فَلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ[٨]، فَاتَّقُوا النَّارَ[٩] وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[١٠] مُتَّفَقٌ عليه.

٤٠٦ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنِّي أَرَى

(١) «إلى حِقْوَيه» أي إلى وسطه مكان معقد الزنّار.
(٢) «يُلْجِمه العرقُ إلجاماً» أي يصل إلى أعلى الرأس، حتى كأنه يسبح في عَرَقه.
(٣) «يَذْهبُ عرقُهم» أي يغوصُ في الأرض سبعين ذراعاً.
(٤) «سمع وَجْبَةً» أي سمع صوتاً شديداً من أعلى سقط على الأرض.
(٥) «سبعين خريفاً» أي ألقي منذ سبعين سنة، والآن وصل إلى قعر جهنم، حين سمعتم صوت سقوطه.
(٦) «أيمن منه» أي ينظر عن يمينه فلا يرى إلّا عمله.
(٧) «أشأم منه» أي وينظر عن شماله فلا يرى إلّا عملَه.
(٨) «النار تلقاء وجهه» أي لا يرى إلّا نار جهنم أمامه.
(٩) «فاتقوا النار» أي خلّصوا أنفسكم من نار جهنم.
(١٠) «ولو بشق تمرة» أي ولو بالتصدق بنصف تمرة، وهذا تمثيل لتقليل العمل، حتى ولو كان بالشيء الحقير، الذي تزهد فيه النفس، كنصف التمرة، أو حبة العنب كما فعلت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها.

مَا لا تَرَوْنَ[١]، وأَسْمَعُ ما لا تسمعون، أَطَّتِ السَّمَاءُ[٢] وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ[٣]، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للّهِ تَعَالى، واللّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّسَاءِ عَلى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُونَ[٤] إلى اللّهِ تَعَالى» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وَ «أَطَّتْ» الأَطِيطُ: صَوْتُ الرَّحْلِ وَالْقَتَبِ وَشِبْهِهِمَا، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ كَثْرَةَ مَنْ في السَّمَاءِ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعَابِدِينَ، قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّى أَطَّتْ. وَ «الصُّعُدَات» الطُّرُقَاتُ، ومعنى «تَجْأَرُونَ»: تَسْتَغِيثُونَ.

٤٠٧ ـ وعن أَبي بَرْزَةَ «نَضْلَةَ بنِ عُبَيدٍ الأَسْلَمِيِّ» رضي اللّه عنه، قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ[٥] يَوْمَ القيامَة، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٤٠٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: «قرأ رسولُ اللّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] ثم قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟[٦] قالوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ، بِمَا عَمِلَ عَلى ظَهْرِهَا،

---

(١) «أرى ما لا ترون» أي أرى أشياء غابت عنكم، مثل: «الملائكة، والجنة، والنار» وأسمع عذاب القبر، فلذلك أخبركم بالخبر القاطع، الذي أطلعني اللّه عليه.

(٢) «أطّت السماء» أي صار لها صوت، كصوت الحمل الثقيل على ظهر البعير.

(٣) «وحُقَّ لها أن تئطَّ» أي ويحِقُّ أن يُسمع لها هذا الصوتُ الشديد، وهذا كناية لطيفة عن كثرة الملائكة العابدين الساجدين، لتقرير عظمة اللّه تعالى.

(٤) «إلى الصُّعُدات تجأرون» أي خرجتم إلى الطرقات تستغيثون ربكم، وترفعون أصواتكم بالدعاء له ليرحمكم، ويُنجيكم من عذابه الشديد.

(٥) «لا تزول قدما عبد» أي لا ينصرف العبدُ من موقف الحساب، إلى الجنة أو النار، حتى يُسأل عن هذه الأمور الأربعة: «العمر، والمال، والعلم، والجسد» فيما استعملها؟

(٦) «أتدرون ما أخبارها»؟ أي هل تعرفون ما أخبارُ الأرض؟ هي أن تشهد على كل إنسانٍ رجلٍ أو امرأةٍ بما صنع على ظهرها!! تقول مثلاً، فلان صلّى على ظهري، وفلانٌ شرب الخمر يوم كذا، فهي تنطق بما فعل الناس على ظهرها من خير أو شر، وفي الحديث الآخر: «تحفَّظوا من الأرض فإنها أمُّكم، وإنه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً، إلَّا وهي مخبرةٌ به» رواه الطبراني.

تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فَهذِهِ أَخْبَارُهَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٠٩ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ[١] وَصَاحِبُ الْقَرْنِ[٢] قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ[٣] عَلى أَصْحَابِ رسول اللَّه ﷺ، فقال لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّه[٤] وَنِعْمَ الوَكِيلُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديثٌ حسنٌ.

«الْقَرْنُ»: هُوَ الصُّورُ الَّذي قال اللَّه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ كَذَا فَسَّرَهُ رسول اللَّه ﷺ.

٤١٠ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ[٥]، بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

«أَدْلَجَ» معناه: سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَالمُرادُ: التَّشْمِيرُ في الطَّاعَة. واللَّه أعلم.

٤١١ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها، قالت: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حُفَاةً، عُرَاةً غُرْلاً، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّه الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعاً؟ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ!؟ قال: يا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ[٦] من أَنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ».

---

(١) «كيف أنعم» أي كيف أفرح وأسرُّ، وقد قَرُب أمر الساعة؟

(٢) «وصاحب القرن» أي إسرافيل عليه السلام قد أمسك بالصور «البوق» وهو ينتظر أمر اللَّه، لينفخ فيه لموت الخلائق.

(٣) «ثَقُل على أصحاب رسول اللَّه» أي اشتدَّ ذلك الأمر عليهم وخافوا وفزعوا.

(٤) «حسبنا اللَّه» أي يكفينا اللَّه حافظاً، ومنجياً لنا من هول ذلك اليوم الشديد.

(٥) «من خاف أدلج» أي من خاف من ظلمة الليل، سار من أوله، ومن سار من أوله، بلغ المنزل الذي يريده، والغرض المسارعة في طاعة اللَّه جل وعلا.

(٦) «الأمرُ أشدُّ» أي الأمر أعظم وأهولُ من أن ينظر بعضهم إلى بعض، لأنهم في كرب وشدة، يجعلهم يذهلون عمَّا يرون!! نأخذ مثلاً من حياتنا: إنسانٌ حُكم عليه بالإعدام شنقاً، وهو الآن أمام حبل المشنقة، لو مرَّت عليه ملكة جمال الدنيا، لا ينظر إليها ولا يفكِّر في حسنها وجمالها الباهر، لأنه قد جاءه ما يشغله، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

وفي رواية: «الأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ» مُتَّفَقٌ عليه.
«غُرلاً» بضَمِّ الغَيْنِ المُعْجَمةِ، أي: غَيْرَ مختُونِينَ.

بابٌ في الرّجاء

قال اللّه تعالى: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٤١٢ ـ وعن عُبادةَ بْنِ الصامِتِ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إلهَ إلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ[1]، والجَنَّةَ حقٌّ والنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللّهُ الجَنَّةَ على ما كَانَ مِنَ العَمَلِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ النَّارَ»[3].

٤١٣ ـ وعن أبي ذرٍّ رضيَ اللّهُ عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يقولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ!! وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً[4]، وَمَن لَقِيَنِي بِقُرَابِ

---

(١) «وروح منه» أي روح مبتدأة من خلقه ومن عنده، أضيفت إلى اللّه على وجه التشريف.

(٢) «على ما كان من العمل» أي إن من مات على الإيمان، لا نخرجه الذنوب الكبائر عن إيمانه، ولا بدّ أن يدخل الجنة بمغفرة اللّه، أو بعد التطهير «أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان» كما ورد به الحديث الصحيح.

(٣) «حرّم اللّه عليه النار» أي إذا عمل بمقتضى كلمة الإيمان والتوحيد.

(٤) «أتيته هرولة» أي من جاء مقبلاً على ربه يمشي، كنتُ أسرعَ منه في الاستجابة لدعائه، وتنزّل الرحمة عليه، وليس العبد إذا أراد التوبة أو الطاعة يمشي نحو اللّه، ولا اللّه عزّ وجلّ يهرول نحوه، وإنما هذا كلّه على التمثيل، في سرعة قبول اللّه عزّ وجلّ لطاعته.

الأرضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بي شَيْئاً، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ومعنى الحديث: مَنْ تَقَرَّبَ إليَّ بِطاعَتِي «تَقَرَّبْتُ» إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي، وَإِنْ زادَ زِدْتُ، «فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي» وَأَسْرَعَ في طَاعَتِي «أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» أَيْ: صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا، وَلَمْ أُخوِجْهُ إلى المَشْيِ الْكَثِيرِ في الوُصُولِ إلى المَقْصُودِ، «وَقُرَابُ الأَرْضِ» بضمِّ القافِ، ومعناه: ما يُقارِبُ مِلأَها، واللَّه أعلم.

٤١٤ ـ وعن جابر رضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: «جاءَ أَعْرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما المُوجِبتانِ[1]؟ فَقَالَ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤١٥ ـ وعَن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ـ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ على الرَّحْلِ ـ قال: «يا مُعاذُ قال: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قالَ: يَا «مُعَاذُ» قالَ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثلاثاً، قالَ: ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلَّا اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلى النارِ، قالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِها النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: إذاً يَتَّكِلُوا، فَأَخْبَرَ بِها مُعاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله: «تَأَثُّماً» أَيْ: خَوْفاً مِنَ الإِثْمِ، في كَتْمِ هذَا العِلْمِ.

٤١٦ ـ وَعَنْ أَبي هريرةَ ـ أَوْ أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عَنهما ـ شَكَّ الرَّاوِي، وَلا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَينِ الصَّحابيِّ لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عُدُولٌ ـ قال: «لما كانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، أَصابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا[3]، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: افْعَلُوا، فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ إنْ فَعَلْتَ، قَلَّ الظَّهْرُ[4]، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ[5]، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ!!

---

(١) «ما الموجبتان» كلمةُ التوحيد توجب الجنة، وكلمةُ الشرك توجب النار، وهذا هو المراد بالموجبتين.

(٢) «أخبر بها تأثماً» أي أخبر بها عن النبي ﷺ قبل موته، خوفاً من دخوله في الإثم، بكتم العلم.

(٣) «نحرنا نواضحنا» أي الإبل التي تحمل الماء والمتاع.

(٤) «قلَّ الظهر» أي قلَّ المركب، وقلَّت الدوابُّ والإبل.

(٥) «بفضل أزوادهم» أي بالزائد الباقي من طعامهم.

فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ فَدَعَا بِنِطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يجيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، ويجيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، ويجيءُ الآخَرُ بِكِسرَةٍ، حَتى اجْتَمَعَ عَلى النِّطْعِ مِنْ ذلِكَ شَيءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قالَ: خُذُوا في أَوعِيَتِكُمْ، فَأَخَذُوا في أَوْعِيَتِهِمْ، حتى ما تَرَكُوا في العَسْكَرِ، وِعاءً إلَّا مَلَؤوهُ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَ فَضْلَةٌ[1]، فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلَّا اللَّهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بهما عَبْدٌ غَيْرُ شاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤١٧ ـ وَعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مالكٍ رضي اللَّه عنه ـ وهو مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا ـ قالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي بَني سالِمٍ، وَكَانَ يَحُولُ[2] بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وادٍ، إذا جاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ له: إنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي[3]، وَإنَّ الوَادِيَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إذا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ[4]، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي، فَتُصَلِّي في بَيْتِي، مَكَاناً أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فقال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَأَفْعَلُ، فَغَدا عليَّ رَسُولُ اللَّهِ، وأَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، بَعْدَما اشْتَدَّ النَّهارُ[5]، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إلى المَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، وَصَفَفْنَا وَراءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلى خَزِيرَةٍ[6] تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في بَيْتِي، فَثَابَ[7] رِجالٌ منهمْ، حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ في البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أَرَاهُ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذلِكَ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا

---

(١) «وفَضَلَ فضلَةٌ» أي بقي من الطعام شيء لا بأس به، بعد أن ملؤوا جميع ما عندهم من أوعية، ببركة دعاء النبي ﷺ.

(٢) «وكان يحول» أي يحجز ويمنع بيننا الوادي.

(٣) «أنكرتُ بصري» أي ضعف بصري حتى كدتُ أفقده.

(٤) «يشقُّ عليَّ اجتيازه» أي المرور في الوادي وقطْعه.

(٥) «اشتدَّ النهار» أي علا وارتفعت شمسُه.

(٦) «خزيرة» قال ابن قتيبة: الخزيرةُ: لحمٌ يُقطع صغاراً، ثم يُطبخ فإذا نَضِجَ ذُرَّ عليه الدقيقُ.

(٧) «فثاب رجال» أي اجتمع رجال من أهل الحيّ.

تَقُلْ ذلِكَ، أَلَا تَرَاهُ[١] قالَ: «لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ» يَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعالى؟!. فَقَالَ: اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ!! أَمَّا نَحْنُ فَوَاللَّهِ مَا نَرَى وُدَّهُ، وَلَا حَدِيثَهُ إلَّا إلى المُنَافِقِينَ! فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: «لا إله إلا اللَّه» يَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«الخَزِيرَةُ» بالخاءِ المُعْجَمَةِ، وَالزَّايِ: هي دَقِيقٌ يُطْبَخُ بِشَحْمٍ، وقوله: «ثَابَ رِجَالٌ»، أَيْ: جَاؤُوا واجْتَمَعُوا.

٤١٨ ـ وعن عمرَ بْنِ الخطَّابِ رضيَ اللَّهُ عنه، قال: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ[٢] تَسْعَى، إذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ، فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، فَأَرْضَعَتْهُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَرَوْنَ هذِهِ[٣] المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لا واللَّهِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا» متَّفقٌ عليه.

٤١٩ ـ وعن أَبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

وفي روايةٍ «غَلَبَتْ غَضَبِي» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٢٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ في الأَرْضِ جُزْءاً واحِداً، فَمِنْ ذلِكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا[٤] عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».

وفي روايةٍ: «إنَّ لِلَّهِ تَعالَى مائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ، وَالبَهَائِمِ وَالهَوامِّ، فَبِهَا يَتعاطَفُونَ، وبِهَا يَتَراحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تعالى تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِها عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ،

---

(١) «ألا تراه» أي ألا تعلم أنه رجل مؤمن يقول: «لا إله إلا الله»؟

(٢) «السَّبْيُ» الأسرُ، أي رأت رضيعاً في الأسرى.

(٣) «أترون هذه»؟ أي أتظنون هذه المرأة ترمي بولدها في النار؟ والغرضُ من الحديث بيانُ أن رحمة الله بعباده، أعظم من رحمة هذه الام بولدها الرضيع، ومهما اشتدت رحمة الأم، فرحمة الله أوسع وأعظم.

(٤) «ترفع حافرها» أي ترفع رجلها وقدمها عن ولدها، خشية إيذائه وهو يرضع.

كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا بِهذِهِ الرَّحْمَةِ».

٤٢١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، فِيمَ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنباً، فقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنبي، فقالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتعالى: أَذْنَبَ عبدي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فقال: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فقال تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فقال: أَي رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فقال: تَبَارَكَ وَتَعَالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربّاً يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله تعالى: «فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» أي: ما دَامَ يَفْعَلُ هكَذَا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أَغْفِرُ لَهُ، فَإِنَّ التَّوبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

٤٢٢ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّه تعالى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٣ ـ وعن أبي أَيُّوبَ «خَالِدِ بْنِ زَيد» رضي اللَّه عنه، قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللَّهُ خَلقاً يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «فَلْيفعل ما شاء» قال العلماء: ليس هذا تحريضاً للناس على الذنوب، بل هو لبيان سعة مغفرة اللَّه لجميع الذنوب، فلو كانت ذنوب الإنسان تملأ الأرض، لا ينبغي أن يقنط من رحمة اللَّه. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال ابن مالك: هذا الحديث كان لتسلية أصحاب النبي ﷺ، وإزالة شدة الخوف عن صدورهم، لأن الخوف كان غالباً عليهم، حتى فرّ بعضهم إلى رؤوس الجبال للعبادة، وبعضهم اعتزل النساء، وبعضهم هجر النوم، ويؤيده ما جاء في الحديث الآخر «لو لم تُذنبوا لخلق اللَّه خلقاً يُذنبون فيستغفرون فيغفر لهم» ومعناه: لو أنكم كنتم كالملائكة لا تذنبون، لجاء بقوم تميلُ نفوسهم إلى الشهوات، يذنبون وتقع منهم المعاصي، فيستغفرون اللَّه فيغفر لهم، لأن من أسمائه تعالى «الغفّار» وهذا يستدعي مغفوراً له، أي من يخطئ ويذنب ويتوب فيغفر اللَّه له.

٤٢٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كُنَّا قُعُوداً مَعَ رسول الله ﷺ ـ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، رضي الله عنهما في نَفَرٍ ـ فَقَامَ رسول الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا[١]، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا[٢]، فَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا[٣]، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسول الله ﷺ، حَتَّى أَتَيتُ حَائِطاً[٤] لِلأَنْصَارِ ـ وذَكَرَ الحَدِيثَ[٥] بطُولِهِ ـ إلى قوله: فقال رسول الله ﷺ، اذْهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هذا الحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلَّا الله، مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٥ ـ وعن عبد الله بْنِ عَمْرِو بن العاص، رضى الله عنهما «أن النبي ﷺ تَلا قَولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في إبراهيم[٦] ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقَوْلَ عيسى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقال: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي!! وَبَكَى، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: يَا جبريلُ اذْهَبْ إلى مَحَمَّدٍ ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ ما يُبكِيهِ؟

---

(١) «قام من بين أظهرنا» أي قام من بيننا وذهب لحاجة.

(٢) «فأبطأ علينا» أي تأخر عن الرجوع إلينا.

(٣) «ففزعنا» أي خفنا عليه من اليهود، وأن يصاب بمكروه.

(٤) «حائطاً للأنصار» أي بستاناً لرجل من أهل المدينة.

(٥) «وذَكَر الحديث» أي ذكر أبو هريرة تتمة الحديث، وفيه: «فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقال: ما شأنُكَ؟ قلتُ يا رسول الله خشينا عليك ففزعنا، وهؤلاء الناس ورائي، فأعطاني نعليه وقال: اذهبْ بهما فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط، يشهد «أن لا إله إلا الله» مستيقناً بها قلبُه، فبشِّره بالجنة، فكان أول من لقيت عمر، فقال لي ما وراءك؟ فأخبرتُه بما أمرني به رسول الله ﷺ، فضرب بين ثدْيَيَّ حتى سقطتُ على اسْتي ـ أي مقعدي ـ وقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ ولتا أجهش بالبكاء، ولحقني عمر، فقال له ﷺ: ما حملك على ما فعلت يا عمر؟ فقلت يا رسول الله: إني أخشى أن يتّكل الناسُ عليها، فخلِّهم يعملون! قال رسول الله ﷺ: فخلِّهم» صحيح مسلم ١/ ٦١.

(٦) «تلا قول الله في إبراهيم» أي قرأ رسول الله ﷺ قول إبراهيم في الأصنام هذه الآية: ﴿ربِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾ أي إن هذه الأصنام، قد أضلَّت كثيراً من الخلق عن الهداية والإيمان، وتلا قول عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ أي مستحقون للعذاب، ومرادُه: عذابُكَ لهم عدل، ومغفرتك لهم فضل، وبعد تلاوته ﷺ للآيتين بكى شفقة منه على أمته، فأرسل الله إليه جبريل، يبشِّره بأنه سيرضيه في أمته، ولا يُخزيه، وفي هذا الحديث بيانٌ لكرامة هذه الأمة عند الله، وبيان لرفعة شأن هذا النبيّ الكريم، حيث أعطاه ربه لأمته ما يشتهيه ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ كما أعطاه الشفاعة العظمى، فما أرفعه من قدر؟ وما أكرمه من عطاء وفضل!؟

فَأَتَاهُ جِبرِيلُ، فَأَخْبَرَهُ رسولُ اللَّه ﷺ بِمَا قال: وَهُوَ أَعْلَمُ، فقال اللَّهُ تعالى: يا جِبريلُ اذهَب إلى مُحَمَّد فَقُل: إنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٦ ـ وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَل رضي اللَّه عنه، قال: «كُنْتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ على حِمار، فقال: يَا مُعَاذ هَل تَدري مَا حَقُّ اللَّه عَلى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلى اللَّه؟ قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! قال: فإنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلى العِبَاد أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقَّ العِبَادِ عَلى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه أَفلا أُبَشِّرُ[1] النَّاسَ؟ قال: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٢٧ ـ وعنِ البَرَاءِ بْنِ عازِب رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ إذَا سُئِلَ في القَبْرِ، يَشْهَدُ أن لا إله إلَّا اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللَّه، فَذلِكَ قولُه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2] [إبراهيم: ٢٧]» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٢٨ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ الكَافِرَ إذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعمَةً مِنَ الدُّنْيَا[3]، وَأَمَّا المُؤمِنُ، فَإنَّ اللَّه تعالى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ في الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً في الدُّنْيَا عَلى طَاعَتِهِ».

وفي روايةٍ: «إنَّ اللَّه لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا في الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للَّهِ تعالى في الدُّنْيَا، حَتَّى إذَا

---

(١) «أفلا أبشر» أي ألا أبشرهم بهذه البشارة السارة؟ قال: لا تبشرهم لئلا يتركوا العمل، ويتمسكوا بالأمل.

(٢) هذا الحديث الشريف نصٌّ صريح قاطع، على سؤال الإنسان في القبر، فإنه يمتحن في قبره، ويُسأل عن دينه، ومعتقده، وإيمانه بالرسول ﷺ، كما جاء في صحيح البخاري: «ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم»؟ يعني به محمداً ﷺ، فالمؤمن يثبّته الله في الحياة الدنيا على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» وفي الآخرة عند سؤال المَلَكَيْن له، فيقول: ربي الله، ويقول: ديني الإسلام، ونبيّ محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تأكد هذا بالآية الكريمة أيضاً.

(٣) «أُطعم بها طُعمةً من الدنيا» أي أُعطي الكافر مقابل عمله الصالح، كعتق رقبة، أو إحسان إلى مسكين، جزاءه في الدنيا، فيكون ذلك حظّه من عمله، حتى لا يبقى له في الآخرة شيء، وأما المؤمن فإن الله يعطيه رزقاً في الدنيا، على عمله الصالح، ويدّخر له ثوابها في الآخرة، ومعنى «يُعقبه» أي يعطيه.

أَفْضَى[١] إلى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٩ ـ وعن جابرٍ رضي اللّه عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهَرٍ جَارٍ غَمْرٍ[٢] عَلى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْغَمْرُ» الْكَثِيرُ.

٤٣٠ ـ وعنِ ابنِ عباسٍ، رضي اللّه عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ، يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلى جِنَازَتِهِ[٣] أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لا يُشْرِكُونَ باللّهِ شَيْئاً، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللّه فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٣١ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللّهُ عنه، قال: «كُنَّا مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ في قُبَّةٍ نَحواً مِنْ أَرْبَعينَ، فقال: أَتَرضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَم! قال: أَتَرضَوْنَ أَنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنةِ؟ قلنا: نَعَمْ، قال: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأرجو[٤] أن تَكُونُوا نصف أَهْلِ لجَنَّةِ، وَذلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ[٥]، وَمَا أَنْتُم في أَهْلِ الشِّرْكِ، إِلَّا كَالشَّعرةِ البَيْضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأسودِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٣٢ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه، قال: قال رسولُ اللّه

---

(١) «حتى إذا أفضى» أي إذا صار الكافر إلى الآخرة، لم يكن له حسنة عند الله يجزى عليها.

(٢) مثلٌ رائع بديع يصوّره لنا الرسول ﷺ للصلوات الخمس التي يصلّيها المؤمن، فقد شبّهها في تطهيرها الإنسان من دَنَس المعاصي والآثام، بشخص يمرُّ من أمام داره نهر عذبٌ كثيرُ الماء، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على جَسَده شيء من الدَّرن والوسخ؟ كذلك الصلوات الخمس، يمحو اللّهُ بها الذنوبَ والآثام، وقوله: «على باب أحدكم» إشارة إلى سهولة الماء، وقرب تناوله دون عنه.

(٣) «يقوم على جنازته» أي يصلّي عليه أربعون مسلماً لا يشركون باللّه، إلّا غفر اللّه له بشفاعتهم، ومن شروط هؤلاء الشفعاء، ألا يكون فيهم منافق أو فاجر فاسق.

(٤) «إني لأرجو» كلُّ رجاء جاء في القرآن أو السُّنّة، فهو على التحقيق، كقوله سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ أي سيبعثك اللّه، وإنما يُؤتى به بصيغة الرجاء على عادة الملوك يقولون: عسى تُعطى، وهم جازمون، وجاء في حديث آخر «أهلُ الجنة مائة وعشرون صفاً، أمتي منها ثمانون صفاً» رواه الترمذي وأحمد، فتكون أمة محمد ثلثا أهل الجنة، والثلث الباقي من سائر الأمم.

(٥) «لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة» هذا نصٌّ قاطع على أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ إِلى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً فَيَقُولُ: هذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»[1].

وفي روايةٍ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «هذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» مَعْنَاهُ مَا جَاءَ في حديث أبي هريرة، رضي اللَّه عنهُ: «لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ» فالمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ، لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ بِكُفْرِهِ.

وَمَعنى «فِكَاكُكَ»: أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضاً لِدُخُولِ النَّارِ، وَهذَا فِكَاكُكَ، لأَنَّ اللَّه تعالى قَدَّر لِلنَّارِ عَدَداً يَمْلَؤُهَا، فَإِذَا دَخَلَهَا الكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وكُفْرِهِمْ، صَارُوا في مَعْنى الفِكَاكِ لِلْمُسْلِمِينَ، واللَّه أعلم.

٤٣٣ ـ وعن ابن عمرَ رضيَ اللَّه عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «يُدْنَى المُؤْمِنُ يومَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ، حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ[2] عَلَيْهِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ[3]، فيقولُ: أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فَإِنِّي قَد سَتَرْتُهَا عَلَيكَ في الدُّنيا، وَأَنَا أَغْفِرُها لَكَ اليومَ، فيُعطَى صحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه. «كَنَفَهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

٤٣٤ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه، «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً[4]، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فأخبره، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]. فقال الرجل: ألي هذا يا رسول اللَّه؟ قال: لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «هذا فِكَاكُكَ من النار» أي خلاصُك وفداؤك.

(٢) «يضع عليه كَنَفَه» أي يُقرِّب المؤمن يوم القيامة من ربه، حتى يضع تعالى عليه ستره ورحمته.

(٣) «يقرِّره بذنوبه» أي يعرِّفه بذنوبه فيعترف بها، فيقول له سبحانه: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وهذا هو الحساب اليسير، الذي أشارت إليه الآية ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ويُسَمَّى «العَرْض» أما من نُوقِشَ الحساب عُذِّب.

(٤) «أصاب قُبلة» أي قبَّل امرأة ثم ندم فجاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «أصبتُ حداً فأقمه عليَّ» أي فطهِّرني منه، ومراده بالحدِّ هنا: الذنبُ الذي يوجب التعزير، وقد توضَّح أنه تقبيل المرأة الأجنبية، وفيه نزلت الآية ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وليس هو الزنى، أو القذف، أو شرب الخمر، فافهم ذلك واللَّه يرعاك.

٤٣٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه، قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّهِ أَصَبْتُ حدّاً، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّى مَعَ رسول اللّه ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ قال: يا رسول اللّهِ إنِّي أَصَبْتُ حدّاً، فأَقِمْ فيَّ كِتَابَ اللّهِ!! قال: هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ؟ قال: نَعم، قال: قد غُفِرَ لَكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله: «أَصَبْتُ حَدّاً» معناه: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِير، وَليسَ المُرَادُ الحَدَّ الشَّرْعِيَّ الحَقِيقِيَّ، كَحَدِّ الزِّنَا والخمر وَغَيْرِهِمَا، فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصلاةِ، ولا يجوزُ لِلإمَامِ تَرْكُهَا.

٤٣٦ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ اللّه لَيَرْضَى عن الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عليها، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الأَكْلَةُ» المرةُ الواحدةُ مِنَ الأَكْلِ، كَالْغَدْوَةِ والْعَشْوَةِ، واللّه أعلم.

٤٣٧ ـ وعن أبي موسى رضي اللّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللّه تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ[١]، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حتى تطْلُعَ الشمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٣٨ ـ وعن أبي نَجيح «عَمرو بن عَبَسَةَ» السُّلَمِيِّ رضيَ اللّهُ عنه، قال: «كنتُ وَأَنَا في الجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلى ضَلَالَةٍ[٢]، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا على شيءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلى راحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فإذا رسول اللّه ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَآءُ عليهِ قَوْمُهُ[٣]، فَتَلَطَّفْتُ[٤] حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فقلتُ له: ما أَنْتَ؟ قال: أَنَا نَبِيٌّ، قلتُ:

---

(١) «يبسط يده بالليل» بسطُ اليد: كنايةٌ عن قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد، لأن العرب إذا رضيَ أحدهم الشيء، بسطَ يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه، فخوطبوا بما يفهمونه، ومعنى الحديث أنه تعالى يقبل توبة العبد ليلاً ونهاراً، حتى تطلع الشمس من مغربها، فلا تُقبل التوبةُ.

(٢) «أظن الناس على ضلالة» أي أعتقد أنهم على ضلالة، لأنهم يعبدون حجارة لا تسمع ولا تنفع، ولهذا قال «وهم يعبدون الأوثان».

(٣) «جُرَءاءُ عليه قومه» أي قومُه سفهاء متسلّطون عليه، يهزءون منه ويسخرون، ويؤذونه بأنواع الأذى.

(٤) «فتلطفت» أي ترفّقتُ في الأمر حتى أدخل عليه.

وما نبيٌّ؟ قال: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، قلت: وبأيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ، قلت لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلى هذَا؟ قال: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قال: ومَعَهُ يَوْمَئِذٍ أبو بكرٍ، وبِلالٌ رضيَ اللَّه عنهما، مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قال: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَوْمَكَ هذَا، أَلا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلكِنِ ارْجِعْ إلى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بي قد ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قال: فَذَهَبْتُ إلى أهلي، وَقَدِمَ رسول اللَّه ﷺ المَدِينَةَ، وكنتُ في أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ[١]، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حينَ قَدِمَ المدينَةَ حتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي المدينةَ، فقلتُ: مَا فَعَلَ هذَا الرَّجُلُ الذي قَدِمَ المدينةَ؟ فقالوا: النَّاسُ إليهِ سِرَاعٌ[٢]، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عليهِ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه أَتَعْرِفُنِي؟ قال: نَعم أَنْتَ الذي لَقِيتَنِي بِمكَّةَ، قال: فقلتُ: يا رسولَ اللَّه أَخْبِرْنِي عمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاةِ؟ قال: صَلِّ صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ[٣]، وَحِينَئِذٍ يَسْجُد لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ، فَإِنَّ الصَّلاةَ مشهودةٌ مَحْضورَةٌ حتى يستقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمحِ، ثُمَّ اقْصُر عن الصَّلاةِ[٤]، فإنه حينئذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ[٥]، فإذا أقبلَ الفَيءُ فصَلِّ، فإنَّ الصَّلاةَ مَشهودةٌ مَحضورةٌ[٦]، حتى تُصَلِّيَ العَصْرَ، ثم اقصُر عن الصلاةِ حتى تَغْرُبَ الشمسُ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار، قال: فقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللَّه، فالوضوءُ حدِّثني عنه؟ فقال: ما مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إِلَّا خَرَّتْ خطايا وجهِهِ، وفيهِ[٧]،

---

(١) «أتخبَّر الأخبار» أي أتكلَّف السؤالَ عن أخبار محمد ﷺ وأسأل كلَّ قادم من أرض الحجاز.

(٢) «الناسُ إليه سِرَاع» أي مسرعون للدخول في دينه.

(٣) «بين قرنَيْ شيطان» أي تكون الشمس بين ناحيتَيْ رأسه يظهر معها عند ظهورها، فالساجدون لها من الكفار، كالساجدين له في الصورة، فلذلك كُرهت الصلاة.

(٤) «ثم اقصر عن الصلاة» أي كفَّ عن الصلاة فلا تصلِّ.

(٥) «تُسجر جهنم» أي تُسعَّر وتلتهب بالوقود.

(٦) «فإن الصلاة مشهودة محضورة» أي تحضرها الملائكةُ، فهي أقرب إلى القبول، وتشهدها وتكتبها لمن صلَّاها.

(٧) «خطايا وجهه وفيه وخياشيمه» أي ذنوب وجهه، وفمه، وأنفه.

وخياشيمِهِ، ثم إذا غَسَلَ وجهَهُ كما أَمَرَهُ اللَّهُ، إلَّا خَرَّت خطايا وجهِهِ، مِنْ أطرافِ لِحْيَتِهِ مع الماءِ، ثم يغسِل يَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ، إلَّا خرّت خطايا يديه من أنامِلِهِ مع الماءِ، ثم يَمسحُ رَأسَهُ، إلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأسِهِ من أطرافِ شَعْرِهِ مع الماء، ثم يَغْسِل قَدَمَيْهِ إلى الكَعْبَيْنِ، إلَّا خَرَّتْ خطايا رِجْلَيهِ من أنامِلِهِ مع الماء، فإن هو قامَ فصلَّى، فحمِدَ اللَّه تعالى، وأثْنَى عليهِ وَمَجَّدَهُ، بالذي هو له أَهلٌ، وفَرَّغَ قلبه للَّهِ تعالى، إلَّا انصَرَفَ من خطيئتِهِ كَهَيْئَتِهِ يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فحدّثَ «عَمْرُو بن عَبَسَةَ» بهذا الحديثِ أبا أمامَة صاحِبَ رسولِ اللَّه، فقال له أبو أُمَامَة: يا عَمْرُو بن عَبَسَةَ، انظُر ما تقولُ؟ في مقامٍ واحِدٍ يعطى هذا الرَّجُلُ[1]؟ فقال عَمْروٌ: يا أبا أمامَةَ لَقَدْ كبرَتْ سِنِّي، ورَقَّ عظْمِي، واقْتَرَبَ أَجَلِي، وما بِيْ حَاجَةٌ أنْ أكذِبَ على اللَّه تعالى، ولا على رسول اللَّه ﷺ، لو لم أَسْمَعْهُ مِن رسول اللَّه ﷺ، إلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَو ثلاثاً، حتَّى عَدَّ سبعَ مَرَّاتٍ، ما حَدَّثْتُ أبداً بِهِ، ولكنِّي سَمِعْتُهُ أكثر من ذلك. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «جُرَآءُ عليهِ قومُهُ» على وزنِ عُلماءَ، أي: جاسِرُونَ مُستطِيلونَ، غيرُ هائِبينَ، «بين قَرْنَيْ شيطان» أي: ناحيَتَيْ رأسه، وهذا على التمثيل.

٤٣٩ ـ وعن أبي موسى الأشعَري رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا أَرادَ اللَّهُ تعالى رحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قبلَها، فجعَلَهُ لها فَرَطاً وسَلَفاً[2] بين يَدَيها، وإذا أراد هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عذَّبها ونبيُّها حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وهوَ حَيٌّ ينظُرُ، فَأَقَرَّ عينَهُ[3] بِهَلاكِهَا، حين كَذَّبوهُ وَعصَوا أَمْرَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

(١) «في مقام واحد يُعطى هذا؟» أي تثبُتُ من هذا القول على رسول اللَّه ﷺ؟ هل يُنالُ كلُّ هذا الأجر على أمر يسير كالوضوء، وتُغفر له جميع ذنوبه؟ ويرجع كيوم ولدته أمه؟

(٢) «فَرَطاً وسَلَفاً» الفارط: الذي يتقدّم المسافرين ليدلهم على الماء، أي يكون النبيُّ متقدماً على أمته ليدلهم على طريق الجنة، ويكون لهم قدوة يقتدون به، وفي الدعاء المشهور «جعَلَكَ اللَّه خير خَلَف لخير سَلَف».

(٣) «فأقرّ عينه بهلاكها» أي جعله مسروراً مرتاح القلب، لهلاك قومه، لتكذيبهم له وسخريتهم منه.

بابٌ في فضل الرّجاء

قال الله تعالى إخباراً عن العبدِ الصّالحِ[1]: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٤ ـ ٤٥].

٤٤٠ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللّه عنه، عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنّهُ قال: «قال اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُني ـ واللّهِ للّهُ أفرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاةِ[2] ـ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعاً، تَقَرَّبْتُ إليه بَاعاً، وإذا أقبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيهِ أُهَرْوِلُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وهذا لفظ إحدى روايات مسلم، وتقدّم شرحُهُ في الباب قبله.

وروي في الصحيحين: «وأنا معه حينَ يَذْكُرُنِي» بالنون، وفي الرواية السابقة «حَيْثُ» بالثاء، وكلاهما صحيح.

٤٤١ ـ وعن جابرِ بْنِ عبدِ اللّهِ رضيَ اللّهُ عنهما، أنّهُ سمعَ النّبيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثلاثَةِ أيّام يقولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللّهِ عزَّ وجَلَّ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٤٢ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللّه عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «قال اللّه تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثم

---

(١) «إخباراً عن العبد الصالح» هو مؤمن آل فرعون، الذي ذكره تعالى بقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ نصح قومَه وذكّرهم وخوّفهم من عذاب الله، فلمّا لم يستجيبوا له قال لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي ستذكرون نصيحتي إذا نزل بكم العذاب، وأسلّم أمري إلى الله وأتوكل عليه، فوقاه الله من شرّهم.

(٢) «ضالته بالفلاة» أي دابته الضائعة التي عليها طعامه وشرابه.

(٣) «وهو يحسنُ الظن بالله» هذا حث على الرجاء، وتحذير من اليأس من رحمة الله، أي لا يمتْ أحدكم إلا وهو واثقٌ من رحمة الله وعفوه، وهذا إذا دَنَتْ أماراتُ الموت، يغلّبُ الرجاءَ على الخوف، ومِمّا يُروى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال:

وَلَمّا قَسَا قَلْبي، وضاقَتْ مَذاهبي ... جَعَلْتُ الرجا مِنّي لِعَفْوِكَ سُلَّما

تَعاظَمَني ذَنْبي، فَلَمّا قَرَنْتُه ... بِعَفْوِكَ رَبّي كانَ عَفْوُكَ أعْظَما

اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرتُ لَكَ ولا أُبالي، يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطايا[١]، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[٢]، وقال حديث حسن.

«عَنَانُ السَّماءِ» بفتح العين، مَا عَنَّ لَك منها، أي: ظَهَرَ إذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ، وقيلَ: هو السَّحَابُ. و «قُرَابُ الأرض» بضم القاف، هو: ما يُقَارِبُ مِلأَهَا، واللّه أعلم.

❁❁❁

بابٌ في الجمع بَيْنَ الخوف والرّجاء

اعْلَمْ أَنَّ المُخْتَارَ لِلعَبْدِ في حَالِ صحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفاً راجياً، وَيكونَ خوفُهُ ورجاؤُه سواءً، وفي حالِ المَرَضِ يَتَمَحَّضُ[٣] الرَّجَاءَ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَغَيْرِ ذلِكَ مُتَظَاهِرَةٌ على ذلك.

قال اللّه تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤] [الأعراف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥] [يوسف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[٦] [القارعة: ٦ ـ ٩].

---

(١) «بِقُرَابِ الأرض خطايا» أي ما يقارب ملأ الأرض من الخطايا.

(٢) ورد في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أمر اللّهُ بعبد إلى النار، فلما وقف على شفيرها ـ أي طرفها ـ التفت، وقال: أما واللّهِ يا ربِّ إن كان ظَنِّي بك لحسنٌ!! فقال اللّه: ردُّوه، أنا عند ظنِّ عبدي بي» رواه البيهقي، والسيوطي في البدور السافرة.

(٣) «يتمحَّض الرجاء» أي يُخلص الرجاء، ويُحسن الظنَّ باللّه.

(٤) ﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ مكرُ اللّه: استعارة لاستدراج العبد، وأخذه من حيث لا يشعر كما قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٥) ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي لا يقنط من رحمته وعفوه إلا الكافر.

(٦) ﴿فأمُّه هاوية﴾ أي فمسكنه ومستقرُّه في نار جهنم، والهاوية من أسماء النار، سمّاها أماً لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه، ويهوي فيها إلى أسفل سافلين، فهي هاوية.

والآيات في هذا المعنى كثيرة. فَيَجْتَمِعُ الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية.

٤٤٣ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ ما عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٤٤ ـ وعن أبي سَعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أو الرجالُ عَلى أَعْنَاقِهِمْ، فإنْ كانَتْ صالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُوني، قَدِّمُوني[1]، وَإنْ كانَتْ غَيْرَ صالِحَةٍ، قالَتْ: يا وَيْلَها! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الإنْسانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ»[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٤٥ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ»[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في فضل البكاء من خشية اللَّه تعالى وشوقاً إليه

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٠].

٤٤٦ ـ وعَن ابن مَسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ» قلتُ: يا رسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قالَ: «إني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّسَاءِ، حتى جئْتُ إلى هذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[4] [النساء: ٤١].

---

(١) «قدموني قدموني» تقول ذلك شوقاً إلى ما أعدَّه الله لها من نعيم القبر ونضارته، فالقبر إمَّا روضة، وإمَّا جحيم.

(٢) «ولو سمعه صعق» أي مات لشدة الصوت، وشدَّة الهول والعذاب الذي يراه.

(٣) معنى الحديث: أن تحصيل الجنة يكون بالشيء اليسير، وهو الإيمان والطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى، وفعل المعصية.

(٤) دخل ابن مسعود على رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، فقال له الرسول ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن!! تعجَّب ابن مسعود فقال: كيف أقرأ أمامك، وعليك أُنزِل هذا القرآن؟ فلمَّا أكَّد ـ

قال: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٤٧ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ، فقالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، قال: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّه ﷺ وُجُوهَهُمْ ولهُمْ خَنِينٌ» مُتَّفَقٌ عليه، وَسَبَقَ بَيَانُهُ في بابِ الخَوْفِ.

٤٤٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ[1]، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٤٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالياً فَفاضَتْ عَيْناهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٠ ـ وعَن عبدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضيَ اللَّهُ عنه، قال: «أَتَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، ولجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ[2] مِنَ البُكاءِ» حديث صحيح رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمذي في «الشَّمائِلِ» بإسنادٍ صحيحٍ.

٤٥١ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ لأُبَيِّ بن

= عليه الرسول ﷺ القراءة، قرأ عليه سورة النساء من أولها، حتى وصل إلى هذه الآية: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي الأشخاص المعادين لك من كفار قريش، قال له: يكفيك الآن، فإذا بالدموع تنهمر من عينيْ رسول الله ﷺ من شفقته على الناس.

(١) «حتى يعود اللبن في الضرع» أي لا يدخل المؤمن الصادق الذي يبكي من خشية الله نار جهنم، إلا إذا عاد الحليب إلى ضرع الشاة، وذلك مستحيل في العادة، ففيه نوع من التمثيل لاستحالة عودته، كما أن الكافر لا يدخل الجنة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾. أي يدخل في ثقب الإبرة. وهذا مستحيل أيضاً.

(٢) «أزيز كأزيز المرجل» أي يُسمع لصدره صوتُ البكاء كصوت القدر حين يغلي ويفور لكمال خشيته وخوفه ﷺ من ربه.

كَعْبٍ، رضي اللَّهُ عنهُ: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أمَرَني أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١] قالَ: وَسَمَّاني؟ قالَ: نَعَمْ فَبَكى أُبَيٌّ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي».

٤٥٢ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ أبو بَكْرٍ لعمرَ، رضيَ اللَّهُ عنهما ـ بعدَ وفاةِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ انْطَلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أيْمَنَ نَزُورُهَا، كما كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إلَيْهَا بَكَتْ، فَقالا لها: ما يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلمينَ أنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ تَعالى خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ! قالَتْ: ما أبكي أن لا أكون أعْلَمُ أنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولكِنِّي أبْكِي أنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلى البُكاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيانِ مَعَها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقد سبق في باب زِيارَةِ أهل الخير.

٤٥٣ ـ وعن ابنِ عمَر رضيَ اللَّهُ عنهما قال: «لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، قيلَ لَهُ في الصَّلاةِ، فقال: مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ، فقالتْ عائشةُ، رضيَ اللَّهُ عنها: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ[1]، إذا قَرَأ القُرآنَ غَلَبَهُ البُكاءُ، فقالَ: مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ».

وفي رواية: عن عائشَةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالَتْ: «قلتُ: إنَّ أبا بَكْرٍ إذا قامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٤ ـ وعن إبراهيمَ بْنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عوْفٍ أنَّ «عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ» رَضِيَ اللَّهُ عنهُ «أُتِيَ بِطَعامٍ وكانَ صَائِمًا، فقالَ: قُتِلَ «مُصْعَبُ بنُ عُمَيرٍ» رضيَ اللَّهُ عنه، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ ما يُكَفَّنُ فيهِ إلَّا بُرْدَةٌ[2] إنْ غُطِّيَ بها رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وإنْ غُطِّيَ بها رِجْلاهُ، بَدَا رأسُهُ، ثُم بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيا ما بُسِطَ ـ أوْ قالَ: أعْطِينَا مِنَ الدُّنْيا ما أُعْطِينَا ـ قَدْ خَشِينَا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنا[3]، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكي حتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) «رجل رقيق» أي رقيق القلب، كثير البكاء، وفي هذا الحديث إشارة إلى أفضليَّة أبي بكر في الخلافة، حيث أمر الرسول ﷺ أن يكون أبو بكر الإمام لهم في الصلاة، ولهذا لمَّا اختلف الصحابة فيمن يكون خليفة بعد رسول الله ﷺ، قال النُّبهاء منهم «رَضِيَهُ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا»؟

(٢) «لم يوجد له إلَّا بردةٌ» كساءٌ أسود مربع تلبسه الأعراب.

(٣) «حسناتُنا عُجِّلت لنا» أي عُجِّل لنا جزاء أعمالنا الصالحة في الدنيا فلا نقدم على جزاءٍ مدَّخر، وجعل يبكي حتى ترك الطعام وكان صائماً، خوفاً من أن يكون صفر اليدين في الآخرة.

٤٥٥ ـ وعن أبي أُمامة «صُدَيِّ بْنِ عجلانَ الباهليِّ» رضيَ اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَيْسَ شيءٌ أَحَبَّ إلى اللَّهِ تعالى من قَطْرَتَينِ[1] وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ من خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ في سَبِيلِ اللَّه، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ في سَبِيلِ اللَّهِ تعالى، وأَثَرٌ في فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تعالى» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ، منها حديث «العِرْباضِ بْنِ سارِيَةَ» رضي اللَّه عنه، قال: «وَعَظَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنها القُلُوبُ، وَذَرَفت مِنْهَا العُيُونُ» وقد سبق في باب النهي عن البدع.

❁❁❁

بابٌ في فضلِ الزّهد في الدّنيا والحث على التقلل منها، وفضل الفقر

قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ[2] وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥ ـ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

---

(١) «أحب إليه من قطرتين» يريد بهما قطرة دموع يبكيها الإنسان من خشية اللَّه، وقطرة دم تسيل في جهاد الكفار أعداء اللَّه، وأما الأثران: فأثر المشي في سبيل اللَّه، وأثر الوضوء والصوم والصلاة للَّه عزّ وجلّ، بحيث يظهر على جسده النحول والضعف.

(٢) ﴿زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ الزخرفُ: الذهبُ، شبَّه الدنيا بعروسٍ تزيَّنتْ بأبهى أنواع الزينة، من التحلّي بالذهب والحرير، ولبس الثياب الزاهية المتلونة ألواناً، وهكذا مثل الدنيا تملأ الأعين برونقها، وتسبي الأنظار ببهجتها، ثم يزول هذا الرونق، ويذهب ذلك الجمال، فتعود كالأرض الجرداء المحصودة، بعد أن كانت خضراء زاهية فاتنة.

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]. وقال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ(١) لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وأمّا الأحاديثُ فأكثرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ فَلْنَتْلُهُ بِطَرَفٍ مِنْهَا على ما سواهُ.

٤٥٦ ـ عن عمرِو بْنِ عوفٍ الأنصاريِّ رضيَ اللَّهُ عنه «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ «أبا عُبيدةَ بنَ الجرّاحِ» رضيَ اللَّه عنه» إلى البَحْرَينِ يَأْتي بِجِزْيَتِهَا(٢)، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ(٣)، فَسَمِعَتِ الأنصارُ بِقُدومِ أبي عُبَيْدَةَ، فَوافَوْا صَلَاةَ الفَجْرِ(٤) مَعَ رسولِ اللَّه ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رسول اللَّه، انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسول

(١) «لهي الحيوان» تمثيلٌ لحقارة الدنيا وأنها كلعب الأطفال، يغترُّ بها الغافل الجاهل، وأن الدار الحقيقية «دار السعادة والأمان» هي دار الآخرة، فهي دار الحبور والسرور، وهي الجديرة بأن تسمى دار الحياة التي لا ينغّصها ألم ولا كدر، و«الحيوان» مصدر بمعنى الحياة، أي الحياة الكريمة الهنيئة، والغرضُ من الآيات، بيانُ حقارة الدنيا وفنائها وزوالها حتى لا يغترّ الإنسان، وما أبدع قول الشاعر:

لا تَـنْـظُـرَنَّ إلـى قُـصُـورٍ عَـامِـرة ... وانظُرْ عظامَكَ حين تصبحُ نَاخرة

وإذا ذَكَـرْتَ زخـارفَ الـدنـيـا فـقـل ... لـبُـيْـكَ إن الـعَـيْـشَ عـيـشُ الآخـرة

(٢) «يأتي بجزيتها» أي جزية أهلها، وكان غالب أهلها مجوساً.

(٣) «فقدم بمالٍ» كان قدرُ المال مائة ألف درهم، وهو أول خراج حُمل للنبي ﷺ، وقدم به أبو عبيدة إلى المدينة المنورة.

(٤) «فوافوا صلاة الفجر» أي التقوا برسول الله ﷺ في صلاة الفجر.

اللَّه ﷺ حينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قال: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟ فقالوا: أَجَلْ يا رسول اللَّه، فقال: أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ[1]، فواللَّه ما الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، ولكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا[2] كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٧ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قالَ: جَلَسَ رسول اللَّه ﷺ عَلى المِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وزِينَتِهَا»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تعالى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٥٩ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٦٠ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَتْبَعُ الميِّتَ ثلاثةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «أبشروا وأملوا» أي اطمئنوا فستنالون مرادكم، هذا المال ليس لي وسأقسمه بينكم، فواللَّه إني لا أخاف عليكم من الفقر، وإنما أخاف عليكم من الغنى المطغي، الذي أهلك الأمم قبلكم، فالفقر يصنع الرجال، والثراء يطغي النفوس ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾.

(٢) «فتنافسوها» التنافس: التسابق، وهو أول درجات الحسد.

(٣) «زهرة الدنيا» زينتها وبهجتها، وما يكون فيها من فتنة وإغراء، وإنما خشي النبي ﷺ على أمته من زهرة الدنيا، لأنها تشغلهم عن الواجب الأساسي وهو «الدعوة إلى اللَّه» والخروج لنشر الإسلام، فقد كان أصحاب النبي ﷺ فقراء وفتحوا الدنيا، والمسلمون اليوم أغنياء وأضاعوا فلسطين، وما تركت أمة الجهاد في سبيل اللَّه إلَّا ذلت.

(٤) «ويبقى عمله» لا يبقى مع الإنسان في القبر إلا عمله، أمَّا الأهل والأولاد، فإنهم يرجعون بعد دفنه، والمال كذلك، والذي يؤنس الإنسان ويكون رفيقاً له هو عمله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ اللهم وفقنا لطاعتك ومرضاتك.

٤٦١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤتَى بأنعَمِ أَهلِ الدُّنيَا، مِنْ أَهلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ بي النَّارِ صَبْغَةً[١]، ثُمَّ يُقَالُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ[٢]؟ فَيَقُولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ؟! ويُؤتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤساً في الدُّنيَا، مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤساً قطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا وَاللَّهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٦٢ ـ وعن الْمُسْتَوْرِد بن شَدَّادٍ رَضِيَ اللَّه عنه، قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ، إلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٦٣ ـ وعن جابرٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ[٤]، فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثم قال: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْبَاً أَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وهو مَيِّتٌ؟ فقال: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلى اللَّهِ مِنْ هذا عَلَيْكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله «كَنَفَتَيْهِ» أَيْ: عن جانبيه. و «الأَسكّ» الصغير الأُذن.

٤٦٤ ـ وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّه عنه، قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في

---

(١) «فيُصبَغُ في النار صَبْغَةً» أي يُغمس غمسة صغيرة في النار، ثم يُخرج منها.

(٢) «هل رأيت خيراً أو نعيماً»؟ أي يُقال للكافر على سبيل الإهانة والإذلال: هل رأيتَ شيئاً من الخير؟ وهل مرَّ بك شيء من النعيم؟ فيقول: لا والله يا رب!! ينسى بهذه الغمسة القصيرة، كلَّ نعيم عاشه في الدنيا، مع أنه كان في الدنيا أنعم البشر، وعلى عكسه الرجل من أهل الجنة، الذي كان أشدَّ الناس بلاءً وفقراً، يغمس في الجنة غمسة، فينسى كل شقاء وبلاء.

(٣) هذا الحديث ضربه الرسول ﷺ مثلاً لمدة الدنيا بالنسبة للآخرة، فالدنيا قصيرة وحقيرة، بالنسبة للحياة الآخرة، كمن أدخل أصبعه في البحر، ماذا حصل له من البحر؟

(٤) «مَرَّ بجدْيٍ أَسَكَّ مَيِّت» مثلٌ آخر يضربه الرسول ﷺ لحقارة الدنيا، حتى لا يُفتن بزينتها الناسُ، عرض ﷺ على أصحابه جَدْياً ميتاً صغير الأذن، والميتةُ لا يؤكل لحمها، بل تُلقى في المزابل والنفايات، فقال لأصحابه: من يشتري هذا الجَدْيَ الميت بدرهم؟ فقالوا: لو كان حياً لما قبلناه بدرهم، فكيف وهو ميت؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الدنيا أحقرُ عند الله من هذا عليكم! وإنه لدرسٌ تربوي واقعي بديع.

حَرَّةٍ[١] بالمدينةِ، فاستقْبَلَنَا أُحُدٌ فقال: يا أبَا ذَرٍّ[٢]!!. قلت: لَبَّيْكَ يا رسول اللّه. فقال: مَا يَسُرُّنِي أنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هذا ذَهباً، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أيَّام وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ[٣] لِدَيْنٍ، إلَّا أنْ أقُولَ بِهِ في عِبَادِ اللّه هكَذا، وَهكَذا وَهكَذا ـ عن يَمِينِهِ وعن شماله ومن خلفه ـ ثم سار فقال: إنَّ الأكْثَرِينَ هُمُ الأقَلُّونَ[٤] يَومَ القِيامَة إلَّا مَنْ قَالَ بالمَالِ هكَذا وهكَذا وهكَذا، عن يمينِهِ، وعن شمالِهِ، ومِنْ خَلْفِهِ، وَقَلِيلٌ مَا هُم، ثم قال لي: مَكَانَكَ لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ، ثم انْطَلَقَ في سَوَادِ اللَّيْل حتى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتاً قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أنْ يَكُونَ أحَدٌ عَرَضَ للنَّبيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قوله: «لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» فلم أَبْرَحْ حَتَّى أتَانِي، فَقُلْتُ: لقد سَمِعْتُ صَوْتاً تَخَوَّفْتُ منه، فَذَكَرْتُ له، فقال: وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟ قلت: نَعَم، قال: ذَاكَ جبريلُ، أتاني فقال: مَن ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ باللّهِ شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، قلتُ: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ؟ قال: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظُ البخاري.

٤٦٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عنْ رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «لو كان لي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً، لَسَرَّنِي أنْ لا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاثُ لَيَالٍ، وَعِنْدِي منه شَيْءٌ، إلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَينٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٦٦ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: نال رسول اللّه ﷺ: «انْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ أسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُروا إلى مَنْ هُوَ فَوقَكُمْ، فَهُو أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نعمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

---

(١) «في حَرَّة» أي في أرض ذات حجارة سود.

(٢) «يا أبا ذرٍّ» هذه كنيته واسمه «جُندب بن جُنَادة» وقد ناداه الرسول ﷺ بكنيته تأنيساً وتكريماً، وهذا من كمال فضله، وحُسْن خُلُقه ﷺ.

(٣) «أرصده لدَيْن» أي أعدُّه وأحفظه لقضاء دين عليّ.

(٤) «الأكثرون هم الأقلون» أي الأكثرون مالاً هم الأقلون منزلة يوم القيامة، إلَّا من جمع المال وأنفق منه في وجوه الخير الكثيرة.

(٥) «انظروا إلى من هو أسفل منكم» درسٌ نبوي بليغ، يُضفي على النفس راحة البال، والأمنَ والطمأنينة، وهو أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو أقل منه، ولا ينظر إلى من هو أعلى منه، لئلا يحتقر نعمة اللّه عليه، وليزداد شكراً للّه، ورضاً بما هو عليه، وأمَّا في أمور الدين والآخرة، فينظر إلى من هو أعلى منه، ليقتدي به وينافسه.

وفي رواية البخاري: «إذا نَظَر أَحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضِّلَ عليه في المالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هو أَسْفَلَ مِنْهُ».

٤٦٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «تَعِس عَبْدُ الدِّينارِ وَالدِّرْهَمِ (١) وَالقَطِيفَةِ وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٤٦٨ ـ وعنه رضي اللَّه عنه، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عليه رداءٌ، إمَّا إزَارٌ، وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٤٦٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ» (٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٧٠ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: «أخذ رسول اللَّه ﷺ بِمَنْكِبَيَّ (٣)،

= قال بعض العلماء: في هذا الحديث دواء لكل داء، لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه، يتحسر ويتألم، ولا يأمن أن يدخل إلى قلبه الحسدُ، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه، ليشكر ربه على ما أنعم به عليه.

(١) الناسُ قسمان: عبدٌ للَّه، وعبدٌ للدرهم والدينار، أي عبدٌ للمال، وقد ذمَّ النبيُّ ﷺ عبدَ الدرهم والدينار، لأن حبَّ المال قد أعمى قلبه، فهو يسعى لجمعه من حلالٍ وحرام، ولهذا أصبح أسيراً له بمنزلة العبد، ومعنى «تَعِسَ» أي ما أشقاه وأخسره!! قال الشاعر:

أنتَ عبدُ المالِ إن جمَّعتَه ... فإذا أنفقتَه فالمالُ لك

(٢) «الدنيا سجن المؤمن» هذا الحديث من التشبيه البليغ، أي الدنيا كالسجن للمؤمن، بالنسبة إلى ما أعدَّ اللَّه له من النعيم في الآخرة، والدنيا كالجنة للكافر بالنسبة لما أعدَّه له من العذاب، فمهما نُعِّم المؤمن في الدنيا فهو في سجن، ومهما عُذِّب الكافر في الدنيا فهو في جنة بالنسبة للمآل، ولا راحة للمؤمن إلَّا بلقاء اللَّه.

لطيفة: حكى القرطبي عن أبي سهل الخراساني ـ وكان قد جمع رياسة الدين والدنيا ـ أنه كان في بعض مواكبه ذات يوم، إذ خرج عليه يهودي يعمل بتطهير وتنظيف الحمامات ـ المراحيض ـ بثياب دنسة، وصفة نجسة، فأوقف الشيخ وقال له: تزعمون أن نبيكم قال: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر» ففي أيِّ سجنٍ أنت؟ وفي أيِّ جنة أنا؟ فقال له الشيخ: إذا صرتُ أنا إلى النعيم ورضوان اللَّه فهذه الدنيا سجني، وإذا صرتَ أنت غداً إلى الجحيم وعذاب اللَّه، فهذه الدنيا جنتك!! فعجب الناسُ من ذكائه وسرعة جوابه.

(٣) «أخذ بمنكبيَّ» المنكب: العظم الذي عند الكتف، وأخْذُه ﷺ بمنكبي ابن عمر، ليُقبل بقلبه على وصية الرسول ﷺ ويستيقظ إن كان في غفلة، مع ما في هذا العمل من الملاطفة والمؤانسة.

فقال: كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَريبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابنُ عمرَ، رضي اللَّه عنهما، يقول: «إذَا أَمْسَيْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ[1]، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لمَوتِكَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قالوا في شرح هذا الحديث، معناه: لا تَركَن إلى الدُّنْيَا وَلا تَتَّخِذْهَا وَطَناً، وَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلا بالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الغَرِيبُ في غَيْرِ وَطَنِهِ، ولا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لا يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذي يُريدُ الذَّهَابَ إلى أَهْلِهِ. وَباللَّهِ التَّوْفِيقُ.

٤٧١ ـ وعن أبي العَبَّاسِ «سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ» رضي اللَّهُ عنهُ، قال: «جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللَّه دُلَّنِي عَلى عَمَلٍ، إذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ!! فقال ﷺ ازْهَدْ[2] في الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ ابن مَاجَه وغيره بأسانيد حسنةٍ.

٤٧٢ ـ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضيَ اللَّهُ عنهما، قالَ: «ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب، رضي اللَّه عنه، مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فقال: لَقَدْ رَأَيْتُ

---

(١) «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء» هذا ليس من كلام الرسول ﷺ، وإنما هو من توجيه «عبد اللَّه بن عمر» المجاهد، وهو من آثار وصية الرسول ﷺ له، وكان يوصي من يلقاه بهذه الوصايا الثمينة، إذا دخل عليه الصباح، فلا يُحدِّث نفسه بالبقاء إلى المساء، وكأن الإنسان يجعل الموت نُصْبَ عينيه، فإن من طالَ أملُه، ساء عملُه، وما أجمل قول القائل:

تـزوَّدْ مـن الـدنـيـا فـإنَّـك لا تَـدْري ... إذا جَنَّ ليلٌ هل تَعيشُ إلى الفَجْرِ؟
فكم من فَتًى أمْسَى وأصبح لاهياً ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يَدْري

(٢) «ازهد في الدنيا» الزُّهدُ: هو البُعد عن شهوات الدنيا، وحطامها الزائل، بحيث لا يتكالب على جمعها، والمؤمن يجعل همَّه الآخرة، وتكون الدنيا وسيلة له لا غاية، كما قال سبحانه: ﴿وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.
والزهدُ فيما في أيدي الناس، أن لا يطمع بما في أيديهم، ولا ينازعهم في محبوبهم، فمن نازعهم فيها أبغضوه، لأن الناسَ يتهافتون على الدنيا تهافت الذباب على النَّتْن، والكلاب على الجيف، ومن هنا شبَّه الشافعي الدنيا بهذا التشبيه البديع حين قال:

ومـا هـي إلا جـيـفـةٌ مـسـتـحـيـلـةٌ ... عـلـيـهـا كـلابٌ هَـمُّـهُـنَّ اجـتـذابُـهـا
فإن تجتنبها كنتَ سِلْماً لأهلها ... وإن تجتذبْها نازعتك كلابُها

رسولَ اللّٰهِ ﷺ، يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي[١]، مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الدَّقَلُ» بفتح الدال المهملة والقاف: رَدِيءُ التَّمْرِ.

٤٧٣ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللّٰه عنها، قالت: «تُوُفِّي رَسُولُ اللّٰه ﷺ، وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ[٢] إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وقولها: «شَطْرُ شَعِيرٍ» أَيْ: شَيْءٌ مِنْ شَعِيرٍ، كَذَا فَسَّرَهُ التِّرْمِذِيُّ.

٤٧٤ ـ وعن عمرِو بْنِ الحارثِ، أخي «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ» أُمِّ المُؤْمِنِينَ، رضي اللّٰه عنهما، قال: «مَا تَرَكَ رسولُ اللّٰه ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلا عَبْدَاً، وَلا أَمَةً، وَلا شَيْئَاً إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاحَهُ، وَأَرْضَاً جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٧٥ ـ وعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي اللّٰه عنه، قال: «هَاجَرْنَا مَعَ رسول اللّٰه ﷺ، نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللّٰهِ تعالى[٣]، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللّٰهِ[٤]، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئَاً[٥]، مِنْهُمْ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ»[٦]، رضي اللّٰه عنه، قُتِلَ يَوْمَ

---

(١) «يظلُّ يلتوي» أي يبقى معظم الوقت، يتقلّب من الجوع، ما يجد من رديء التمر، ما يملأ به بطنه ﷺ.

(٢) «توفي رسول اللّٰه وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد» هذا نصٌّ صريح واضح، أن الرسول ﷺ عاش حياته فقيراً، وفارق الدنيا وهو فقير، حتى لم يوجد في بيت السيدة عائشة شيء من الطعام يأكله إنسان، إلّا شيء قليل من الشعير، ويؤكّد ما قلناه ما رُوي في الصحيح من قول عائشة: «إنّا آلَ محمدٍ ما شبعنا من طعام البُرّ قطُّ، ولربما مرّ علينا الشهرُ والشهران فلا يوقد لنا في البيت نار ـ أي لا يوجد طبيخ ـ قيل: فَمَاذا كنتم تأكلون؟ قالت: واللّٰه إنما هما الأسودان: التمرُ، والماء» هكذا كانت معيشةُ أفضل خلق اللّٰه، لم يعش حالة الملوك المترفين، وللّٰه درُّ القائل:

فلو كانت الدنيا جَزَاءَ لمحسنٍ ... إذاً لم يكنْ فيها معاشٌ لظالمِ
لقد جاعَ فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقد شبعتْ فيها بطونُ البهائمِ

(٣) «نلتمس وجه اللّٰه» أي نطلب بهجرتنا مرضاة اللّٰه، وليس لنا غرض دنيوي سوى الأجر من اللّٰه.

(٤) «فوقع أجرنا على اللّٰه» أي ثبت لنا الأجر والثواب على هذه الهجرة.

(٥) «مات ولم يأكل من أجره شيئاً» يريد به الغنائم التي غنمها المسلمون في فتوحاتهم، أي لم يحصل على شيء من مغانم الدنيا.

(٦) «منهم مصعب بن عُمَيْر» أي من هؤلاء المهاجرين الأبرار «مصعب» الذي كان من السابقين إلى الإسلام والذي استشهد في معركة أحد.

أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً[١]، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلى رِجْلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الإِذْخِرِ[٢]، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

«النَّمِرَةُ» كِسَاءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صُوفٍ. وقوله: «أَيْنَعَت» أَيْ: نَضِجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وقوله: «يَهْدِبُهَا» هو بفتح الياءِ وضم الدال وكسرها، لُغَتَانِ؛ أَيْ: يَقْطِفُهَا وَيَجْتَنِيهَا، وَهذِهِ اسْتِعَارَةٌ لِمَا فَتَحَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَتَمَكَّنُوا فيها.

٤٧٦ ـ وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعدِلُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ[٤]، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٤٧٧ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ[٥]، مَلْعُونٌ مَا فِيها، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالى، وَمَا وَالاهُ، وَعالماً وَمُتَعَلِّماً»[٦] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) «ترك نَمِرة» أي مات وترك كساءً ملوّناً من صوف، لا يكفي لتكفينه، إن غطينا به رأسه بدت رجلاه.

(٢) «شيئاً من الإذخر» هو نبتٌ طيّب الرائحة، أمرنا الرسول ﷺ أن نضعه على رجليه، ونغطّي بالكساء وجهه.

(٣) «أينعت ثمرته فهو يهدبها» هذه استعارة تمثيلية، شبّه حال المسلمين بعد تمكنهم من الدنيا، وحصولهم على الغنائم الوفيرة، بقوم رأوا شجرة كبيرة مثمرة، أخذوا يقطفون ثمارها، ومعنى «يهدبها» أي يجتنيها ويقطفها.

(٤) «تعدل جناح بعوضة» أي لو كانت الدنيا تساوي عند اللّه جناح البعوضة ـ وهو مَثَلٌ في الحقارة ـ ما سقى منها كافراً جرعة ماء، ومن حقارة الدنيا عند اللّه، أن منعها الأنبياء، وأعطاها للكفرة الأشقياء، ولولا فتنة الناس لخصّها بالكفار الفجار، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِن فِضَّةٍ﴾ الآية. أي لولا فتنة الناس، لخصصنا الدنيا بالكفار، فجعلنا بيوتهم من ذهب وفضة، بدل الحجارة والطين.

(٥) «الدنيا ملعونة» أي مبغوضة مكروهة عند اللّه تعالى.

(٦) «وعالماً ومتعلماً» أي إلا ذكرَ اللّه وما قاربه من العبادة والطاعة، والعالم والمتعلّم الذي يرشد الناس إلى طريق الإيمان، ولا يُفهم من هذا الحديث تقبيحَ الدنيا مطلقاً ولعنها، بل الملعون منها ما يُبعد عن اللّه تعالى، ويشغل عن طاعته وعبادته، كما قال سبحانه: ﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ فتنبّه لهذا المعنى، واللّه يرعاك!!

٤٧٨ ـ وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ رضيَ اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا الضَّيعَةَ[١] فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٧٩ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بْنِ عمرِو بْنِ العَاصِ رضيَ اللَّهُ عنهما، قال: «مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ اللَّه ﷺ، وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصّاً لَنَا[٢]، فقال: ما هذَا؟ فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى[٣]، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فقال: ما أَرَى الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذلِكَ»[٤] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، بإسناد البخاري ومسلم، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٨٠ ـ وعن كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رضي اللَّه عنه، قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَة، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٨١ ـ وعن أبي عَمْرٍو «عُثْمَان بن عَفَّانَ» رضي اللَّه عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حقٌّ في سِوى هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبْزِ، وَالمَاءِ»[٥] رَوَاهُ التِّرمِذِي وقال: حديث صحيح، قال التِّرمِذِيُّ: الجِلْفُ: الخُبزُ لَيْسَ مَعَهُ إِدَام. وَقَالَ غَيرُهُ: هُوَ غَلِيظُ الخُبزِ. وقَالَ

---

(١) «لا تتخذوا الضيعة» الضَّيْعَةُ: العقار، أي لا تشتغلوا بالبناء والعقار، وضروب التجارة، فترغبوا في الدنيا، وتزهدوا في الآخرة، وهذا الحديث محمول على الاستكثار في الدنيا، المفضي إلى نسيان العمل للآخرة، وأمّا من اتخذها لنفع المسلمين، فقد ورد «نعم المال الصالح للرجل الصالح» ونعمت الدنيا مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر.

(٢) «نُعَالِج خُصّاً» أي نصلح بيتاً لنا من خشب وقَصَب.

(٣) «قد وَهَى» أي ضعف وتهاوى، وهمّ بالسقوط.

(٤) «الأمر أعجل من ذلك» أي أجلُ الإنسان أسرعُ من هذا الشيء الذي تصلحونه، وغرضُ الحديث التنبيه على أن الاشتغال بالبناء، يُنسي الإنسانَ الموت، ويجعله كأنه مخلّد في الدنيا، مع أن توقع الأجل ساعةً فساعة، ولحظةً فلحظة وكما قيل:

الـمـوتُ يـأتـي بـغـتـةً والـقـبـرُ صـنـدوقُ الـعـمـل

(٥) «جِلْفُ الخبز» أي الخبز الغليظ الذي ليس معه إدام، كما في سنن الترمذي، فحقُّ الإنسانِ في هذه الأمور الثلاثة:

١ ـ بيت للسكن.

٢ ـ وثوبٌ يستر البدن.

٣ ـ والخبز والماء الذي هو غذاء الجسم.

الهَرَوِيُّ: المُرَادُ بِهِ هُنَا وِعَاءُ الخُبْزِ، كالجَوَالِقِ وَالخُرْجِ، واللّه أعلم.

٤٨٢ ـ وعنْ عبدِ اللّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضيَ اللّهُ عنه، أَنَّهُ قالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾[1] قال: يَقُولُ ابنُ آدَم: مَالي، مَالي، وَهَل لَكَ يَا ابنَ آدَمَ مِنْ مالِكَ إلَّا ما أَكَلتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٨٣ ـ وعن عبدِ اللّه بن مُغَفَّلٍ رضيَ اللّه عنه، قال: «قال رَجُلٌ للنَّبِيِّ ﷺ: يا رسولَ اللّهِ، واللّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ!!، فقال: انْظُرْ ماذا تَقُولُ؟ قال: وَاللّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فقال ﷺ: إنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلفَقْرِ تِجفافاً[3]، فإنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إلى من يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إلى مُنْتَهاهُ» رَوَاهُ الترمذي وقال حديث حسن.

«التِّجْفَافُ» بكسرِ التاءِ: شَيْءٌ يُلْبَسُهُ الفَرَسُ، لِيُتَّقَى بِهِ الأذَى، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإنْسَانُ.

٤٨٤ ـ وعن كَعبِ بْنِ مالكٍ، رضيَ اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ[4] بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلى المَالِ وَالشَّرَفِ، لِدِينِهِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديث حسن صحيح.

٤٨٥ ـ وعن عبد اللّه بن مَسْعُودٍ رضي اللّه عنه، قال: «نَامَ رسولُ اللّه ﷺ على حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ. قُلْنَا: يا رَسُولَ اللّه لوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً[5]!!

---

(١) ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي شغلكم كثرة الأموال والأولاد والتفاخر بها، عن طاعة اللّه والعمل للآخرة، حتى متّم وصرتم من أهل القبور.

(٢) «تصدَّقتَ فأمضيتَ» أي قدَّمته ذخراً لآخرتك فبقي لك عند اللّه وديعة، وما سوى ذلك فأنت ذاهب وتاركه للناس.. وفي الآية دليل على أن الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها، والمفاخرة فيها، من الخصال المذمومة.

(٣) «فأعدَّ للفقر تِجْفافاً» بكسر التاء، أي: فهيِّئ لباساً للفقر، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني، من السيل النازل من أعلى الجبل إلى أسفل الوادي، والمحبُّ ينبغي أن يكون متصفاً بصفات المحبوب، فإذا كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا، فمن يحبه يجب أن يكون زاهداً فيها.

(٤) «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم» معنى الحديث الشريف: لو أرسلنا ذئبين جائعين، على غنم من الأغنام، كم يكون إفسادهما لهذه الأغنام؟ ألا يعملان فيها تخريباً وتدميراً، فكذلك يُفسد الحرصُ على الدنيا وحبُّ الجاه، دينَ الإنسان.

(٥) «لو اتخذنا لك وطاءً» أي فراشاً وثيراً تنام عليه!؟

فقال: مَا لي ولِلدُّنْيَا!! مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ[١]، اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٤٨٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمَائَةِ عَامٍ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث صحيح.

٤٨٧ ـ وعن ابن عَبَّاسٍ، وعِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ، رضيَ اللّه عنهم، عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاء[٣]، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاء»[٤] مُتَّفَقٌ عليه من رواية ابن عباسٍ.

ورَوَاهُ البُخَارِيُّ أيضاً من روايةِ عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ.

---

(١) «كراكب استظل تحت شجرة» أي كمسافر استظلّ بظلّ شجرة، ثم تركها ورحل عنها، شبّه الرسول ﷺ المؤمن في الدنيا بمسافر، نزل تحت شجرة، يستظلّ بها من حرّ الشمس، ثم غادرها بعد فترة الاستراحة، ذلك لأن الدنيا ليست دار قرار، ولا منزل استقرار، إنما هي دار عبور، يقطعها المسافر إلى دار الآخرة، فلذلك لم يرغب الرسول ﷺ أن يتخذوا له الفراش الوطيء الممهّد، وهو الذي عُرضت عليه أن تكون له جبال مكة ذهباً، فقال: لا يا رب ولكنْ أجوعُ يوماً، وأشبع يوماً، فإذا جعتُ تضرّعتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك، كما رواه الترمذي.

(٢) «قبل الأغنياء بخمسمائة عام» إنما حُبس الأغنياء تلك المدة في الموقف، حتى يُحاسبوا على أموالهم، من أين اكتسبوها؟ وفيمَ أنفقوها؟ وهذه المدة الطويلة «٥٠٠» سنة هي نصف يوم كما ورد في حديث «يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل الأغنياء، بنصف يوم وهو خمسمائة عام» رواه الترمذي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي من سنوات الدنيا، هذا إذا صبر الفقراء على قضاء اللّه، ولم يحسدوا الأغنياء.

(٣) «الجنةُ أكثر أهلها الفقراء» هذا حين عُرج بالنبي ﷺ فرأى الجنة، ورأى النار، رأى الفقراء أكثر أهل الجنة، قال العلماء: ولا يوجب هذا الحديث فضل الفقير على الغني، وإنما معناه أن الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء، ليس الفقر هو الذي أدخلهم الجنة، إنما دخلوا بصلاحهم وتقواهم، مع صبرهم على الفقر، وفي الحديث التحريضُ على ترك التوسع في الدنيا.

(٤) «النار أكثر أهلها النساء» لقلة الطاعة عندهن للّه، وكثرة الغيبة والنميمة، والجري وراء «الموضة» للتفنن بإغراء الرجال، وعدم التزام بعضهن بالحجاب الذي فرضه اللّه عليهن، كما في حديث «صنفان من أهل النار لم أرهما..» وذكر قوله: «ونساء كاسيات عاريات، ممِيلاتٌ مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة، ولا يجدْنَ ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام» رواه مسلم.

٤٨٨ ـ وعن أُسامةَ بْنِ زيدٍ رضيَ اللَّه عنهما، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «قُمْتُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ محبُوسُونَ[1]، غَيرَ أَنَّ أصحَابَ النَّار قَد أُمِر بِهِمْ إلى النَّارِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«الجَدُّ» الحَظُّ وَالغِنَى، وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضلِ الضَّعَفَة.

٤٨٩ ـ وعن أَبي هريرة، رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَها شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللَّه بَاطِلُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قال اللَّه تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا[2] ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

---

(١) «وأَصْحَاب الجَدِّ محبوسون» أي أهل الغنى واليسار محبوسون في موقف الحساب، ليحاسبوا على أموالهم، أما الفقراء فإنهم سالمون من ذلك.
تنبيه هام: الآيات والأحاديث التي وردت بي ذمّ الدنيا كقوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وقوله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها» وأمثال ذلك، ينبغي أن تُفهم على وجهها الصحيح، فهي لا تتحدث عن جميع الناس من الأغنياء، وأصحاب الثروات، إنما تتحدث عمن عَمِل للدنيا ونسي الآخرة، واشتغل بجمع الحُطام من حلال وحرام، ولم يتّق اللَّه فيما أكرمه به من المال، ويدلُّ على هذا أحاديث كثيرة، منها حديث «نعم المالُ الصالحُ للرجل الصالح» وحديث «ذهب أهل الدثور ـ أي الغنى ـ بالأجور» وحديث «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه القرآن، فقام به آناء الليل، وآناء النهار.. ورجل أعطاه اللَّه مالاً، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار» وحديث: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه اللَّه مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل رحمه، ويعلم للَّه فيه حقاً، فهذ بأفضل المنازل..» وحديث «إن اللَّه يحب الغنيَّ التقيَّ الخفي» وهذه كلها في الصحيح والسنن، فافهم هذا واللَّه يرعاك.

(٢) ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ معنى الآية الكريمة: أي جاء من بعد هؤلاء الأقوام، الصالحين ـ

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٧٩ ـ ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

والآياتُ في الباب كثيرةٌ مَعْلُومَةٌ.

٤٩٠ ـ وعن عائشةَ رضي اللّه عنها، قالت: «مَا شَبِعَ آلُ مُحمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ[1] ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ».

٤٩١ ـ وعن عُرْوَةَ عَنْ عَائشة رضي اللّه عنها، أَنَّها كَانَتْ تَقُولُ: «وَاللّهِ يَا ابْن أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُر إِلى الهِلَالِ، ثم الهلال، ثُمّ الهِلَالِ: ثَلَاثَة أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ في أَبْيَات رسولِ اللّه ﷺ نَارٌ قَطْ[2]!! قُلْتُ: يَا خالةُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالمَاءُ[3]، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لرسول اللّه ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكانت لَهُمْ مَنَائِحُ[4]، وكانُوا يُرْسِلُونَ إِلى رسول اللّه مِنْ أَلْبَانِها فَيَسْقِينَا» مُتَّفَقٌ عليه.

= الأنقياء، قوم سفهاء أشقياء، أضاعوا الصلوات وسلكوا طريق الشهوات، فسوف يلقون كلّ خسار ودمار.

(١) «من طعام البُرّ» أي ما شبعنا من خبز القمح ثلاثة أيام متتابعة، وذكرت البُرّ، لأن معظم طعامهم كان من الشعير، أما البُر فقليل، وسيق حديث «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين» رواه البخاري.

(٢) «ما أوقد لنا نار» أي كنا نقضي شهرين كاملين، وليس عندنا ما نطبخه من الطعام، وذكرُ النار كنايةً عن طبخ الطعام، لأن النار إنما تُشعل وتوقد من أجل الطبيخ.

(٣) «يُعيشكم، قالت: الأسودان» تعني التمر، والماء، السوادُ هو التمرُ، وأُطلق على الماء من باب التغليب، كالقمرين للشمس والقمر.

(٤) «كانت لهم منائح» جمع منيحة وهي الشاةُ أو الناقةُ، سميت منيحة لأن صاحبها يمنحها صديقاً يشرب لبنها ثم يردُها إليه، ومرادها أنهم كانوا ينتفعون بحليب ما يُهدي إلى بيت النبوة.

٤٩٢ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه، «أنه مَرَّ بِقَومٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شاةٌ مَصْلِيَّةٌ[١]، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وقال: خَرج رسول اللّه ﷺ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «مَصْلِيَّةٌ»: بفتح الميم: أَيْ: مَشْوِيَّةٌ.

٤٩٣ ـ وعن أنس رضي اللّه عنه، قال: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلى خِوَانٍ[٢] حَتَّى مَات، وَما أَكَلَ خُبْزاً مرقَّقاً[٣] حَتَّى مَاتَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي روايةٍ له: «وَلا رَأَى شَاةً سَمِيطاً بِعَيْنِهِ قطُّ».

٤٩٤ ـ وعن النُّعمانِ بن بشير رضي اللّه عنهما قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الدَّقَلُ»: تَمْرٌ رَدِيءٌ.

٤٩٥ ـ وعن سهلِ بْنِ سعدٍ رضي اللّهُ عنه، قال: «ما رَأَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ النَّقِيَّ، مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللّهُ تعالى، حَتَّى قَبَضَهُ اللّهُ تعالى!! فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ في عَهْدِ رسول اللّهِ ﷺ مَناخِلُ؟ قالَ: ما رَأَى رسولُ اللّهِ ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللّهُ تعالى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فَيَطِيرُ ما طارَ، وما بَقِيَ ثَرَّيْناهُ»[٤] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قوله: «النَّقِيَّ»: بفتح النون وتشديد الياء، وهُوَ الخُبْزُ الحُوَّارَى، قوله: «ثَرَّيْنَاهُ» أَيْ: بَلَلْنَاهُ وَعَجَنَّاهُ.

٤٩٦ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللّهُ عنه قال: «خَرَجَ رسُولُ اللّهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهما، فقال: ما أَخْرَجَكُمَا مِنْ

---

(١) «شاة مصليّة» أي شاة مشويّةٌ على النار، وإنما أبى أبو هريرة أن يأكل منها، لأنه تذكّر الرسول ﷺ وما كان عليه من البؤس وخشونة العيش، فلهذا امتنع، لأن من شأن المحبّ أن يتبع آثار محبوبه، ويقتدي به، وقد وضّح لهم سبب امتناعه بقوله: توفي الرسول ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير.

(٢) «لم يأكل على خِوان» بكسر الخاء أي لم يأكل على مائدة، كحال المترفين، وهو وإن كان جائزاً لكنه ينافي الورع والزهد.

(٣) «ولا مرقَّقاً ولا سَمِيطاً» المرقَّقُ: الخبزُ الرقيق الواسع، والسميطُ: هو الشاة التي أُزيل عنها شعرها، وشُويت بجلدها، يقول: هذه ما رآها، فضلاً عن أن يكون قد أكل منها.

(٤) «وما بقي ثَرّيناه» أي كانوا ينفخون على الشعير المطحون فيطير منه ما يطير من القشر، وما يبقى منه اختلط بالعجين.

بُيُوتِكُمَا هذِهِ السَّاعَةَ؟ قالا: الجُوعُ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: وَأَنَا، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا!! قُوما، فَقاما مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ في بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ قالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فقال لها رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلانٌ؟» قالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الماءَ[1]، إذْ جاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للَّهِ، ما أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيافاً مِنِّي!! فانْطَلَقَ فَجاءَهُمْ بِعِذْقٍ[2] فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطَبٌ، فقالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقالَ لَهُ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: إيَّاكَ وَالحَلُوبَ، فَلَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبي بكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتى أَصَابَكُمْ هذَا النَّعِيمُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«يَسْتَعْذِبُ» أَيْ: يَطْلُبُ الماءَ العَذْبَ، وَهُوَ الطَّيِّبُ. و «العِذْقُ» بكسر العين وَهُوَ الكِبَاسَةُ، وهِيَ الغُصْنُ. و «المُدْيَةُ» السِّكِّينُ. و «الحَلُوبُ» ذاتُ اللَّبنِ. وَالسؤالُ عَنْ هذا النَّعِيمِ، سُؤالُ تَعْدِيدِ النِّعَمِ، لا سُؤالُ تَوْبِيخٍ وَتَعْذِيبٍ، واللَّهُ أَعْلَمُ، وهذا الأنصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ «أَبُو الهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهانِ». كَذا جاءَ مُبَيَّناً في رواية التِّرمِذِيُّ وغيره.

٤٩٧ ـ وعن خالدِ بن عُمَرَ العَدَوِيُّ قال: «خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وكانَ أَمِيراً عَلى البَصْرَةِ ـ فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِناءِ، يَتَصَابُّهَا صاحِبُها، وإنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْها إلى دارٍ لا زَوَالَ لَهَا، فانْتَقِلُوا بِخَيْرِ ما يَحْضُرُ بِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شفير جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عاماً، لا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، واللَّهِ لَتُمْلأَنَّ. . . أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ما بَيْنَ مِصْراعَيْنِ مِنْ مَصارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ما لَنَا طَعامٌ إلَّا وَرَقَ الشَّجَرِ حتى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنا[3]، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً

---

(١) «يستعذب لنا الماء» أي يأتي لنا بماء حلوٍ للشرب.

(٢) «بعذق» أي غصن من النخيل فيه الرطب الطريّ، وفيه التمر اليابس.

(٣) «قَرِحت أشداقنا» أي صار في جوانب الفم شقوق، بمعنى تشقَّقت شفاههم من أكل ورق الشجر.

فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بن مالك، فَائْتَزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وائْتَزَر سعدٌ بِنِصفِها، فما أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ[1]، وَإِنِي أَعُوذُ باللَّهِ أَنْ أَكُونَ في نَفْسي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «آذَنَتْ» أَيْ: أَعْلَمَتْ. «بِصُرْمِ»: أي: بانْقِطاعِها وفَنائِها، «ووَلَّتْ حَذَّاءَ»، أيْ: سَرِيعَةً. وَ «الصُّبابَةُ» بضم الصاد: وهي البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ. وقولُهُ: «يَتَصابُّهَا» أيْ: يجْمَعُها، و «الكَظِيظُ»: الكَثيرُ المُمْتَلِئُ، وقوله: «قَرِحَتْ» أي: صارَتْ فِيها قُرُوحٌ.

٤٩٨ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قال: «أَخْرَجَتْ لَنَا عائِشَةُ رضيَ اللَّهُ عنها، كِساءً وَإِزاراً غَلِيظاً، قالَتْ: قُبِضَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ في هذَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٩٩ ـ وعنْ سَعد بْنِ أبي وَقَّاص رضيَ اللَّهُ عنه، قال: «إِنِّي لأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما لَنَا طَعامٌ إلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ[2]، وَهذا السَّمُرُ، حَتى إنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ ما لَهُ خِلْطٌ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

«الحُبْلَةِ» بضم الحاء المهملة وهيَ السَّمُرُ، نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ البَادِيَةِ.

٥٠٠ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ، رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمدٍ قُوتاً»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

قال أَهْلُ اللُّغَة وَالْغَرِيبِ: مَعْنَى «قُوتاً» أَيْ: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

٥٠١ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: «وَاللَّهِ الذي لا إلهَ إلَّا هُوَ، إنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ[5]، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلى

---

(١) «أميراً على مصر من الأمصار» أي على بلدٍ من البلاد، وفيه الإشارة إلى كثرة الفتوح على المسلمين، كما وعدهم بها سيد المرسلين.

(٢) «ورَقُ الحُبْلَة» رواية البخاري «إلَّا الحُبْلَةُ وورقُ السَّمُرِ» أي ليس لنا طعام نأكله، إلَّا ورقُ شجر السَّمُر، مع ثمر العَضاه وهو الحُبْلة.

(٣) «يَضَع كما تضع الشاة ليس له خِلْط» كناية عن الغائط، يريد أنه يخرج كالبعر، لا يختلط بعضُه ببعض، من شدة جفافه ويُبْسه، وكان ذلك وقت الضيق أول الإسلام.

(٤) «رزقهم قوتاً» أي كفافاً، وهو دعاء للسلامة من آفات الغنى والفقر.

(٥) «أعتمد بكبدي على الأرض» أي ألصقُ بطني على الأرض من الجوع.

بَطْني مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْماً عَلى طَرِيقِهِمُ، الذي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بي النبيُّ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآني، وَعَرَفَ مَا في وَجْهِي وَمَا في نَفْسِي، ثُمَّ قال: «أَبا هِرّ» قلت: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّه، قال: الحَقْ، وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَناً في قَدَح فقال: مِنْ أَيْنَ هذَا اللَّبَنُ؟ قالوا: أَهْداهُ لَكَ فُلانٌ ـ أَوْ فُلانَةُ ـ قال: أبا هِرّ، قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسول اللَّه، قال: الحَقْ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي، قال: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيافُ الإِسْلام، لَا يَأْوُونَ عَلى أَهْلٍ، وَلا مالٍ، وَلَا عَلى أَحَدٍ، وَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَناوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذا اللَّبَنِ، شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاؤُوا وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هذا اللَّبَنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رسوله ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قال: يا أبا هِرّ، قُلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ، قال: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قال: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثمّ يردُّ عليَّ القَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْت إلى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فقال: أبا هِرٍّ، قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسول اللَّه، قال: بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ!! قلتُ: صَدَقْتَ يا رسول اللَّهِ، قال: اقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فقال: اشْرَبْ فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً[1]! قال: فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّه تعالى، وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٢ ـ وعن مُحَمَّدِ بن سِيرين عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ[2] ـ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسول اللَّه ﷺ، إلى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رضي

---

(١) «لا أجد له مسلكاً» أي لا أجد له مكاناً يسلك فيه، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ، حيث ببركة دعائه كفى هذا القدح من الحليب أهلَ الصفة جميعاً فشربوا منه حتى ارتووا، كما حصل في غزة الخندق، من إطعام الجيش من القدر الذي صنعه جابر للرسول ﷺ، وكان يكفي العشرة فكفى الجيش كله.

(٢) «لأخرُّ مغشياً عليَّ» أي أسقط على الأرض، ما بين ساحات المنبر إلى حُجرة عائشة، مغمًى عليَّ من شدة الجوع.

اللَّه عنها ـ مَغْشِيّاً عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَانِي[١]، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلى عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بي مِنْ جُنُونٍ، مَا بي إِلَّا الجُوعُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٣ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها، قَالَتْ: «تُوُفِّي رسول اللَّه ﷺ وَدِرعُهُ مَرْهُونَةٌ[٢] عِنْدَ يَهُودِيٍّ، في ثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٠٤ ـ وعن أَنَسٍ رضي اللَّه عنه، قال: «رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إلى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ[٤]، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أَمْسَى[٥] وَإِنَّهُمْ لِتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٥ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، ما مِنْهُم رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ، وإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أَعْنَاقِهِم، مِنْهَا ما يَبْلُغُ نِصفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا ما يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٦ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: «كَانَ فِرَاشُ رسول اللَّه ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ»[٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «فيجيء الجاني» أي يمرُّ بي الرجلُ، وأنا ملقى على الأرض، فيضع رجله على عُنقي ـ وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق ـ يظن أنني مجنون، وليس سبب إغمائي إلا الجوع.

(٢) «ودرعه مرهونة» إنما رهن ﷺ درعه عند يهودي، ولم يرهنه عند أحدٍ من أصحابه لحكمة، وهي أنَّ اليهودي لا يترك حقَّه للرسول ﷺ بل سيطالب به، بينما أصحابه لا يرضون أن يأخذوا ثمناً أو عِوَضاً لهذا الطعام، وسيتركونه للرسول عليه السلام، فآثر ﷺ أن يستقرض من عند اليهودي، ولبيان جواز التعامل مع أهل الكتاب.

(٣) «ثلاثين صاعاً من شعير» إنما أخذ الشعير طعاماً لأهله، لشدة حاجتهم إلى الطعام، ولم يكن من البُرّ إنما كان من الشعير، وهذا دليل شدة الفاقة، فقد توفي ﷺ والدرع مرهونة عند يهودي، حتى افتكّها أبو بكر رضي اللَّه عنه وأرضاه، فأين هي التركة الضخمة التي خلّفها رسول اللَّه ﷺ، حتى تأخذ فاطمة الزهراء ميراثها منه؟ كما زعم الرافضة أن أبا بكر حرمها نصيبها من الإرث؟

(٤) «بخبز شعير وإهالة سَنِخَة» أي جئتُه بخبز من الشعير وإدام من الشحم، متغيّر الرائحة من طول المكث.

(٥) «ما أصبح لآلِ محمد صاعٌ» أي ما أصبح ولا أمسى لأهل بيت النبوة، صاع بُرّ ولا صاعُ شعير يأكلونه، وهم تسعة بيوت، فما أحقر هذه الدنيا عند اللَّه، حيث حُرِمها سيّدُ الخلقِ ﷺ!؟

(٦) «من أَدَم حشْوُه ليفٌ» أي كان فراشه ﷺ من جلدٍ مدبوغ، محشوٌّ باللِّيف، من شجر النخيل، وهذا من زهده ﷺ في الفراش الناعم.

٥٠٧ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كُنَّا جُلُوساً مَعَ رسول الله ﷺ، إذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبر الأَنْصَارِيُّ، فقال رسول الله ﷺ: يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ؟ فقال: صَالِحٌ[١]، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟ فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، ما عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلا خِفَافٌ، وَلا قَلانِسُ، وَلا قُمُصٌ، نَمْشِي في تلكَ السِّبَاخِ[٢]، حَتَّى جِئْنَاهُ، فاسْتَأْخَرَ قَوْمُه[٣] مِنْ حَوله، حتَّى دَنَا رسول الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٠٨ ـ وعن عِمْرَان بْنِ الحُصَينِ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ قَرني[٤] ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٠٩ ـ وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وَأَن تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ[٦]، وَابدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٥١٠ ـ وعن عُبَيد الله بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ الخَطمِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُم آمِناً في سِرْبِهِ[٧]، مُعَافىً في جَسَدِهِ،

---

(١) «فقال صالح» هذا من باب التفاؤل، أي سيصحُّ إن شاء الله، وهو كناية عن المرض، فلذلك توجّه ﷺ مع أصحابه لعيادته.

(٢) «نمشي في السِّباخ» أي نمشي حفاة في الأرض التي تعلوها الملوحة.

(٣) «فاستأخر قومُه» أي الأنصار إكراماً للرسول ﷺ وأصحابه الوافدين معه، وهذا من أدبهم، وإنزالهم للناس منازلهم.

(٤) «خيركم قرني» أي خير الناس أصحابي الذين هم في زماني، ثم قرنُ التابعين، ثم قرنُ تابعِ التابعين، فهذه هي القرون الثلاثة المفضّلة، والقرنُ مائة سنة، ويراد به أهل العصر.

(٥) «ويظهر فيهم السِّمَنُ» أي كثرة اللحم، وذلك علامة على توسعهم في المآكل والمشارب، على غير الوجه المعتاد.

(٦) «ولا تُلام على كَفَاف» أي لا يلحقك إثم ولا عتب، على إنفاقك قدر الحاجة، من مأكلٍ، ومشربٍ، وملبس.

(٧) «آمناً في سِرْبِه» أي آمناً في جماعته على نفسه، وأهله، وماله.

عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ. «سِرْبِهِ» بكسر السين، أي: نَفْسِهِ، وَقِيلَ: قَوْمِهِ.

٥١١ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بْنِ العاصِ رضي اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّه بِمَا آتَاهُ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥١٢ ـ وعن أبي مُحَمَّدٍ «فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ» الأَنْصَارِيِّ رضي اللَّه عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى[٣] لِمَنْ هُدِيَ إلى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً، وَقَنِعَ»[٤] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٥١٣ ـ وعن ابن عباسٍ رضِيَ اللَّه عنهما قال: «كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِي المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً[٥]، وَأَهْلُهُ لا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٥١٤ ـ وعن فَضالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي اللَّه عنه «أن رسول اللَّه ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ[٦] وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حتَّى يَقُولَ الأَعْرَابُ: هؤلاءِ مَجَانِينُ، فَإِذَا صلى رسول اللَّه ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تعالى[٧]، لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ صحيحٌ. «الخَصَاصَةُ»: الْفَاقَةُ وَالجُوعُ الشَّدِيدُ.

---

(١) «حيزت له الدنيا بحذافيرها» أي كأنما جُمعت له الدنيا بأكملها.

(٢) «وقنّعه اللّه بما آتاه» أي صيّره راضياً بما أعطاه من الكَفاف، قال الشاعر:

إذا ما كنتَ ذا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فأنتَ ومالكُ الدنيا سَوَاءُ

وفي الحديث الشريف «وارضَ بما قَسَمَ اللّهُ لك تكن أغنى الناس».

(٣) «طوبى» أي يا سعادة من هداه اللّه للإسلام، ما أطيب عيشه!؟

(٤) «وقنع» أي رضي بما قسمه اللّه له.

(٥) «يبيت الليالي طاوياً» أي خالي البطن، وطارياً على الجوع، وكان أهله كذلك لا يجدون طعام العشاء، فيبيتون على الجوع، مع أن خبز الشعير هو طعامهم.

(٦) «من الخصاصة» أي يسقطون في الصلاة على الأرض من الجوع الشديد، حتى يظن بعض الأعراب فيهم الجنون.

(٧) «لو تعلمون ما لكم عند اللّه» أي منزلتكم الرفيعة عند اللّه، وهذه تسلية لهم لإيمانهم، وصبرهم على الفقر والبأساء.

٥١٥ ـ وعن أبي كَرِيمَةَ «المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِبَ» رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ[١] يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ[٢]، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن. «أُكُلاتٌ» أَيْ: لُقَمٌ.

٥١٦ ـ وعن أَبي أُمامةَ «إِيَاسِ بن ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيُّ الحَارِثِي» رضي الله عنه قال: «ذَكَرَ أَصْحَابُ رسول الله ﷺ يَوْمَاً عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فقال رسول الله ﷺ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيْمَانِ[٣] يَعْنِي: التَّقَحُّلَ»[٤] رَوَاهُ أبو داود.

«الْبَذَاذَةُ» رَثَاثَةُ الهَيْئَةِ، وَتَرْكُ فَاخِرِ اللِّبَاسِ، وَأَمَّا «التَّقَحُّل» فَهُوَ الرَّجُلُ الْيَابِسُ الجِلدِ، مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ، وَتَرْكِ التَّرَفُّهِ.

٥١٧ ـ وعن أبي عبد الله «جابر بن عبد الله» رضي الله عنهما قال: «بَعَثَنَا رسول الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه، نَتَلَقَّى عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَاباً مِنْ تَمْرٍ[٥]، لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقِيلَ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قال: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ

---

(١) «بحسب ابن آدم» أي يكفي الإنسانَ من الدنيا لُقيمات يعيش عليهن.

(٢) «فإن كان لا محالة» أي إن كان لا بدَّ له من لتنعم بالمأكل، وملء البطن، فثلثٌ للمعدة، وثلثٌ للشراب، وثلث للتنفس. يُحكى أن كسرى سأل طبيباً: ما الداءُ الذي لا دواء له؟ فقال له: إدخالُ الطعام على الطعام، فذلك الذي أفنى البريّة، وقتل سباع الأرض في البرّية، فسأله عن الحمية؟ قال: الاقتصادُ في المعيشة «كلوا واشربُوا ولا تُسرفوا».

(٣) «إن البذاذة من الإيمان» لمّا كان الناس يتفاخرون بالثياب والملابس، نبّه ﷺ على أن ترك فاخر الثياب من الإيمان، وأكّد ذلك بتكرار اللفظ، ليتواضع العبد المؤمن، وليس معناه ترك الزينة، وإظهار رثاثة الهيئة، وإنما التحذير من الخيلاء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾؟ كان الإمام الشاذلي يلبس أجمل الثياب، فأنكر عليه رجلٌ يدّعي الزهد، ويلبس رثّ الثياب، فقال له الشاذلي: يا هذا هيئتي هذه تقول: «الحمد لله» وهيئتكم تقول: «أعطوني من دنياكم»!! فالمراد من الحديث إذاً: التواضع في اللباس، وترك التبجُّح به، وليس تحريم جميل الثياب.

(٤) «التقحُّل» هو خشونة العيش، وترك الترفُّه.

(٥) «جراباً من تمر» أي كيساً مملوءاً بالتمر من جلد.

المَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ[1]، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قال: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى (الْعَنْبَرَ)، فقال أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قال: لا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفي سبيل اللَّهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْراً، وَنَحْنُ ثَلاثُمَائَةٍ، حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ، بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَأَقْعَدَهُمْ في وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلعاً مِنْ أَضْلاعِهِ، فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول اللَّه ﷺ فَذَكَرْنَا ذلِكَ له، فقال ﷺ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ!! فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا[2]!؟ فَأَرْسَلْنَا إلى رسول اللَّه ﷺ بِنْهُ فَأَكَلَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«وَالقِلالُ» الجِرَارُ. «وَالفِدَرُ» بكسرِ الفاءِ وفتحِ الدالِ: القِطَعُ. «رَحَلَ الْبَعِير» بتخفيفِ الحاءِ: أَيْ جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ. «الوَشَائِقُ» بالشينِ المعجمةِ وَالقَافِ: اللَّحْمُ الَّذي قُطِعَ لِيُقَدَّدَ، واللَّه أعلم.

٥١٨ ـ وعن أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ رضي اللَّه عنها قالت: «كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الرُّصْغِ»، رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسن.

«الرُّصْغُ» بالصادِ، وَ«الرُّسْغُ» بالسينِ أيضاً، هوَ: المَفْصِلُ بَيْنَ الكَفِّ والسَّاعِدِ.

٥١٩ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه قال: «إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[3] شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في

---

(١) «الخَبَطُ» ورق الشجر، وهو من عَلَف البعير.

تنبيه: هذا الحديث عجيب، فهؤلاء أصحاب رسول اللَّه، خرجوا مجاهدين دُعاة إلى اللَّه، لم يجد لهم الرسول ﷺ ما يزوِّدهم به إلَّا تمراً من تمر، لم يكن عنده غيره، فكان أميرهم أبو عُبيدة يُعطيهم كلَّ يوم تمرة، يمصُّونها كما يمصُّ الصبيُّ ثدي أمه، ويأكلون بدل الخبز ورق الشجر، وفتحوا الدنيا وملكوا العالم، ونحن اليوم شبعت بطوننا، وكثرت أموالنا، وأضعنا فلسطين، لأننا تركنا الجهاد، والدعوة إلى اللَّه، فكتب اللَّه علينا الذل والهوان!! ولا بدَّ من عودة إلى سنام الإسلام، ألا وهو الجهاد في سبيل اللَّه!

(٢) «هل معكم من لحمه فتطعمونا» أي هل تحملون شيئاً من لحم ذلك الحوت؟ فأرسلوا إليه منه، فأكله تطييباً لخاطرهم، ولبيان حلِّ ميتة البحر.

(٣) «عرضت لنا كُدية» أي صخرة عظيمة عجزنا عن تكسيرها.

الخَنْدَقِ. فقال: أنا نازِلٌ، ثُمَّ قامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ[١]، وَلَبِثْنا ثَلاثَةَ أيّام لا نَذُوقُ ذَوَاقاً فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ، فَعادَ كَثِيباً[٢] أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللّه ائْذَنْ لي إلى البَيتِ، فقلتُ لامْرَأَتي: رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شَيْئاً، ما في ذلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقالت: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ!! فَذَبَحْتُ العَنَاقَ وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللحمَ في البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النبيَّ ﷺ، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، والبُرمَةُ بَيْنَ الأَثَافيِّ قَد كَادَت تَنْضِجُ، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي، فَقُمْ أَنْتَ يا رسولَ اللّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ! قال: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ له فقال: كثيرٌ طَيِّبٌ، قُل لَهَا لا تَنْزِع البُرْمَةَ، ولا الخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ، حَتَّى آتي، فقال: «قُومُوا» فقام المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عليها فقلت: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبي ﷺ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَمَن مَعَهُم! قالت: هل سَأَلَكَ؟ قلتُ: نعم، قال: ادْخُلُوا وَلا تَضَاغَطُوا، فَجَعَلَ يَكْسِرِ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللحمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُّورَ إذا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إلى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَل يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ، حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ، فقال: كُلِي هذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: قال جابر: «لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيتُ بِالنَّبيِّ ﷺ خَمَصاً، فَانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتي، فقلتُ: هل عِنْدَكِ شَيْءٌ؛ فإنِّي رَأَيْتُ بِرسولِ اللّهِ ﷺ خَمَصاً شَدِيداً؟ فَأَخْرَجَتْ إليَّ جِراباً فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيتُ إلى رسول اللّه ﷺ، فَقَالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرسول اللّه ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يا رسول اللّه: ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ رسول اللّه ﷺ فقال: «يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ: إنَّ جابراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً، فَحَيَّهَلاً[٣] بِكُمْ» فقال النبيُّ ﷺ: لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أجيءَ، فَجِئْتُ، وَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتي

---

(١) «وبطنُه معصوبٌ بحجر» أي مربوط بحجر قد وضعه على بطنه الشريف، من شدة الجوع، وتكسيرُه للصخرة التي عجز عنها الصحابة جميعهم، كان معجزة له ﷺ، ولم يكن بقوة مودعةٍ في الإنسان، لغلبة الضعف عليه ﷺ في ذلك الحين.

(٢) «فَعَادَ كثيباً» أي أصبحت تراباً ناعماً بضربة الرسول ﷺ.

(٣) «حيهلاً بكم» أي أهلاً ومرحباً بكم تفضّلوا للطعام.

فقالَتْ: بِكَ وَبِكَ[1]! فقلتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ!! فَأَخْرَجَتْ عَجيناً، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قال: ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلَفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانحرَفُوا، وإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ»[2].

قَوْلُهُ: «عَرَضَتْ كُدْيَةٌ»: قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ صُلْبَةٌ مِنَ الأَرْضِ، لا يَعْمَلُ فِيهَا الْفَأْسُ، «الكَثِيبُ» أَصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ، وَالمُرَادُ هُنَا: صَارَتْ تُرَاباً نَاعِماً، وَهُوَ مَعْنَى «أَهْيَلَ»، و «الأَثَافِيُّ»: الأَحْجَارُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا القِدْرُ، و «تَضَاغَطُوا»: تَزَاحَمُوا، و «الخَمَصُ»: الجُوعُ، و «انْكَفَأْتُ»: انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ، و «الدَّاجِنُ»: هِيَ الَّتِي أَلِفَتِ الْبَيْتَ، و «السُّؤْر»: الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ، و «حَيَّهَلا» أي: تَعَالَوا، «بِكَ وبِكَ»: أي خاصمته وسبَّته، لأنها اعتقدتْ أن الذي عندها لا يكفيهم، فَاسْتَحْيَتْ وَخَفِيَ عَلَيْهَا مَا أَكْرَمَ اللَّه سُبْحَانَهُ وتعالى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، مِنْ هذِهِ المُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ والآيَةِ البَاهِرَةِ، و «اقْدَحِي» أي: اغرِفِي، وَالمِقْدَحَةُ: المِغْرَفَةُ، و «تَغِطُّ» أي: لِغَلَيَانِهَا صَوْتٌ، واللَّه أعلم.

٥٢٠ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: «قال أبو طَلْحَة لأُمِّ سُلَيْم: قَد سَمعت صَوتَ رسول اللَّه ﷺ ضَعِيفاً، أعرِف فِيه الجوع، فهل عِندَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فقالت: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِن شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَاراً لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبزَ بِبَعضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إلى رسول اللَّه ﷺ، فَذَهَبتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رسُول اللَّه ﷺ جَالِساً في المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فقال لي رسولَ اللَّه ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فقلت: نَعَمْ، فقال: أَلِطَعَامٍ؟ فقلت: نَعَمْ، فقال رسول اللَّه ﷺ: قُومُوا، فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرتُهُ، فقال أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيم: قَد جَاءَ رسول اللَّه ﷺ بالنَّاس، وَلَيْسَ عِنْدَنَا ما نُطْعِمُهُمْ!! فقالتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

---

(١) «فقالت: بك وبك» أي خاصمته وقالت له: فَعَل اللَّه بك ما فعل! من أين آتيهم بطعام يكفي هذا الجيش؟ وخفي عليها ما أكرم اللَّه به نبيَّه ﷺ، من هذه المعجزة الظاهرة؟

(٢) هذه القصة من معالم النبوَّة، ومعجزات سيد المرسلين، فقد أكل الجيش وشبع، من هذا الطعام القليل، الذي يكفي في العادة خمسة أنفس، حتى كفى ألفاً وزيادة، ببركة دعائه ﷺ، وبقي الطعام كما هو بل أزيد، والخبز كذلك يُخبز كأنه لم ينقص منه شيء.

فَانطَلَقَ أَبُو طَلْحَة حَتَّى لَقِيَ رسولَ اللَّه ﷺ، فَأَقْبَلَ رسولُ اللَّه ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: هَلُمِّي ما عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْم، فَأَتَتْ بِذلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رسولُ اللَّه ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيهِ أُمُّ سُلَيْم عُكَّةً[1] فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قال فيهِ رسول اللَّه ﷺ ما شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ[2]، ثُمَّ قال: ائذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثم قال: ائذَنْ لِعَشرَةٍ، فَأَذِنَ لَهم، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قال: ائذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ حتى أكل القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَوْ ثَمَانُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ عن أنسٍ قال: «جِئْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَوْمَاً، فَوَجَدتُهُ جَالِساً مَعَ أَصحابِهِ، وَقَد عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فقلتُ لِبَعضِ أَصحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ اللَّه ﷺ بَطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجُوعِ، فَذَهَبْتُ إلى أبي طَلْحَةَ ـ وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيم بنتِ مِلحَانَ ـ فقلتُ: يَا أَبَتَاه، قد رَأَيتُ رسولَ اللَّه ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعضَ أَصْحَابِهِ، فقالوا: مِنَ الجُوعِ، فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ على أُمِّي، فقال: هَل مِن شَيْءٍ؟ قالت: نعم عِنْدِي كِسَرٌ مِن خُبزٍ وَتَمَرَاتٌ، فإنْ جاءَنَا رسول اللَّه ﷺ وَحدهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإن جَاءَ آخَرُ معه قَلَّ عَنْهُمْ»... وَذَكَرَ تَمَامَ الحَديث.

❁❁❁

بابٌ في القناعة والعَفافِ، والاقتصَاد في المعيشة والإنفاق، وذم السؤال من غير ضرورة

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[3] [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[4] [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) «عُكَّةً فآدَمَتْه» أي أخرجت وعاءً من الجلد فيه السمنُ، فصيَّرت الخارجَ منه إداماً، أي طعاماً مع الخبز.

(٢) «قال فيه رسول الله ما يقول» أي دعا على الطعام ما دعا ليبارك الله فيه.

(٣) ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ..﴾ الآية أي ليس شيء يدبُّ على وجه الأرض، من إنسان أو حيوان، إلَّا تكفَّل الله برزقه، تفضلاً منه وكرماً، فكما أنه سبحانه الخالق، كان هو الرازق.

(٤) ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ الآية أي تعرفهم بعلامتهم وهي التعفف، لا يسألون الناسَ إطلاقاً، لا بإلحاحٍ ولا بغير إلحاح.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1] [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧].

وأما الأحاديث، فَتَقَدَّمَ مُعْظَمُهَا في البَابَينِ السَّابِقَينِ، وَمِمَّا لم يَتَقَدَّم:

٥٢١ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

«العَرَضُ» بفتح العين والراءِ: هُوَ المَالُ.

٥٢٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً[3]، وَقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٢٣ ـ وعن حَكيم بن حِزَام رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ رسول الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فأَعْطَانِي، ثم سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثم قال: يا حَكيمُ، إنَّ هذَا المَالَ خَضِرٌ حُلوٌ، فَمَن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ[4]، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ[5]، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ[6]، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى[7]،

---

(١) ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ الآية، أي كان إنفاقهم وسطاً، لا يبذرون المال، ولا يقصرون في الإنفاق.

(٢) أي ليس الغنى بكثرة المال والمتاع، ولكنه بقناعة القلب، والرضى بما قسم الله، قال الشاعر:

إذا ما كنتَ ذا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فأنتَ ومالكُ الدنيا سَوَاءُ

وقال آخر:

رأيتُ قِسمةَ الجبَّارِ فينا ... لنا علمٌ وللجُهَّالِ مالُ

فإن المالَ يَفْنَى عن قريبٍ ... وإن العلمَ كنزٌ لا يزالُ

(٣) «ورُزِقَ كفافاً» أي رزقه الله ما يكفيه ويسدُّ حاجته، فلا يكون في حال الفقر المُدْقع، ولا الغِنَى المُطْغي.

(٤) «فمن أخذه بسخاوة نفس» أي بغير سؤال، ولا شَرَه ولا إلحاح.

(٥) «ومن أخذه بإشراف نفس» أي بتطلُّع إليه، وحرص على جمعه وتحصيله.

(٦) «كان كالذي يأكل ولا يشبع» هذا من أبدع التشبيه، أي كان مثل المريض السقيم، كلما أكل ازداد سُقماً ومرضاً ولم يشبع.

(٧) «اليد العليا خير من السفلى» اليدُ العليا: هي المعطية المنفقة، واليد السفلى: هي الآخذة السائلة، وفي الحديث ترغيب في البذل والعطاء، وترهيب من سؤال الناس، والحث على الزهد.

قال حَكِيم فقلتُ: يا رسول اللّه، والّذي بَعَثَكَ بالحَقّ، لا أرزأُ أحَداً[١] بعدَكَ شَيئاً، حَتّى أُفارِقَ الدُّنيا. فَكَانَ أبُو بكرٍ رضي اللّه عنه، يَدْعُو حَكيماً لِيُعطِيَهُ العَطَاءَ، فَيأبَى أنْ يَقْبَلَ مِنهُ شَيْئاً. ثُمّ إنّ عُمَرَ رضي اللّه عنه، دَعَاهُ لِيُعطيَهُ، فَأبى أن يَقْبَلَ. فقال: يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلى حَكِيم، أني أعرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ، الّذي قَسَمَهُ اللّهُ لهُ في هذا الفيءِ، فيأبى أنْ يأخُذَهُ!! فَلَمْ يرزأ حَكيمٌ أحَداً مِنَ النّاسِ، بَعْدَ النّبي ﷺ حَتّى تُوُفّيَ» مُتّفَقٌ عليه.

«يَرْزَأُ» أي: لَم يَأخُذْ مِن أحَدٍ شَيْئاً. وَأصلُ الرُّزْءِ: النُّقصَانُ، أي: لَمْ يَنْقُص أحَداً شَيئاً بالأخذِ مِنهُ، و «إشْرَافُ النّفسِ»: تَطَلُّعُهَا وطَمَعُهَا بالشّيءِ، و «سَخَاوَةُ النّفْسِ»: هيَ عَدَمُ الإشرَاف إلى الشّيءِ، والطّمَع فيه، والمُبَالاةِ بِهِ والشّرَهِ.

٥٢٤ ـ وعن أبي بُردَةَ عن «أبي مـوسى الأشعَرِيّ» رضي اللّهُ عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ رسُولِ اللّهِ ﷺ في غَزَاةٍ، ونحن سِتّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنا بَعيرٌ نَعْتَقِبُهُ[٢]، فَنَقِبَتْ أقْدامُنَا[٣] وَنَقِبَتْ قَدَمِي، وَسَقَطَتْ أظْفَاري، فَكُنّا نَلُفُّ عَلى أرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمّيَتْ «غَزْوَةَ ذَاتِ الرّقَاعِ» لما كُنّا نَعْصِبُ على أرجُلِنَا من الخِرَقِ قالَ أبو بُردَةَ: فَحَدّثَ أبو مُوسَى بِهذا الحَدِيثِ، ثُمّ كَرِهَ ذلِكَ، وقَالَ: ما كنتُ أصْنَعُ بِأنْ أذكُرَهُ[٤]! قال: كأنّهُ كَرِهَ أنْ يَكونَ شيئاً مِنَ عَمَلِهِ أفْشَاهُ» مُتّفَقٌ عليه.

٥٢٥ ـ وعن «عمرو بن تَغْلِبَ» رضيَ اللّهُ عنه «أنّ رسُولَ اللّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ أوْ سَبيٍ[٥]، فَقَسَمَهُ، فَأعْطَى رِجالاً، وَتَرَكَ رِجالاً، فَبَلَغَهُ أنّ الّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا[٦]، فَحَمِدَ

---

(١) «لا أرزأ أحداً» أي لا أطلب من أحدٍ شيئاً بعد هذا اليوم، وسبب سؤال حكيم للعطاء، أن النبي ﷺ أعطاه أقلّ مما أعطى الناسَ، فقال يا رسول اللّه: ما كنتُ أظن أن تعطيني أقلّ مما أعطيتَ إخواني، فزاده ثم استزاده فأعطاه، ثم قال له ﷺ: «إن هذا المال حلو خَضِر..» الحديث.

(٢) «بعير نعتقبه» أي معنا جَمَل نتعاقبه في الركوب، واحداً بعد واحد، يركب البعض ثم ينزل، فيركبه غيره.

(٣) «نَقِبَتْ أقدامُنا» أي رقّتْ وصار فيها بعض الجروح، فكنّا نلفُّ عليها بعض الخِرَق، لذلك سميت «غزوة الرقاع».

(٤) «ما كنتُ أصنع بأن أذكره» أي لماذا أذكر هذا؟ وما الذي يحملني على ذكره للناس؟ خشيَ أبو موسى أن يكون ذلك سبباً للرياء وحبّ الشهرة. فحدّث به أولاً، ثم كره بعد ذلك الحديث عنه.

(٥) «أو سَبْي» هو ما يُؤخذ في الأسر من العبيد والإماء.

(٦) «فبلغه أن بعضهم عتبوا» أي وجدوا في أنفسهم شيئاً من العتب، فقالوا: لماذا لم يعطنا؟ =

اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، والَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إِنَّما أُعْطِي أَقْواماً، لِما أَرَى في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ، وأَكِلُ[1] أَقْواماً إِلى ما جَعَلَ اللَّهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والخَيْرِ، مِنْهُمْ «عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ» قال عَمرُو بنُ تَغْلِبَ: فَوَاللَّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ»[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، «الهَلَعُ»: هُوَ أَشَدُّ الجَزَعِ، وقِيلَ: الضَّجَرُ.

٥٢٦ ـ وعنْ حَكِيمِ بْنِ حِزامٍ رضيَ اللَّهُ عنه، أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ[3]، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ[4]، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»[5] مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر.

٥٢٧ ـ وعن أَبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ «مُعاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيَانَ» صَخْر بن حَرْبٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُلْحِفُوا في المَسْأَلَةِ[6]، فواللَّهِ لا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئاً، وَأَنَا لَهُ كارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فيما أَعْطَيْتُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

= ولا يُراد هنا السّخط من فعل النبي ﷺ، لأن ذلك ينافي الإيمان، المشهود لهم به في الحديث، بقوله: «والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي».

(١) «وأكِلُ أقواماً» أي وأترك أقواماً فلا أعطيهم، لما أعرفُ من نفوسهم من القناعة والزهد.

(٢) «حُمْرَ النَّعم» أي ما أحبُّ بهذه الكلمة التي قالها لي الرسول ﷺ كرائم الإبل ونفائسها.

(٣) «وابدأ بمن تعول» أي ابدأ بالإنفاق على الأهل والأولاد، الذين يجب عليك إعالتهم، فالأقربون أولى بالمعروف.

(٤) «ومن يستعفف» أي من يعفّ نفسه عن سؤال الناس، يرزقه الله العفّة، ويُغنه عنهم فلا يحتاج لأحد.

(٥) «ومن يستغن» أي يُظهر الغنى من نفسه، يصيّره الله غنياً، لأن الغنى الحقيقي ليس عن كثرة المال، إنما الغنى غنى النفس، وفي هذا الحديث بيانٌ لعزة المسلم، التي ينبغي أن يتحلّى بها، وهي علامة صدق الإيمان، وطهرة النفس من الطّمع والجَشَع.

(٦) «لا تُلحفوا في المسألة» أي لا تُلحُوا بالسؤال مني لعطائكم شيئاً، فمن أعطيتُه لإلحاحه، وأنا كارهٌ لدفعه، لا يبارك الله له فيه، لأنه أخذه عن غير طيب نفس، وهذا الحديث توجيهٌ نبويٌّ كريم، إلى الكفّ عن الإلحاح في المسألة، فإنها خدوشٌ في وجهه يوم القيامة، كما في الحديث التالي: «لا تزال المسألة بأحدهم، حتى يلقى اللَّهَ وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم» أي قطعة لحم.

٥٢٨ ـ وعن أبي عبدِ الرحمنِ «عَوف بن مالك الأشْجَعِيّ» رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَو ثمانِيةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ ـ وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ ـ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يا رسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قال: أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَبَسَطْنَا أَيْدِينا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قال: على أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، والصَّلَواتِ الخَمْسِ، وَتُطِيعُوا ـ وَأَسَرَّ كلمَةً خَفِيَةً ـ وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ، يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٢٩ ـ وعن ابنِ عمر رضيَ اللَّهُ عنهما، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا تَزَالُ المَسْأَلَة بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقى اللَّهَ تعالى، وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» مُتَّفَقٌ عليه، «المُزْعَةُ» القِطْعَة.

٥٣٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ قال وهو على المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ والتَّعفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى، واليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَة، وَالسُّفْلى هِيَ السَّائِلَة» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٣١ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُول اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرَاً[1] فإنَّما يَسْأَل جَمْرَاً[2]، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٣٢ ـ وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدب رضي اللَّه عنه قال: قال رسُول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بها الرَّجُلُ وَجْهَهُ[4]، إِلَّا أَنْ يَسأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَاناً[5]، أَوْ في أَمْرٍ لا

---

(١) «سأل الناس تكثراً» أي سأل عن غير حاجة، إنما ليكثر ماله، ممّا يجتمع عنده بسبب السؤال.

(٢) «فإنما يسأل جمراً» أي يصير هذا الذي أخذه جمراً يوم القيامة، يُكوى به في النار ويُحرق.

(٣) «فليستقلّ أو ليستكثر» أي فليختر لنفسه بين الاستكثار من السؤال، والاستقلال منه، حتى يكثر عذابه أو يقلّ.

(٤) «إن المسألة كَدٌّ» أي سؤال الناس من دنياهم، خَدْشٌ يخدش به السائل وجهه، ويُريق به ماء وجهه، وهذا شيء لا يليق بالمسلم العاقل، قال الشاعر:

إذا أَطْعَمَتْكَ كَفُّ اللِّئَامِ ... كَفَتْكَ الكَفَافَةُ شِبْعاً وَرِيّاً

فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الحَيَاةِ ... دون إراقةِ مَاءِ المُحَيَّا

(٥) «إلا أن يسأل سلطاناً» أي إلا أن يطلب من السلطان ما أوجبه الله له، من الزكاة، أو المغنم، أو بيت المال.

بُدَّ مِنْهُ»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح. «الكَدُّ»: الخَدشُ وَنحوُهُ.

٥٣٣ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أصابَتْهُ فاقَةٌ فَأنْزَلَها بِالنَّاسِ[٢]، لَمْ تُسَدَّ فاقَتُهُ، وَمَنْ أنْزَلَها باللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزقٍ عاجِلٍ أوْ آجِلٍ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن، «يُوشِكُ» أي يُسرِعُ.

٥٣٤ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لي أنْ لا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وأتَكَفَّلُ له بالجَنَّةِ؟ فقلتُ: أنا، فَكانَ لا يَسْأَلُ أحَداً شَيْئاً» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

٥٣٥ ـ وعن أبي بِشرٍ «قَبِيصَةَ بْنِ المُخَارِقِ» رضيَ اللَّهُ عنه قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً[٣] فَأتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أسْأَلُهُ فيها، فقال: «أقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأمُرَ لَكَ بها، ثُمَّ قَالَ يا قَبِيصَةُ: إنَّ المَسألَةَ[٤] لا تَحِلُّ إلَّا لأحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصيبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ ـ أوْ قال: سِداداً مِنْ عَيْشٍ ـ وَرَجُلٍ أصَابَتْهُ فاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أصَابَتْ

---

(١) «أو في أمرٍ لا بدَّ منه» أي في أمرٍ ضروري لا غنى له عنه، كما إذا لم يجد شيئاً يأكله، ولا يستطيع العمل، فيسأل لدفع الحاجة.

(٢) «فاقة فأنزلها بالناس» أي أصابته حاجة فطلب رفعها من الناس، ونسيَ ربَّ العزة والجلال قاضي الحاجات، لم تُقض حاجتُه، لأنه اعتمد على العبد العاجز، ونسي القويَّ القادر، ومن طلبها من الله، فالله عونه وسنده.

قال وهب بن منبِّه: لرجل يأتي الملوك: ويحك تأتي من يُغلق عنك بابه، ويُخفي عنك غناه، وتَدَع من يفتح لك بابه في النهار والليل، ويُظهر لك غناه؟! قال تعالى: **﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾!!**

(٣) «تحمَّلْتُ حَمالة» أي لزمتني ديون للإصلاح بين جماعة متخاصمين، تعهدت لهم بها فأتيت النبي أستعينه.

(٤) «إن المسألة» أي إن السؤال من الصدقة أعني الزكاة، التي ذكر الله مصارفها، لا تحلُّ إلَّا لأحدِ ثلاثة أصناف من المضطرين حقيقة للعون والمساعدة:

١ ـ رجل تحمَّل مالاً ليس عنده سداده.

٢ ـ ورجل أصابته كارثة ذهبت بزرعه وثمره.

٣ ـ ورجل أصابه فقر شديد مدقع فيسأل الزكاة، وما سوى ذلك فهو سحت، أي مال حرام يأخذه.

فُلاناً فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حتَّى يُصيبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قالَ: سِداداً مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِواهُنَّ مِنَ المَسألَةِ يا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يأكُلُها صاحِبُها سُحْتاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «الحَمَالَةُ» أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ بينَ فَرِيقَين، فَيُصلِحُ إنسانٌ بَيْنَهُمْ عَلى مالٍ، يَتَحَمَّلُهُ ويلتزمه عَلى نفسِهِ، و «الجائِحَةُ»: الآفةُ تُصيبُ مالَ الإنسانِ، و «القِوَامُ» بكسر القافِ وفتحها: هُوَ ما يقومُ بِهِ أَمْرُ الإنْسانِ مِنْ مَالٍ ونحوِهِ، و «السِّدادُ» بكسر السين: مَا يَسُدُّ حاجَةَ المُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ، و «الفَاقَةُ» الفَقْرُ، و «الحِجَى»: العقلُ.

٥٣٦ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَيْسَ المِسْكِينُ[1] الَّذِي يَطُوفُ عَلى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتان، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتان، وَلكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في جَواز الأخذ من غير مَسألة ولا تطلُّع إليه

٥٣٧ ـ عَنْ سالمِ بْنِ «عبدِ اللَّهِ بن عُمَرَ» عَنْ أَبِيهِ عبدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمرَ رضي اللَّهُ عنهم قال: «كانَ رسول اللَّه ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إليهِ مِنِّي، فقال: خُذْهُ، إذَا جاءَكَ مِنْ هذَا المَالِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلا سَائِلٍ[2]، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وإن شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ[3]»، قال سَالمٌ: فَكَانَ عَبدُ اللَّه لا يَسألُ

---

(١) «ليس المسكين» أي ليس المسكين المحتاج إلى العون والعطاء، هو الطوّاف على الناس، الذي يردُّه القليل من العطاء، كالتمرة واللقمة، إنما حقيقةُ المسكين هو العفيفُ، المحتاج حاجة ماسة إلى المال، لكنه لا يسأل الناس، ولا يعرف أحد أنه محتاج لمواساته، كقوله سبحانه: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ وفي هذا الحديث إشادة بالمؤمن العفيف، الذي لا يسأل أحداً، وهو عظيم الحاجة، فقير اليد، محتاج أشدَّ الحاجة للعون.

(٢) «غير مشرف ولا سائل» أي إذا جاءك العطاء من أحد، وأنت غير متطلّع إليه، ولا طالب له من أحد فخذه واجعله مالَك، فإمّا أن تنفقه في حاجتك، أو تتصدق به.

(٣) «ومالا فلا تتبعه نفسك» أي وأيُّ مالٍ جاءك عن غير هذا الطريق، فلا تُشغل نفسك به، ولا تكن حريصاً عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [طه: ١٣١].

أَحَداً شَيئاً، وَلا يَرُدُّ شَيئاً أُعْطِيَهُ» مُتَّفَقٌ عليه. «مشرفٌ» أَيْ: مُتَطَلِّع إِلَيْهِ.

❁❁❁

بابٌ في الحثِّ على الأكل من عمل يَده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (١) [الجمعة: ١٠].

٥٣٨ ـ عن أبي عَبْدِ اللَّهِ «الزُّبَيْر بْنِ العَوَّام» رَضِيَ اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحبُلَهُ(٢) ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّه بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أن يَسألَ النَّاسَ، أَعطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٣٩ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُم حُزْمَةً عَلى ظَهرِهِ، خَيْرٌ لَهُ من أَنْ يَسأَلَ أَحداً، فَيُعطِيَهُ أَو يَمْنَعَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «كَانَ دَاوُدُ عليهِ السَّلامُ لا يَأْكُل إِلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٤١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «كانَ زَكَرِيَّا عليه السلامُ نَجَّاراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٤٢ ـ وعنِ «المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ» رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) ﴿فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ الآية أي تفرّقوا في الأرض، للكسب والتجارة، واطلبوا الرزق من اللَّه، فإنه المنعم المتفضل.

(٢) «يأخذ أَحْبُلَه» جمع حبل، أي يأخذ الحبال ليحتطب بها، ثم يحمل الحطب على ظهره فيبيعه، خير له من أن يُعرّض نفسه للمهانة، وفي الحديث: حثٌّ على العمل، ولو امتهن نفسه بارتكاب المشاقّ، كحمل الحطب أو الحجارة، وتحذير من الاستجداء بسؤال الناس، سواءٌ أعطوه أم منعوه.

«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَن يَأْكُلَ مِنَ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّه دَاوُدَ ﷺ كان يَأْكُل مِن عَمَلِ يَدِهِ»[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في الكرم والجود
والإنفاق في وجُوه الخير، ثقةً بالله تعالى

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٢] [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٥٤٣ ـ وعَنِ ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَين[٣]: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ[٤]، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً[٥]، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «وإن نبي اللَّه داود كان يأكل من عمل يده» أي من كسب يده، وفي الحديث إشارة إلى أن أفضل الكسب ما كان بعمل الإنسان، وأن العمل مهما كان، لا يعتبر قبيحاً أو مهيناً، فداود عليه السلام كان حدّاداً يصنع الدروع، وآلات الحرب والسلاح، وزكريا عليه السلام كان نجاراً، وموسى عليه السلام رعى الغنم، فالعمل شرف للإنسان، وأفضل ما يأكله الإنسان من عمل يده.

(٢) ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ الآية أي يعطيكم عوضاً عنه، ويعوّضه عليكم، إما في الدنيا أو في الآخرة، لأن بيده سبحانه خزائن الرزق.

(٣) «لا حسد إلا في اثنتين» هذا ليس من الحسد المذموم، وإنما معناه الاغتباط، أي لا يغبط إنسان غيره إلَّا في خصلتين حميدتين، سمي حسداً من باب المشاكلة أي الموافقة في اللفظ، مع الاختلاف في المعنى.

(٤) «فسلّطه على هلكته في الحق» أي أنفقه في وجوه الخير والإحسان، وفيما يُرضي الرحمن، كالإنفاق على نفسه وأولاده، وعلى الأرامل والأيتام، وغيرها من وجوه البرّ والخير.

(٥) «ورجل آتاه اللَّه حكمة» أي رزقه علماً وفقهاً في الدين، فهو يعمل به، ويعلّمه الناس، ففي هذا إشادة بفضل العلم والتعليم، قال الشاعر:

فـفـز بـعـلـم تـعـش حـيـاً بـه أبـداً ... الـنـاس مـوتـى وأهـل الـعـلـم أحـيـاء.

معناه: يَنْبَغِي أَن لا يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلَّا على إِحْدَى هَاتَين الخَصْلَتَيْنِ.

٥٤٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ[١] وَارِثِهِ أَحَبُّ إليه مِنْ مَالِهِ؟ قالُوا: يا رَسولَ اللَّه: مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُه أَحَبُّ إليهِ، قال: فَإِن مَالَهُ ما قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ ما أَخَّرَ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٤٥ ـ وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حاتم رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٦ ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ شَيئاً قَطُّ فقالَ: لا»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٧ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعطِ مُنْفِقاً خَلَفاً[٥]، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «قالَ اللَّهُ تعالى: أَنفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٩ ـ وعنْ عبد اللَّهِ بن عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي اللَّه عنهُمَا «أَنَّ رَجُلاً

---

(١) «أيكم مال وارثه أحبُّ»؟ هذا سؤال يُقصد به التنبيه والإرشاد إلى أمر عظيم خطير، فالإنسان يجمع المال ويظن أنه له، وما يدري أنه يجمعه للوارث، فإنه إذا مات انتقل فوراً إلى وارثه، إلى ابنه، أو أخيه، أو ابن عمّه، أمّا ماله الحقيقي فهو ما قدّمه في حياته، بأن تصدّق، أو أكل، أو لبس، كما جاء في الحديث الآخر: «لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ، إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» رواه مسلم.

(٢) «ومالُ وارثه ما أخّر» أي ومال الوارث ما تركه له صاحب المال، فإن عمل به الوارث في طاعة اللَّه، انتفع بثوابه الميت، وإن عمل فيه بمعصيةِ اللَّه، كان أبعد من الانتفاع به الميت، إن سلم من تبعته.

(٣) «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة» أي أنقذوا أنفسكم من النار، ولو بالتصدق بنصف تمرة، فاللَّه لا يضيع مثقال الذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

(٤) «ما سُئل شيئاً فقال: لا» أي ما سُئل ﷺ نبيئاً من المال فمنعه أحداً، إن كان عنده أعطاه، وإلّا وعده ولم يخلف العطاء.

(٥) تقدم شرح الحديث ورقمه (٢٩٦) باب النفقة على العيال.

سَأَلَ رسول اللّه ﷺ: أَيُّ الإِسلَام خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلى مَنْ عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِفْ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٥٠ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسولُ اللّه ﷺ: «أَرْبَعونَ خَصلَةً أَعلاهَا مَنيحَةُ العَنْزِ، ما مِن عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصلَةٍ منها، رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللّهُ تعالى بِهَا الجَنَّةَ»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وقدْ سبقَ بَيانُ هذَا الحديث في باب بَيَان كَثرةِ طُرق الخَيْرِ.

٥٥١ ـ وعن أبي أُمَامَةَ «صُدَيِّ بْنِ عَجْلانَ» رضي اللّه عنه قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، أو أن تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٥٢ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺ عَلى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَد جاءه رجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قَومِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ[٤]، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ[٥]، مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيراً، حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «على من عرفت ومن لم تعرف» أي تسلّم على من عرفته، ومن لم تعرفه من المسلمين، فإن السلام شعار أهلِ الإسلامِ.

(٢) تقدم الحديث مع شرحه رقم (١٣٨) باب كثرة طرق الخير.

(٣) تقدم الحديث مع شرحه (٥٠٩) باب فضل الجوع.

(٤) «يعطي عطاء من لا يخشى الفقر» أي عظيم الكرم، يعطي عطاءً عجيباً، عطاء من لا يخاف الفقر، فقد أعطى رجلاً غنماً بين جبلين، وأعطى «صفوان بن أمية» مائة من الإبل، ثم مائة، ثم مائة، حتى قال صفوان: (واللّهِ لقد أعطاني رسولُ اللّه ما أعطاني، وإنه لأبغضُ الناسِ إليّ، فما برح يعطيني، حتى إنه لأحبُّ الناسِ إليّ) رواه مسلم، هكذا كان ﷺ يتألف قلوب الناس، فقد كان سخياً كريماً، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، وإن لم يكن عنده شيء استدان ﷺ، حتى يعطي الطالب ما يريده، ويقضي حاجته، كما قال بلال: (كان ﷺ إذا أتاه أحد مسلماً، فرآه عارياً، يأمرني فأنطلق فأستقرض، فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه).

(٥) «إن كان الرجل ليسلم» أي كان الواحدُ يَدْخُل في الإسلام، طمعاً في المال، ورغبةً في العطاء، لما يرى من مزيد بذله ﷺ، فلا يمكث إلا القليل من الزمن، حتى تشرق في قلبه أنوار الرسالة المحمدية، ويخالط الإيمان بشاشة قلبه، فيصبح الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها، فصلوات اللّه وسلامه على بحر الجود والكرم.

٥٥٣ ـ وعن عُمَرَ رضيَ اللّٰه عنه قال: «قَسَم رسولُ اللّٰهِ ﷺ قَسْماً، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللّٰه لَغَيْرُ هؤلاءِ، كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُم؟ قال: إِنَّهُمْ خَيَّرُوني أن يَسأَلُوني بالْفُحشِ، أَوْ يُبَخِّلُوني، وَلَستُ بِبَاخِلٍ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٥٤ ـ وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطعِم رضيَ اللّٰه عنه أنه قال: «بَيْنَمَا هُوَ يَسيرُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، مَقْفَلَهُ مِن حُنَيْنٍ[٢]، فَعَلِقَهُ الأعْرَابُ يَسْأَلونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوقَفَ النَّبيُّ ﷺ فقال: أَعْطُوني رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لي عدَدُ هذِهِ العِضَاةِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثم لا تَجِدُوني بَخِيلاً وَلا كَذَّاباً وَلا جَبَاناً»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

«مَقْفَلَهُ» أَيْ: حَالَ رُجُوعِهِ. وَ «السَّمُرَةُ»: شَجَرَةٌ. وَ «العِضَاهُ»: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

٥٥٥ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللّٰهُ عنه، أنَّ رسولَ اللّٰهِ ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللّٰهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للّٰه، إِلَّا رَفَعَهُ اللّٰه عزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «خيّروني أن يسألوني بالفُحش أو يُبخّلوني» هذا الحديث الشريفُ يحتاج إلى شرح مفصّل، لأنه دقيق المعنى: فقد قسم ﷺ في بعض غزواته الغنائم، فأعطى أناساً وترك آخرين، فقال له عمر رضي اللّٰه عنه: إن هناك من هو أحقُّ بالغنائم، من هؤلاء الذين أعطيتهم!؟ فوضّح له ﷺ سبب إعطاء هؤلاء، مع علمه بأن غيرهم أحقُّ بالعطاء، وهو أن هؤلاء الأعراب، ألحُّوا عليه في المسألة، لضعف إيمانهم، وألجئوه إلى أن يعطيهم، أو يتّهموه بالبخل، فاختار أن يعطيهم، إذ ليس البُخْلُ من خلقه عليه السلام، مداراةً لهم وتألّفاً على الإسلام. كما قال ﷺ: «إن شرّ الناس من اتّقاه الناسُ مخافةَ شرّه» ففي الحديث مداراة أهل الجهالة والغلظة، وتألّفهم بالمال إذا كان فيه مصلحة، وفيه دلالة على عظيم خُلُقه ﷺ وصبره وحلمه على الجاهلين.

(٢) «مقفله من حنين» أي مرجعه من غزوة حنين، فتعلّق به الأعراب يسألونه العطاء، حتى ألجئوه إلى شجرة كبيرة، كثيرة الشوك، فانتزع الشوكُ رداءه، فقال لهم ﷺ ردُّوا عليّ الرداء، فلو كان عندي من الأنعام عدد هذه الأشجار لقسمته بينكم.

(٣) «لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً» أي ليس بي شيء من هذه الصفات (البخل والكذب والجبن) وإنما قال ذلك، لأنه ﷺ طلب منهم أن يفسحوا له الطريق، ووعدهم بالعطاء وأنه لو كان عندهُ من الإبل والأنعام، بعدد شجر البوادي لقسمه بينهم، فليس هو ببخيل، ولا يُخلف وعده معهم لأنه لا يكذب، ثم هو لا يخاف منهم لأنه شجاع.

قال ابن حجر: وفي الحديث ذمُّ الخصال المنتفية، وأن إمام المسلمين لا ينبغي أن يكون فيه خصلة منها، وفيه ما كان عليه ﷺ من الحلم، وحُسن الخُلُق، وسعة الود، والصبر على جفاة الأعراب.

٥٥٦ ـ وعن أبي كَبْشَةَ «عُمرَ بْنِ سعد الأَنْمَارِيِّ» رضي الله عنه، أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ[١]، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ:

١ ـ مَا نَقَصَ مَالُ عَبدٍ مِن صَدَقَةٍ[٢].

٢ ـ وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ[٣] عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزّاً.

٣ ـ وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ[٤] إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا.

وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ.

● قال: إِنَّما الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ[٥]: عَبْدٍ رَزَقَه اللهُ مَالاً وَعِلْماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بِأَفضَلِ المَنَازِلِ.

● وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَو أَنَّ لِي مَالاً، لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ.

---

(١) «ثلاثة أقسم عليهن» أي ثلاثة صفات أو خصال أقسم لكم عليهن، والنبي ﷺ غنيٌّ عن الحلف، ولكنه للتأكيد على القَسَم.

(٢) «ما نقص مالٌ من صدقة» أي يبارك الله له في المال، ويثيبه عليه في الآخرة، أو يعوّضه عليه في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

(٣) «ظُلم مظلمة فصبر عليها» أي حبس نفسه على ألمها، ولم ينتقم من الظالم مع قدرته على الانتقام، إلا رفع الله قدره، وزاده بها عزاً.

(٤) «فتح باب مسألة» أي سأل الناسَ أن يعطوه، لينال بذلك الغنى، تكثراً من أموال الناس، إلا أفقره الله، وعامله بنقيض قصده، فتبقى نفسه فقيرة، مهما جمع من المال.

(٥) «إنما الدنيا لأربعة نفر» أي لأربعة أنواع من البشر:

١ ـ رجل رزقه الله العلم والمال، فهو يقوم بحقّ هذه النعمة، يشكر ربه، ويؤدي الزكاة، وينفق ويتصدّق، فهذا بأعلى المنازل والمراتب في الآخرة.

٢ ـ ورجل رزقه الله العلم، ولكنه فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، فهو لعلمه النافع، عازم على أن يحسن ويتصدق، ويعمل الخير، لو أن الله رزقه كما رزق الغني، فأجرهما سواء، وثوابهما واحد، الأول بالإنفاق، والثاني بالنية الصالحة.

٣ ـ الثالث إنسان رزقه الله المال، ولكنه أحمق جاهل، يُبذّر ماله، فينفقه في الشهوات والمحرمات، ولا يؤدّي فيه حقّ الفقير والمسكين، فهذا بشرّ المنازل يوم القيامة.

٤ ـ والرابع إنسان ليس عنده علم ولا مال، ولكنه لسفهه وحماقته يقول: لو رزقني الله كما رزق فلاناً الجاهل، لعملت مثل عمله. فوِزْرُهما سواء عند الله، هذا بعمله القبيح، والآخر بنيته السيئة.

● وَعَبدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلماً، فَهُوَ يَخْبِطُ في مَالِهِ، بِغَيرِ عِلمٍ، لا يَتَّقي فِيهِ رَبَّهُ، وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلا يَعلَمُ للَّهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ.

● وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّه مَالاً وَلا عِلْماً. فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُما سَوَاءٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٥٥٧ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها «أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً[١]، فقالَ النبيُّ ﷺ: مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قالت: ما بقي مِنها إلَّا كَتِفُهَا، قال: بَقِيَ كُلُّهَا غير كَتِفِهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث صحيح. ومعناه: تَصَدَّقُوا بها إلَّا كَتِفَهَا فقال: بَقِيَتْ لَنَا في الآخِرَةِ إلَّا كَتِفَهَا.

٥٥٨ ـ وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ الصديق رضي اللَّه عنهما قالت: «قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: لا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ»[٢].

وفي روايةٍ «أَنفِقِي أَو انْفَحِي، وَلا تُحْصي، فَيُحْصي اللَّه عَلَيْكِ، وَلا تُوعِي فَيُوعِي اللَّه عَلَيْكِ» مُتَّفَقٌ عليه. وَ «انْفَحِي» بالحاءِ المهملة: وهو بمعنى «أَنْفِقِي».

٥٥٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنه سمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ والمُنْفِقِ[٣]، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِن حَدِيدٍ، مِن ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ، فَلا يُنْفِقُ إلَّا سَبَغَتْ، أَوْ وَفَرَتْ على جِلدِهِ حتى تُخْفِي بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ، فَلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيئاً إلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلا تَتَّسِعُ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «ذبحوا شاة» أي ذبحوا شاة فتصدقوا بها ما عدا الكتف، فحين سأل النبي ﷺ ماذا فعلوا بالشاة؟ فأخبروه أنهم أنفقوها وتصدقوا بها غير الكتف، فقال لهم: لقد بقي كلُّها إلا الكتف، وهذا تحريض على الصدقة والإنفاق في سبيل اللَّه.

(٢) «لا توكي فيوكي اللَّهُ عليك» أي لا تدَّخري ما عندك، وتمنعي ما في يدك، وتبخلي بالإنفاق، فيمنع اللَّه عنك فضلَه وعطاءه، ويمنع عنك الرزق، جزاءً وفاقاً.

(٣) «مثلُ البخيل والمنفق» هذا الحديث الشريف، مَثَلٌ رائع بديع، لمن عرف فحواه، وأدرك معناه، فقد شبَّه ﷺ البخيل والكريم برجلين، كل واحدٍ منهما لبس درعاً، يستتر به من سلاح عدوه، لبس أحدهما درعه سابغة كاملة حتى سترت جميع بدنه، من العنق إلى القدمين، فهو يتحرك ويصول ويجول آمناً من عدوه، ولبس الآخر الدرع، فلم يصل إلا إلى ثدييه، وبقي جسمه مكشوفاً لعدوه، وصار كمن غُلَّت يداه إلى عنقه، فلا يستطيع الحركة، فالكريم المنفق إذا همَّ بالصدقة انفسح لها صدره، وطابت نفسه، والبخيل إذا حدَّث نفسه بالصدقة، شحَّت وانقبضت يداه.

«الجُنَّةُ» الدِّرعُ؛ وَمَعْنَاهُ: أَن المُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ، حتى تُجرَّ وَرَاءَهُ، وَتُخْفِي رِجْلَيهِ وأَثَرَ مَشيهِ وخُطَوَاتِهِ.

٥٦٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ[١] من كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ[٢]، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُها بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لصَاحِبِها كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[٣] حتَّى تكونَ مثلَ الجبلِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«الفَلُوُّ» بفتحِ الفاء وضَم اللام وهُوَ: الْمُهْرُ.

٥٦١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبي ﷺ قال: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاةٍ[٤] مِن الأرضِ، فَسَمِعَ صَوتاً في سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ[٥]، فَتَنَحَّى ذلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ[٦] مِن تِلكَ الشِّراجِ قَدِ اسْتَوعَبَتْ ذلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذا رَجُلٌ قَائِمٌ في حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ[٧]، فقال له: يَا عَبْدَ اللَّهِ ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسْمِ الَّذي سَمِعَ في السَّحَابَةِ، فقال له: يا عَبْدَ اللَّهِ: لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً في السَّحَابِ، الذي هذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ لاسمِكَ، فما تَصْنَعُ فِيهَا؟ فقال: أَما إِذْ قُلْتَ هذَا، فإنِّي أَنْظُرُ إلى ما يخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وآكُلُ أَنا وعِيالي ثُلُثاً، وأَرُدُّ فِيها ثُلُثَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الحَرَّةُ» الأَرْضُ المُلْبَسَةُ حِجَارَةً سَوداءَ، «والشَّرجَةُ»: مَسِيلُ الماءِ.

❁❁❁

(١) «بعَدْلِ تمرة» أي تصدَّق بقيمة تمرة، ولو كانت الصدقة قليلة، لكن بشرط أن تكون من كسب حلال.

(٢) «ولا يقبل اللَّه إلا الطيب» أي الحلال، لأن اللَّه طيب لا يقبل إلا طيباً، قال تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي من الرزق الحلال.

(٣) «كما يربي أحدكم فلوّه» أي فرسه، والمراد أن اللَّه عزَّ وجل يقبل هذه الصدقة القليلة، وينمّيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل يوم القيامة، ويجد ثوابها عظيماً وجزيلاً. قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(٤) «يمشي بفلاة» أي بأرض قاحلة جرداء ليس فيها ماء.

(٥) «اسق حديقة فلان» أي اسق بستانه بماء هذا المطر.

(٦) «فإذا شرجةٌ» أي مسيلٌ من تلك المسايل يجري فيها الماء.

(٧) «يحوّل الماء بمسحاته» أي بالمجرفة لسيقة الزرع، وإنما أكرم اللَّه هذا الرجل، بنزول المطر في بستانه، لأنه كان يحسن للفقراء والمساكين، فيأخذ الثلث، ويتصدق بالثلث، ويرد الباقي إلى بستانه لمصالحه ونفقة أهله وماله.

بابٌ في النَّهي عن البخل والشح

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل: ٨ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وأما الأحاديث فتقدمت جملة منها في الباب السابق.

٥٦٢ ـ وعن جابر رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ، ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ على أن سَفَكُوا دِمَاءَهم، واستَحَلُّوا مَحَارِمَهُم»[(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في الإيثار والمواساة

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

٥٦٣ ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي مَجْهُودٌ[(٢)]، فأَرسَلَ إلى بَعضِ نِسائِه، فَقَالت: والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عِنْدِي إلَّا مَاءٌ، ثم أَرْسَلَ إلى أُخرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهنَّ مِثْلَ ذلِكَ، لا والَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عِنْدِي إلَّا مَاءٌ[(٣)]. فقال النبيُّ ﷺ من يُضِيفُ هذَا اللَّيْلَةَ[(٤)]؟ فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ[(٥)]!!، فانْطَلَقَ بِهِ إلى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أَكرِمِي ضَيْفَ رسولِ اللَّه ﷺ.

---

(١) تقدَّم هذا الحديث مع شرحه رقم (٢٠٤) باب تحريم الظلم.

(٢) «إني مجهود» أي أصابني الجُهْدُ والتعبُ والجوع.

(٣) «ما عندنا إلا ماء» أي ما عندنا شيءٌ يؤكل إلا الماء.

(٤) «من يُضيف هذ الليلة» أي يأخذه ضيفاً عنده بمكاني، فيطعمه ويسدُّ حاجته!؟

(٥) «فقال رجل من الأنصار: أنا» هو أبو طلحة رضي الله عنه، كما جاء صريحاً في روايةٍ لمسلم، أي أنا أُضيفه هذه الليلة، فذهب به إلى بيته، وقال لزوجته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقد نزل ضيفاً على رسول الله ﷺ، ولم يكن في بيت أحد أزواجه طعام، فأنا أخذته نيابة عنه!! ما أهون الدنيا على الله!؟ هذا هو سيد الخلق، وأفضلُ العالمين، لا يوجد في بيته طعام يأكله إنسان، فيطلب الرسول ﷺ من أصحابه من يأخذه ضيفاً ـ

وفي رواية قال لامرأته: هل عندكِ شيءٌ؟ فقالت: لا، إلّا قُوتَ صبياني!! قال: فعلِّليهم بشيءٍ وإذا أرادوا العشاء، فنوِّميهم. وإذا دخلَ ضيفُنا، فأطفئي السِّراجَ، وأريهِ أنّا نأكل، فقعدوا وأكلَ الضيفُ، وباتا طاويَيْن، فلمّا أصبحَ، غدا على النبيِّ ﷺ، فقالَ ﷺ: لقد عجِبَ اللّه من صنيعِكُما بضيفِكُما اللّيلةَ» متّفقٌ عليه.

٥٦٤ ـ وعنه رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «طعامُ الاثنَيْنِ كافي الثّلاثةِ، وطعامُ الثّلاثةِ كافي الأربعةِ» متّفقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم عن جابرٍ رضيَ اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «طعامُ الواحدِ يكفي الاثنين، وطعامُ الاثنين يكفي الأربعة، وطعامُ الأربعةِ يكفي الثّمانية»[1].

٥٦٥ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي اللّه عنه قال: «بينما نحنُ في سفرٍ مع النّبيِّ ﷺ، إذ جاءَ رجلٌ على راحلةٍ[2] لهُ، فجعلَ يصرفُ بصرَهُ يميناً وشمالاً[3]، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ كانَ معهُ فضلُ ظهرٍ[4] فليعُد به على مَنْ لا ظهرَ لهُ، ومَنْ كانَ لهُ فضلٌ من زادٍ، فليعُد بهِ على مَنْ لا زادَ لهُ» فذكرَ من

= عنده، وقد كان أبو طلحة في ذلك اليوم أيضاً لا يوجد في بيته إلّا طعام أولاده الصغار، فدبّر حيلةً مع زوجته، وهي: أن تضع الطعام أمام الضيف، ثم تقوم إلى السراج بحجة إصلاحه فتطفئه، بعد أن نام أطفالها بدون عشاء، وأن يتظاهرا أنهما يأكلان مع الضيف، فباتا على الجوع، وفي الصباح ذهب أبو طلحة مع ضيفه، وكان قد سبقهما نزول القرآن ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي ويفضّلون غيرهم على أنفسهم، ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة.. فما أسمى هذه النفوس وأزكاها؟ ولهذا قال الرسول ﷺ لأبي طلحة: لقد عجب اللّه من صنيعكما بضيفكما!! إنه مبدأ (الإيثار) الذي لم يُعرف إلا عند الإسلام والمسلمين.

(١) «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة» هذا الحديث فيه استحباب الاجتماع على الطعام، وألّا يأكل الإنسان وحده، وفيه الإشارة إلى المواساة بين المسلمين، فإن اللّه يبارك في الطعام، إذا اجتمع عليه الحاضرون، وبسبب بركة الاجتماع تحصل الكفاية للعدد، وفي حديث الطبراني: «كلوا جميعاً ولا تفرّقوا، فإن طعام الواحد يكفي الاثنين) وهذا كبيان للعلة في سبب الكفاية.

(٢) «جاء على راحلة» الراحلةُ: المركب من الإبل، أي جاء يركب على ناقة.

(٣) «يصرف بصره يميناً وشمالاً» أي ينظر إلى من يجود عليه بشيء من الطعام، يسدُّ به حاجته وجوعه.

(٤) «فضل ظهر» أي مركوباً فاضلاً عن حاجته، فليتصدق على من لا مركب له.

أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ[١] حَتَّى رَأَينَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٦٦ ـ وعن سَهْلِ بْنِ سعدٍ رضي الله عنه «أَنَّ امرَأَةً جَاءَت إلى رسول اللَّه ﷺ بِبُردَةٍ مَنْسُوجَةٍ[٢]، فقالت: نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجاً إِلَيْهَا[٣]، فَخَرَجَ إِلَينا وَإِنَّهَا لَإِزَارُهُ، فقال فُلانٌ: أكسنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا[٤]!! فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: ما أَحسَنتَ! لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً؟ فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ ما سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي!! قال سَهْلٌ: فَكانت كَفَنَهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٥٦٧ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرمَلُوا في الغَزْوِ[٥]، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بِالمَدِينَةِ، جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ، في ثَوبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقتَسَمُوهُ بَيْنَهُم في إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنهُم» مُتَّفَقٌ عليه، «أَرْمَلُوا» أي فَرَغَ زَادُهُمْ، أو قَارَبَ الفَرَاغَ.

❁❁❁

(١) «فذكر من أصناف المال» أي عدّد ﷺ أنواع المال، وأمر ببذل الفاضل عن الحاجة لكل محتاج!! وفي هذا الحديث، دعوة إلى التعاون والتكافل بين المسلمين، امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى﴾وهذا يشمل كل معروف، وكل خدمة إنسانية يقدّمها المسلم لإخوانه، فالغنيُّ يعين الفقير، والقوي يساعد الضعيف، وصاحب السيارة أو الدابة يحمل المنقطع في الطريق، وبذلك يتحقق المعنى السامي الذي هدف له الإسلام.

(٢) «ببردة منسوجة» أي شملة مخطّطة منسوجة معها حاشيتُها، تشبه العباءة التي يتزين بها الإنسان في زماننا.

(٣) «فأخذها النبي» أخذها منها جبراً لخاطرها وكان محتاجاً إليها.

(٤) «أكسنيها ما أحسنها؟» طلب الأعرابي من الرسول ﷺ أن يهبها له، فعاتبه بعض الصحابة على ذلك، وقالوا له: أما علمت أن الرسول ﷺ لا يردُّ سائلاً؟ وقد رأيتَ حاجته إليها؟ فأجابهم أنه ما طلبها ليلبسها، وإنما لتكون كفناً له عند موته، تبركاً بالرسول ﷺ حين لبسها!! قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد: حسنُ خُلُق النبي ﷺ، وسعة جوده، وقبوله الهدية، وفيه التبرك بآثار الصالحين.

(٥) «إن الأشعريين إذا أرملوا» المراد بهم جماعة الصحابي الجليل (أبي موسى الأشعري) أي إذا فنيت أزوادهم أو قلّت وقتَ الجهاد، أو قلّ طعامهم في بلدهم، جمعوا ما عندهم فاقتسموه بالسويّة، فهؤلاء أتباعي، والمقتدون بي في الكرم والمواساة، وفي الحديث فضيلة التعاون والإيثار، وفضيلة المواساة بين المسلمين في الشدائد.

بـابٌ في الـتـنـافـس
في أمور الآخرة، والاستكثار مما يُتبرك به

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١] [المطففين: ٢٦].

٥٦٨ ـ وعن سهلِ بْنِ سعدٍ رضي الله عنه «أن رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فقال لِلْغُلامِ[٢]: أَتَأْذَنُ لي أَن أُعْطِيَ هؤُلاءِ؟ فَقَالَ الغُلامُ: لا وَاللهِ يا رسُولَ اللهِ، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً[٣]!! فَتَلَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ في يَدِهِ»[٤]. مُتَّفَقٌ عليه.

«تَلَّهُ» أَيْ: وَضَعَهُ، وهذا الغُلامُ هُوَ بنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

٥٦٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عنِ النَّبِي ﷺ قالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِن ذَهَبٍ[٥]، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي في ثَوبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ، أَلَم أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قال: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِن لا غِنَى بي عَن بَرَكَتِكَ»[٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

---

(١) ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي ليتسابق المتسابقون إلى طاعة الله، وتحصيل ما فيه نعيم الجنة الخالد.

(٢) «فقال للغلام» المراد بالغلام في الحديث هو (ابن عباس) رضي الله عنه، وكان حينذاك غلاماً يافعاً، فاستأذنه النبي ﷺ، أن يدفع الكأس إلى من هو أكبر منه.

(٣) «لا أوثر بنصيبي منك أحداً» أي لا أقبل أن يفضلني أحد في حقي، تبركاً بك يا رسول الله!!

(٤) «فتله رسول الله في يده» أي فوضعه رسول الله في يده حالاً، وهذا بيان للسُّنَّة النبوية، تقديم الأيمن في كل موطن، والعلة هنا في عدم الإيثار، ليس كونه شراباً، فإن الاهتمام بأمر المطاعم شأن البهائم، وإنما هو لحلول بركته عليه السلام، لكونه سؤره وفضله، وهذا من نباهة الغلام، وجودة فكره.

(٥) «فخرّ عليه جراد من ذهب» أي سقط عليه من علوٍ قطع من ذهب في صورة جراد، معجزة لأيوب عليه السلام.

(٦) «لا غنى لي عن بركتك» أي لا آخذه حرصاً على المال، ولكن لكونه بركة من بركاتك.

بابٌ في فضل الغَني الشاكر
وهو من أخذ المال من وجهه، وصرفه في وجوهه المأمور بها

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾[1] [الليل: ١٧ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ[2] وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرةٌ مَعْلُومةٌ.

٥٧٠ ـ وعن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا في اثنتَينِ[3]: رَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً، فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجُلٌ آتاه الله حِكْمَةً فَهُو يَقضِي بِها ويُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عليه، وتقدم شرحه قريباً.

٥٧١ ـ وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لا حَسَد إلَّا

---

(١) هذه الآيات اتفق المفسرون على أنها نزلت في (أبي بكر الصدّيق) رضي الله عنه، حين اشترى بلالاً وأعتقه في سبيل الله، فقال المشركون: إنما فعل ذلك لنعمة لبلالٍ عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾. قال ابن كثير: وقد حكى بعضهم الإجماع على أنها نزلت في (أبي بكر) ولا شكّ أنه أولى الناس بعمومها، فإنه كان صدّيقاً، تقيّاً كريماً جواداً، بذّالاً لأمواله في طاعة الله، ونصرة رسوله ﷺ.

(٢) ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي إن تظهروا صدقاتكم فنعم هذا الشيء الذي تفعلونه، وإن تخفوها فهو أفضل لكم عند الله وأكرم، لأنه أبعد عن الشهرة والرياء، وهذا في صدقة التطوع، وأمّا في صدقة الفريضة فقد قال بعضهم: إن الإظهار فيها أفضل، والله أعلم.

(٣) «لا حسد إلا في اثنتين» أي لا غبطة إلا في اثنتين، وقد تقدم الحديث وشرحه في باب الكرم والجود، برقم (٥٤٣).

في اثْنَتَيْنِ: رجُلٌ آتاهُ اللَّه القُرآنَ، فهو يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، وَرَجلٌ آتاهُ اللَّه مَالاً، فهوَ يُنْفِقهُ آناءَ اللَّيْلِ وَآناءَ النَّهارِ» مُتَّفَقٌ عليه، «الآناءُ» السَّاعاتُ.

٥٧٢ ـ وَعن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه «أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسول اللَّه ﷺ، فَقَالوا: ذَهَبَ أَهلُ الدُّثُورِ[1] بالدَّرَجَاتِ العُلَى، والنَّعيم المُقِيم؟ فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فَقَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ ولا نَعتِقُ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ؟ قالوا: بَلَى يا رسولَ اللَّهِ!! قَالَ: تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ[2] «ثلاثاً وثلاثين مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إلى رسول اللَّه ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوانُنَا أَهلُ الأَمْوَالِ، بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ!! فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ. ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ روايةِ مسلم.

«الدُّثُورُ»: الأَمْوَالُ الكَثِيرَةُ، واللَّه أعلم.

❁❁❁

بابٌ في ذكر الموت وقصر الأمل

قال اللَّه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ[3] وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

---

(١) «ذهب أهل الدثور بالأجور» أي ذهب أهل الغنى والمال الكثير، بالأجر الوفير، يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم، ويتصدّقون ولا نتصدّق.

(٢) «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة» نبّههم ﷺ إلى أنهم يمكنهم أن يدركوا إخوانهم الأغنياء، بالأجر الذي يحصلون عليه بالإنفاق، وذلك بتسبيح اللَّه وتكبيره، وتحميده، ثلاثاً وثلاثين مرة عقب كل فريضة، فإن لهم بكل تسبيحة أو تكبيرة حسنة، ففي كل صلاة يحصلون على مائة حسنة، وفي صلاة يوم كامل خمسمائة حسنة، وهذا أجر كبير ينالونه دون إنفاق شيء من المال، فطُرُق الخير أمام المؤمن كثيرة ووفيرة.

(٣) ﴿زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ أي أبعد عنها ونجا منها فقد فاز بمطلوبه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١١٥].

وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] [الحديد: ١٦].

والآيات في الباب كثيرة معلومةٌ.

٥٧٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسولُ الله ﷺ بِمَنكِبي

(١) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ..﴾ الآية لمّا هاجر المسلمون إلى المدينة المنوّرة، أصابوا من لين العيش ورفاهية الحياة، ما أصابوا، ففرّطوا في بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا بهذه الآية، ومعناها: أما حان للمؤمنين أن ترقّ قلوبهم، وتلين لمواعظ الله، ولآيات الذكر الحكيم؟ قال ابن مسعود: «ما كان بين إسلامنا، وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية، إلا أربع سنوات» رواه مسلم.

فَقَالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ!! وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي اللّه عنهما يقول: إذا أَمسَيتَ، فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٧٤ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «ما حَقُّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ[2]، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» مُتَّفَقٌ عليه. هذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم «يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالٍ» قال ابن عمر: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ اللّه ﷺ قال ذلِكَ إلّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي!!».

٥٧٥ ـ وعن أنس رضي اللّه عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطاً فقال: «هذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إذ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٧٦ ـ وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللّهُ عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً[3]، وَخَطَّ خَطّاً في الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُوطاً صِغَاراً إلى هذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَطِ، فَقَالَ: «هذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ مُحِيطاً بِهِ ـ

---

(١) «كن في الدنيا كأنك غريب» تقدم شرحه في باب الزهد رقم (٤٧٠).

(٢) «له شيء يوصي فيه» دلّ هذا على استحباب الوصية في حياة الإنسان، لأنه قد يباغته الموتُ، فيموت ولم يتدارك أمره بالوصية، والقول بوجوب الوصية، لمن كان عليه حق شرعي، يخشى أن يضيع على صاحبه إن لم يوصِ به، كوصيّةٍ أو دينٍ لأحد من الناس في عنقه، ومعنى الحديث: لا ينبغي لرجل مسلم عنده مال، أن يبيت ليلتين، إلّا ووصيّته قد جهّزها وهي مكتوبة عنده، لأن الإنسان لا يدري متى يأتيه الموت؟

الـمـوتُ يـأتـي بـغـتـةً والـقـبـرُ صـنـدوق الـعـمـل

وهذا توجيه من النبي ﷺ لأمته أن يقدّموا ما ينفعهم لآخرتهم، ليتداركوا بعض التقصير الذي فاتهم في حياتهم.

(٣) «خطّ النبي ﷺ خطاً مربعاً...» هذا تمثيل رائع للإنسان، وقد أحاط به أجلُه، وامتدّ به أملُه، فالإنسان يكبر ويهرم ويصبح على حافة قبره، ولكن أمله في الحياة، يبقى طويلاً وممتداً، وكأنه سيعيش عمر نوح عليه السلام، بينما أعراض الموت تحيط به من كل جانب، «المرضُ، والهرم، والضعف، وسائر الكوارث المميتة».

ولهذا قال ﷺ: «فإن أخطأه هذا نهشه هذا» أي إن نجا من هذا الداء، أصابه الآخر، حتى يلقى ربه، ويبقى أملُه بعيداً وبعيداً جداً، قال الشاعر:

الـنـاسُ فـي غـفـلاتـهـم ورَحَـى الـمـنـيَّـةِ تَـطْـحَـنُ

أَو قَدْ أَحاطَ بِهِ ـ وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِن أَخْطَأَهُ هذَا، نَهَشَهُ هذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هذَا نَهَشَهُ هذَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَهذِهِ صُورَتُهُ.

الأجلُ: هو المربّع المحيط بالإنسان

الأملُ: هو السهم الخارج عن المربّع

الأعراضُ: الخطوط الصغيرة من الأحداث، والفواجع، والأمراض وقد أحاط به أجله، وأمله بعيدٌ وممتدٌ.

٥٧٧ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً، هَل تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً، أَو غِنىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَو مَوتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَو السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ؟»[1] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٥٧٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ»[2] يَعني المَوْتَ، رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٥٧٩ ـ وعن أُبيِّ بْنِ كعب رَضيَ اللَّهُ عنه: «كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إِذا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، قامَ فقالَ: يا أَيها النَّاسُ: اذْكُرُوا اللَّه، جاءَتِ الرَّاجِفَةُ[3]، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جاءَ المَوْتُ بِما فِيهِ[4]، جاءَ المَوْتُ بما فِيهِ!! قلتُ يا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لكَ مِنْ صَلاتِي؟ قال: ما شِئْتَ! قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قال: ما شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ! قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قالَ: ما شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فهو خَيرٌ لكَ! قُلْتُ: فَالثلثَينِ؟ قالَ: ما شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ! قُلْتُ: أَجْعَلُ لكَ صَلاتِي كُلَّها؟ قال: إِذاً تُكْفَى

---

(١) «بادروا بالأعمال الصالحة» تقدم الحديث مع شرحه رقم (٩٣).

(٢) «هاذم اللذات» أي قاطع اللذات وهو الموت، لأنه يقطع كل لذة، ويُنسي كل ما مرّ على الإنسان من لذائذ في هذه الحياة، وروي بالذال «هادم» وكلاهما بمعنى واحد، وهو القطع، فإن الموت يقطع لذات الدنيا.

(٣) «جاءت الراجفة» أي قَرُب مجيء النفخة الأولى في الصور، تتبعها الرادفة أي النفخة الثانية، كأنه يقول: قرب مجيء القيامة والبعث، فاستعدوا لها.

(٤) «جاء الموت بما فيه» أي جاء بما فيه من شدائد وأهوال.

هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لكَ ذَنْبُكَ»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁❁❁

بابٌ في استِحباب
زيارة القبُور للرّجال، وما يقوله الزائر

٥٨٠ ـ عن بُرَيْدَةَ، رضيَ اللَّهُ عنه، قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ القُبُورَ فَلْيَزُرْ، فَإِنَّها تُذَكِّرُهُ بالآخِرَةِ».

٥٨١ ـ وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: «كان رسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتها منْ رسولِ اللَّه ﷺ يخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إلى البَقِيعِ[٣]، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مؤمِنِينَ[٤]، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَداً مُؤَجَّلُونَ[٥]، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ

---

(١) «إذاً تُكفى هَمُّك ويُغفر لك ذنبك» هذا بيان لفضل الصلاة على النبي ﷺ، فإن الإكثار من الصلاة والسلام عليه، سببٌ لذهاب الهمّ، ومغفرة الذنوب والخطايا، وبيانه أنه من صلّى على الرسول ﷺ مرة، صلّى اللّه عليها بها عشراً، كما ورد في الحديث الصحيح، والصلاة من اللّه بمعنى الرحمة للعبد، ودخوله في رضوان اللّه، فكيف يشقى من يخوض في الرحمة الإلهية؟ أو يناله همٌّ وكرب؟

(٢) «كنت نهيتكم عن زيارة القبور» إنما نهاهم ﷺ عن زيارة القبور، لأنهم كانوا قريبي عهدٍ بالجاهلية، فخاف عليهم من العودة إلى الوثنية، بالتمسح بالقبور، وتعظيم أصحابها، وهذا الحديث الشريف جَمَعَ بين «الناسخ والمنسوخ»، فإن قوله ﷺ: «ألا فزوروها» صريح في الإذن بزيارتها وقد علّله ﷺ بقوله: «فإنها تذكر بالآخرة».

وجاء في صحيح مسلم «أن النبي ﷺ زار قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت».

وهذا الحديث قبل أن يُخبر ﷺ بمصير أهل الفترة، قال اللّه عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ والآية نصٌّ صريح على نجاة أهل الفترة، لأنهم لم تبلغهم الدعوة، ولم يُبعث إليهم رسول، ولا شك أن أبوي الرسول ﷺ من الناجين لهذا النص الصريح القاطع.

(٣) «يخرج إلى البقيع» مقبرة أهل المدينة المنورة، التي تسمى «بقيع الغَرْقد» لأنه كان فيها شجر العوسج.

(٤) «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» كما يُسنُّ السلام على الأحياء، كذلك يُسلَّم على الأموات، والسنة فيه أن يقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أي يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين.

(٥) «غداً مؤجّلون» أي نحن مؤجّلون إلى الغد، والمراد به المستقبل، وقت انتهاء أجل الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي ليوم الحساب والمعاد.

اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ[1]، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٨٢ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضيَ اللَّهُ عَنهُ، قال: «كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٨٣ ـ وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللَّهُ عنهما، قال: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورٍ بالمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بوجهه فقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُم سَلَفُنَا وَنَحْنُ بالأَثَرِ»[3] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁❁❁

بابٌ في كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّ نزل به، ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

٥٨٤ ـ عَنْ أبي هُريرة رضِيَ اللَّهُ عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «لا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ[4]، إِمَّا مُحْسِناً، فَلَعَلَّهُ يَزْدَدُ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ» مُتَّفَقٌ عليه، وَهذَا لفظ البخاري.

وفي روايةٍ لمسلم عن أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنه، عن رسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيراً».

---

(١) «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» إن هنا بمعنى حين، أي ونحن لاحقون بكم، حينَ ووقتَ مشيئة الله تعالى.

(٢) «أسأل الله لنا ولكم العافية» أي النجاة والأمنَ من كل سوء ومكروه، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

(٣) «أنتم سلفنا ونحن بالأثر» أي أنتم سابقون لنا بالموت، ونحن مِيّتون عن قريب، والسَّلفُ: من سبق غيره إلى شيء.

(٤) «لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ» أي لا يشتهِ الموت، ولا يدعو على نفسه بالموت، لأنه إن كان محسناً، فإنه يزداد بعمله الصالح خيراً، وإن كان مسيئاً فلعلّه يرجع إلى الله بالتّوبة، ويتدارك ما فاته، فيقبله الله ويرضى عنه، ومعنى «يَسْتَعْتِبْ» أي يطلب من الله رضوانه، قال تعالى عن الكفار: ﴿وإن يَسْتَعْتِبُوا فما هم من المُعْتَبِين﴾ أي يطلبوا إرضاء الله، فما هم من المرضيّ عنهم، وفي الحديث التصريحُ بكراهة تمنى الموت.

٥٨٥ ـ وعن أنس رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لَضُرٍّ أَصابَهُ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّني إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيراً لي»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٨٦ ـ وعَنْ قَيْسِ بْنِ أبي حازِمٍ[٢] قالَ: «دَخَلْنا عَلى خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوى سَبْعَ كَيّاتٍ[٣] فقال: إنَّ أَصْحابَنا الَّذينَ سَلَفُوا مَضَوْا، ولَمْ تَنْقُصهُمُ الدُّنْيا[٤]، وإنَّا أَصَبْنا ما لا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلَّا التراب[٥]، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهانا أَنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ!! ثُمَّ أَتَيْناهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْني حائِطاً لَهُ[٦]، فقال: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ في كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ، إلَّا في شَيْءٍ يَجْعَلُهُ في هذا التراب» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ رواية البخاري.

❁ ❁ ❁

---

(١) «أحيني ما كانت الحياة خيراً لي» أي إذا كان لا بدّ إلّا وأن يدعو على نفسه بالموت، فليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي، واقبضني إليك إذا كان الموت خيراً لي، لئلا يقطع على نفسه عمل الخير والصالح في الحياة الدنيا.

(٢) «قيس بن أبي حازم» هذا تابعي مخضرم، أدرك الجاهلية، وجاء ليبايع النبيّ ﷺ، فتوفي الرسول وهو بالطريق، فلم يدرك الصحبة، ولكنه روى عن الصحابة رضوان الله عليهم.

(٣) «اكتوى سبع كيّات» أي اكتوى في بطنه بالحديد المحمي بالنار سبع كيّات، **قال الإمام العيني**: والنهيُ الذي جاء عن الكيّ «وأنهى أمّتي عن الكيّ» هو أن يعتقد أن الشفاء من الكيّ، أمّا من اعتقد أن الشفاء من الله تعالى فلا بأس به، أو هو لمن استعجل، ولم يجعله آخر الدواء «آخرُ الدواء الكيُّ».

(٤) «ولم تنقصهم الدنيا» أي إخواننا الذين سبقونا بالموت، لم تنقصهم الدنيا من حسناتهم شيئاً، لأنهم كانوا في قلة، وضيق من العيش، وأما الذين جاءوا بعدهم، فقد اتسعت لهم الدنيا، بسبب الفتوحات، وما يزيد في الدنيا، يُنقص من الآخرة.

(٥) «ما لا نجد له موضعاً إلا التراب» أي ما لا نجد له مصرفاً، إلّا أن ندفنه في التراب خوف اللصوص، وفي رواية الترمذي: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ لا أملك درهماً، وإن في جانب بيتي الآن أربعين ألف درهم».

(٦) «أتيناه وهو يبني حائطاً» أي أتينا خباباً وهو يبني جداراً لبيته، فقال خباب: «إن المسلم يُؤجر في كل شيء ينفقه، إلا في البنيان» يعني إذا لم يكن لحاجة، وإنما هو للتفاخر والتكاثر.

بابٌ في الوَرَع وترك الشبهات

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[١] [النور: ١٥].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[٢] [الفجر: ١٤].

٥٨٧ ـ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضيَ اللَّهُ عنهما قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ[٣]، وبَيْنَهما مُشْتَبِهاتٌ[٤]، لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقى الشُّبهاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ[٥]، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كلُّهُ، وَإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ: أَلا وَهِيَ القَلْبُ» مُتَّفَقٌ عليه، ورَوَياهُ مِنْ طُرُقٍ بِأَلْفاظٍ مُتَقَارِبَةٍ.

٥٨٨ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً في الطَّرِيقِ، فقالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُها» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٨٩ ـ وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمعانَ رضيَ اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «البِرُّ

---

(١) ﴿وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾ الآية أي تظنون الأمر سهلاً لاتبعة فيه، وهو عند الله عظيم الإثم، كبير الجرم، نزلت في قصة الإفك.

(٢) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي يرقب عمل العباد، ويحصيه عليهم، لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، والمرصاد: المكان الذي يترقب فيه الراصد عدوّه، وهذه الآية على التمثيل أي كأنه يترصّد ما يعملون.

(٣) «الحلال بيّن» أي واضح، وكذلك الحرام واضح، يظهر لكل عاقل، حتى القطط تعرف الحلال والحرام، فإذا ألقيتَ إليها قطعة لحم أكلتها بجوارك، وإذا سرقت اللحمَ هربت منك بعيداً.

(٤) «مُشْتَبِهاتٌ» أي يشتبه على الإنسان فيها الحِلُّ والحرمة.

(٥) «استبرأ لدينه وعرضه» أي من احترز من الشبهات، وحفظ نفسه عنها، فقد حصلت له البراءة لدينه، وصان عرضه عن كلام الناس فيه.

وهذا الحديث الشريف أصل عظيم من أصول الشريعة، فقد أرشد إلى معرفة الحلال، وحذّر من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بحمى الملوك، الذي من اقتحمه أوقع نفسه بالعقوبة، وحمى الله في الأرض محارمه، فمن اجتنبها فقد حفظ نفسه من عذاب الله.

حُسنُ الخُلُقِ[١]، وَالإثمُ ما حاكَ في نَفسِكَ[٢]، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «حَاكَ» أَيْ: تَرَدَّدَ فِيهِ.

٥٩٠ ـ وعن وابِصةَ بن معبدٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «أَتَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟[٣] قلت: نعم!! فقال: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: ما اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثْمُ ما حاكَ في النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ» حديثٌ حسنٌ، رَوَاهُ أحمدُ، والدَّارِمِيُّ في «مُسْنَدَيْهِمَا».

٥٩١ ـ وعن أبي سَرْوَعَةَ ـ بالكسر والفتح ـ «عُقْبَةَ بن الحارثِ» رضيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فقالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ، وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا، فقالَ لَهَا عُقْبَةُ: ما أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي ولا أَخْبَرْتِنِي!! فَرَكِبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ، فقال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «كَيْفَ، وَقَدْ قِيلَ؟!» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٥٩٢ ـ وعنِ الحَسَنِ بن عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهما، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لا يَرِيبُكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح، معناهُ: اتْرُكْ ما تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ ما لا تَشُكُّ فِيهِ.

٥٩٣ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالت: «كانَ لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رضيَ اللَّهُ عنهُ، غُلامٌ[٤] يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ وكانَ أبو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ،

---

(١) «البِرُّ حسن الخُلُق» أي معظم البِرّ التخلُّق بالأخلاق الحميدة، من طلاقة الوجه، وكفّ الأذى، وبذل النَّدى، وأن يحب للناس ما يحبه لنفسه، وغير ذلك من الصفات الحميدة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . .﴾ الآية.

(٢) «والإثم ما حاك في نفسك» أي أثّر في نفسك، اضطراباً، وقلقاً، ونفوراً، وكرهتَ أن يعلم الناسُ ما في قلبك، ذلك لأن في النفس شعوراً من أصل الفطرة، بالحسن والقبيح، وبما تُحمد وتُذَمُّ عليه، واستفتِ قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتوك، كما ورد في الحديث الآخر، فالقلب يبقى على أصل صفاء الفطرة، وعدم تدنسه بشيء من آفات الهوى، الموقعة في المعاصي والآثام.

(٣) «جئت تسأل عن البر» أي أنيت تسأل عن البِرّ، الذي هو أصل كل معروف وخير؟ قلتُ: نعم يا رسول الله: جئتُ أسأل عن هذا!؟ وهذا من جملة معجزاته ﷺ، حيث أخبره عما في نفسه، وهذا من الإخبار بالغيوب، التي أطلع الله رسوله على بعضها!!

(٤) «غلامٌ يُخرِجُ له الخراجَ» أي يأتيه بكسبه من الخراج، وهو ما يقرّره السيد على عبده من المال، فيشتغل ويؤديه، وهو ما يسمى بالمكاتبة قال تعالى ﴿وَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾.

فَجَاءَ يَوماً بِشَيءٍ، فَأَكَلَ مِنهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هذَا؟ فَقَالَ أبو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ[1] وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي بِذلِكَ هذا الَّذي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ في بَطْنِهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

«الخَرَاجُ»: شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إِلى السَّيِّدِ كُلَّ يَومٍ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ.

٥٩٤ ـ وعن نافِعٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كَانَ فَرَضَ للمهاجرينَ الأَوَّلِينَ أربعَةَ آلافٍ وفرض لابْنِهِ ثلاث آلافٍ وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟ فقال: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ!! يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٥٩٥ ـ وعن «عَطِيَّةَ بْنِ عُرْوَةَ السَّعْدِيِّ» الصَّحَابِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ[2] حَتَّى يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ، حَذَراً لِمَا بِهِ بَأْسٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁❁❁

بابٌ في استِحباب العزلة عند فَسَادِ النَّاس والزَّمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قالَ اللَّه تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

٥٩٦ ـ وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي اللَّه عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) «كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية» الكاهنُ: من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعي، فهو يدّعي معرفة الغيب، وقد جمع هذا الغلام إلى قبح الكهانة، الخديعة للرجل، وكلا الأمرين رذيلة، وإنما استقاء أبو بكر تنزهاً، وهذا من الورع المطلوب، لئلا يدخل إلى جوفه شيء من الحرام.

(٢) «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين» أي لا يصل الرجل إلى درجة المتقين، الموصوفين بكمال التقوى، حتى يترك ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه، لأن من وقع في الشبهات وقع في الحرام، فمن تجنّب هذا فقد صار عبداً متقياً لله، وهذا توجيه منه ﷺ إلى البعد عن ما يحيك في الصدر من الأمور المشتبه فيها.

ﷺ يَقُول: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

والمُرَاد «بالغَنِيِّ»: غِنَى النَّفْسِ، كما سَبَقَ في الحديث الصحيح.

٥٩٧ ـ وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّه عنه قال: «قال رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يا رسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبِيلِ اللهِ» قال: ثم من؟ قال: «ثم رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شِعْبٍ[٢] مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».

وفي رواية: «يَتَّقِي اللَّه، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٩٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يتبع بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ[٣]، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ من الفِتَنِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ، و «شَعَف الجِبَالِ»: أَعْلَاهَا.

٥٩٩ ـ وعَنْ أبي هُريرة رضي اللَّه عنهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّه نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ قالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلى قَرَارِيطَ[٤] لأَهْلِ مَكَّةَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٦٠٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ في سَبِيلِ اللَّه، يَطِيرُ عَلى مَتْنِهِ[٥]، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً، طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي القَتْلَ، أَو المَوْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِن هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، لَيسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا في خَيْرٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يحب العبد التقي الخفي» أي يحب المؤمن الصادق في إيمانه، الذي يمتثل الأوامر، ويجتنب المحرمات، الغنيّ النفس، الذي يعتزل الناسَ محافظةً على دينه.

(٢) «معتزل في شِعْبٍ من الشِّعاب» الشِّعْبُ: الطريق في الجبل، والمنفرجُ بين الجبلين، أي يكون بعيداً عن الناس، ينقطع لعبادة اللَّه، خوفاً على نفسه من الفتن، وهذا يكون في آخر الزمن، حينما تكثر المنكرات، ويكون الدينُ تبعاً لهوى الإنسان.

(٣) «يتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال» أي رؤوس الجبال فراراً من الفتن، والحديث دالٌّ على فضيلة العُزلة لمن خاف على دينه.

(٤) «أرعاها على قراريط» أي أرعى الغنم لأهل مكة على جزءٍ يسير من المال، والقيراطُ: جزءٌ من الدينار والدرهم، وذلك ليتدرّج كلُّ نبي من رعاية الغنم إلى قيادة الأمم.

(٥) «يطير على متنه» أي يركب ظهر فرسه ويُسرع به للجهاد في سبيل الله، كلما سمع صوتاً للحرب تجهّز له، وطار على فرسه.

«الهَيْعَةُ»: الصوتُ للحربِ. و«الفَزْعَةُ»: نحوهُ. وَ«مَظَانُّ الشَّيءِ»: المواضع الَّتي يُظَنُّ وجودُهُ فيها. و«الغُنَيْمَةُ» تصغير الغنم. و«الشَّعَفَةُ» بفتح الشِّين والعين: هي أعلى الجَبَل.

❁❁❁

بابٌ في فضل الاختلاط بالناسِ[1] وحضور جُمَعِهِمْ وجماعاتهم، ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن تدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى

اعْلم أن الاخْتِلاط بالنَّاسِ، على الوَجْهِ الذي ذَكَرْتُهُ، هو المختار الذي كان عليهِ رسول اللَّه ﷺ، وسائِرُ الأنبياءِ صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهم، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدونَ، وَمَنْ بَعدَهُمْ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابعينَ، ومَنْ بَعدَهُمْ من عُلَمَاءِ المسلِمينَ وأَخيارِهِم، وهو مَذْهَبُ أَكْثَرِ التَّابعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وَبِهِ قَالَ الشَّافعيُّ وأَحْمَدُ، وَأَكْثَرُ الفُقَهَاءِ رضي اللَّهُ عنهم أجمعين.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

والآيات في معنى ما ذكرتُه كثيرة معلومة.

❁❁❁

---

(١) «باب فضل الاختلاط بالناس» خلاصة رأي الإمام النووي رحمه الله: أن من كان قادراً على مخالطة الناس، داعياً لهم إلى الخير، ناهياً لهم عن المنكر، لا يتأثر دينُه بالاختلاط بهم، فهذا الأفضل في حقه أن يخالطهم، ويتصحهم ويذكّرهم، امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]. أمّا من لم يكن عنده علم، ويخشى على نفسه الانخراط فيما وقع فيه الناس، من انتهاكات للمحارم، ووقوع في المآثم، فالأفضل له اجتناب مجالسهم، واعتزالهم والبعد عنهم، صيانة لنفسه ودينه.

بابٌ في التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۖ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٨ ـ ٤٩].

٦٠١ ـ وعن عِيَاض بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قال: قال رسُول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إليَّ أَنْ تَوَاضَعُوا[١]، حتى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ[٢]، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٠٢ ـ وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبداً بِعَفْوٍ إلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «أوحى إليّ أن تواضعوا» التواضع خُلُق الأكابر من الأنبياء والصالحين، وذلك بأن يستشعر المؤمنُ عجزه وضعفه أمام عظمة الله وجلاله، فلا يتكبر على أحد، قال الشاعر:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ ... على صَفَحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخانِ يعلو بنفسه ... إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ

(٢) «حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ» أي لا يتعالى عليه ولا يتباهى بالمكارم والمناقب، من حسب ونسب.

(٣) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه» أي أعزّه ورفع قدره، قال القرطبي: التواضعُ: هو الانكسار والتذلل لله عزّ وجلّ ولمن أمر الله بالتوضع له، كالرسول، والإمام العادل، والعالم، والوالد، فهذا هو التواضع المحمود، الذي يرفع الله به صاحبه في الدارين، وأما التواضع لأهل الدنيا، ولأهل الظلم، فذاك الذلُّ الذي لا عزّ معه، والخيبةُ التي لا رفعة معه، بل يترتب عليه ذلُّ الآخرة.

٦٠٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه «أنَّهُ مَرَّ عَلى صِبيانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ[١]»، وقال: كان النَّبيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٠٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنْ كانَتِ الأَمَةُ مِن إمَاءِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيثُ شَاءَتْ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٦٠٥ ـ وعن الأَسوَدِ بن يَزيدَ قال: سُئِلَتْ عَائِشَةُ رضيَ اللَّه عنها: «ما كانَ النَّبيُّ ﷺ يَصنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالت: كان يَكُون في مِهْنَةِ أَهْلِهِ[٢]»، يعني: خِدْمَةِ أَهْلِهِ، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاة، خَرَجَ إلى الصَّلاةِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٦٠٦ ـ وعن أَبي رِفَاعَةَ «تَميم بن أُسَيْدٍ» رضي اللَّه عنه قال: «انْتَهَيْتُ إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يَخْطُبُ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَريبٌ، جاء يَسْأَلُ عن دِينِهِ، لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَليَّ رسولُ اللَّه ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ[٣] حتى انْتَهَى إليَّ، فَأُتِيَ بِكُرسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه، ثم أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٠٧ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّه عنه «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان إذا أَكَلَ طَعَاماً لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ قال: وقال: «إذا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأذى، ولْيَأْكُلْهَا[٤]»،

---

(١) «مرَّ على صِبْيان فسلَّم عليهم» أي اقتداء بالرسول ﷺ، فقد روى النسائي في سننه «كان الرسولُ ﷺ يزور الأنصارَ، فيسلِّم على صبيانهم، ويمسحُ رؤوسهم، ويدعو لهم» وهذا من تواضعه ﷺ، وحبِّه للكبير والصغير.

(٢) «كان ﷺ في مهنة أهله» أي في خدمتهم، وقد جاء تفسيرها بما رواه عياض في الشِّفاء «كان ﷺ يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويعلف ناضحه، ويقمُّ ـ أي ينظِّف ـ البيت، ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق» وكونه ﷺ في خدمة أهله، من مزيد فضله، وكمال تواضعه، مع أنه سيِّد الخلق على الإطلاق.

(٣) «وترك خُطْبَتَهُ» المراد بها غير خطبة الجمعة، أي كان يخطب في أصحابه ويحدِّثهم، فجاء هذا الرجل «تميم» وقال يا رسول اللَّه: رجل غريب لا يدري ما دينه؟ وهذا تلطُّفٌ من السائل، وفي هذا الحديث بيان كمال تواضعه ﷺ، لأتباعه وكمال شفقته عليهم، والظاهر أنه كان يسأل عن الإيمان وأركانه الهامة، ولذلك أجابه الرسول وترك خطبته مع أصحابه ثم عاد إليهم.

(٤) «فَلْيُمِطْ عنها الأذى» أي يزيل ما لحقها من أذى، ثم ليأكلها، هضماً للنفس، وتعظيماً لنعمة اللَّه، ولا يترك هذه اللقمة للشيطان، فإن هذا من الكِبر.

وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَأَمَرَ أَنْ تُسْلَتَ القَصْعَةُ، قالَ: فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ في أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٠٨ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما بَعَثَ اللّهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ!؟ قالَ أصحابُهُ: وَأَنْتَ؟ فقال: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَ قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٠٩ ـ وعنهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ[2]: وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦١٠ ـ وعن أنسٍ رضي اللّهُ عنه قال: «كانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ العَضْبَاءُ لَا تُسْبَقُ، أَوْ لا تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلى قَعُودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذلِكَ عَلى المُسْلِمِينَ، حَتَّى عَرَفَهُ، فَقالَ: حَقٌّ عَلى اللّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في تحريم الكِبْر والإعجاب

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

---

(١) «لا تدرون في أي طعامكم البركة»؟ يعني أن الطعام الذي يحضر الإنسانَ فيه بركة، ولا يدري الشخصُ هل هي فيما أكل؟ أو فيما سقط؟ أو فيما بقي على أصابعه؟ أو في القصعة؟ فينبغي أن يحافظ على هذا كلّه، لتحصيل البركة، وتعظيم النعمة.

(٢) «لو دُعيت إلى كُراع لأجبتُ» الكُراعُ: هو طلف الشاة الذي يسميه العامة «القَدَم» يعني أنه ﷺ لا يتكبر عن إجابة الدعوة، ولو لشيء قليل، قال ابن بطال: أشار ﷺ إلى الحضّ على قبول الهدية وإن قلّتْ، لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء، فحضّ على ذلك لما فيه من التآلف، وفي الحديث إجابة الداعي، وإن قلّ المدعوُّ إليه، وفي ذلك تحريض على التواضع، وحثٌّ على تعاطي ما يبعث على التآلف، ويغرس الوداد.

ومعنى «تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ» أي: تُميلُهُ وَتَعْرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّراً عَلَيْهِمْ. «والمَرَح»: التَّبَخْتُر.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿خَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ الآيات [القصص: ٧٦ ـ ٨٢].

٦١١ ـ وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، فقالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قال ﷺ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الجَمَالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ على قائِلِهِ، وَ«غَمْطُ النَّاسِ»: احْتِقَارُهُمْ.

٦١٢ ـ وعنْ سلمةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضيَ اللَّهُ عنه «أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فقالَ ﷺ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قال: لا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ[2]، قال: فما رَفَعَهَا إلى فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦١٣ ـ وعنْ حَارِثَةَ بْنِ وهْبٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟[3] كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» مُتَّفَقٌ عليه، وتقدَّمَ شرحُهُ في بابِ ضَعفةِ المسلمين.

٦١٤ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللَّهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ[4]: فِيَّ الجَبَّارونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ!! وقالَتِ

---

(١) «الكبرُ بَطَرُ الحقِّ وغمط الناس» هكذا فسّر النبي ﷺ الكبر، بأنه عدم قبول الحق والانصياع له، واحتقار وازدراء الناس، أمّا لبسُ الجميل من الثياب، وحسن الهيئة والمظهر، فليس من التكبر، لأن الله إذا أنعم على عبدٍ، فإنه يحب أن يرى أثر نعمته عليه.

(٢) «ما منعه إلا الكِبْرُ» أي ما منعه من الأكل باليمين، إلّا تكبُّره وعناده، فما وصلت يمينه إلى فمه بعد ذلك، لأن النبي ﷺ أراد أن يُظهر كذبه، فدعا عليه عند ذلك، مع كمال رحمته، ومزيد عفوه وصفحه، وفي الحديث بيان جواز الدعاء، على من قصد الخروج عن الشريعة قصداً وعمداً.

(٣) «ألا أخبركم بأهل النار» تقدم الحديث مع شرحه باب ضعفة المسلمين رقم (٢٥٣).

(٤) «احتجت الجنة والنار» هذا الحديث على ظاهره، وهو أن الله تعالى يخلق فيهما تمييزاً يدركان به الأمور، فقالت النار مفتخرة: إن زبانتي هم الأكاسرة والجبابرة والظلمة الطغاة، وقالت الجنة متواضعة: لقد أكرمني الله بالضعفاء والمساكين، ففصل الله بينهما الجدال، ـ

الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ!! فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦١٥ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّهُ عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى مَنْ جَرَّ إزارَهُ بَطَراً»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

٦١٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ[2]، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ[3]، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ[4]، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[5] رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «العَائِلُ»: الفَقِيرُ.

٦١٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نال رسولُ اللَّهِ ﷺ قال اللَّه عزَّ وجلَّ: «العِزُّ إِزَارِي، والكِبْرِياءُ رِدَائِي[6]، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦١٨ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي

= وحكم أن الجنة مكان رحمته، يرحم بها من يشاء من عباده، والنار مكان عذابه يُعذِّب بها من يشاء، وهو سبحانه أعدل العادلين.

(١) «لا ينظر اللَّه إلى من جرّ إزاره بطراً» أي لا ينظر اللَّه إليه نظرة رحمة وتكريم، لأنه جرّ ثوبه على وجه الخيلاء والبطر، واللَّه يكره المتكبّر والمتبختر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ومرجع ذلك كله هو الكبرياء.

(٢) «ثلاثة لا يكلمهم اللَّه» أي كلام أهل الخير والمحبة، وإنما يكلمهم كلام السخط والغضب ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

(٣) «شيخ زانٍ» أي رجل كبير السنّ هرم، وهو يرتكب فاحشة الزنى.

(٤) «وملك كذاب» أي الملك الذي يكذب على رعيته، فيعدهم بالرفاهية والحياة السعيدة، ويذيقهم أنواع الذلّ والهوان.

(٥) «وعائل مستكبر» أي فقير صاحب عيال، يستكبر ويستحقر الناس، وإذ أكرم بشيء قليل من المال، ردّه بغطرسة وكبرياء.

(٦) «العز إزاري، والكبرياء ردائي» في هذا الحديث الشريف استعارة بديعة، استعار الإزار، والرداء، للعزّ والكبرياء، كما تقول العرب: فلان شعاره الزهدُ، ودثاره التقوى، ولا يريدون به الثوب الذي هو شعارٌ أو دثار، بل يريدون أنه متصف بالزهد والتقوى، فشبّه تعالى العزّ والكبرياء بالإزار والرداء بطريق الاستعارة، ومعنى «ينازعني» أي يتخلّق بذلك فيصير في معنى المشارك للّه سبحانه في العظمة والجلال.

في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ في مِشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ»، أي: مُمَشِّطُهُ. «يَتَجَلْجَلُ» بالجيمين، أي: يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

٦١٩ ـ وعن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ[1] حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبَّارِينَ، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديث حسن. «يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ» أي: يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ.

❁❁❁

بابٌ في حُسن الخُلُق

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٤].

٦٢٠ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «كانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَا مَسِسْتُ دِيباجاً، وَلا حَرِيراً[2]، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ، أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فما قالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، ولَا قالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذا؟» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢٢ ـ وعن الصَّعب بن جَثَّامَةَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «أَهْدَيْتُ رسُولَ اللَّهِ

---

(١) «لا يزال الرجل يذهب بنفسه» أي يتعالى ويتكبر، ويعتبر نفسه أعلى قدراً من الناس، حتى يصبح في زمرة الجبارين، ويندرج في غمارهم، فيصيبه من العذاب ما يصيبهم، قال تعالى: ﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾!!

قال الحسن البصري: كيف يتكبّر من خرج من مكان البول مرتين، يريد من عضو أبيه، وفرج أمه، وكل منهما مكان للبول.

(٢) «ما مَسِسْتُ ديباجاً ولا حريراً» هذا الحديث الشريف بيان لصفته الخَلْقيّة والخُلُقيّة، فقد كان ﷺ مع ضخامة يده، ليّن الكفّ كأنها حرير، ورائحته تفوح كالمسك، فهو طيب الرائحة خلقةً وإن لم يتطيب، بل كان العرق الذي يخرج من بدنه الشريف أطيب من الطيب، كرامة من اللَّه عزّ وجلّ له، وأمّا أخلاقه فهي في ذروة الكمال، كما شهد بذلك أنس خادم رسول اللَّه ﷺ. اللهمّ خلّقنا بأخلاقه، وأدبنا بآدابه.!

ﷺ حِمَاراً وَحْشِيّاً، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فلمَّا رأى مَا في وَجْهِي قالَ: إنَّا لم نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلَّا أنَّا حُرُمٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢٣ ـ وعن النَّوَاسِ بْنِ سمعانَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «سَأَلْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ عن البِرِّ والإثم!! فقالَ: البِرُّحُسْنُ الخُلُقِ، والإثْمُ: مَا حَاكَ في نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٢٤ ـ وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما قال: «لم يكن رسولُ اللّه ﷺ فَاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً[١]، وكان يَقُولُ: إنَّ مِن خِيارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢٥ ـ وعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه: أن النبيّ ﷺ قالَ: «ما مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يومَ القِيَامَةِ، مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ اللّه يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

«البَذِيُّ»: هو الَّذِي يَتَكَلَّمُ بالفُحْشِ، وردِيءِ الكلام.

٦٢٦ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللّهُ عنه قال: «سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قال: تَقْوَى اللّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ[٢]، وَسُئِلَ عَن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: الْفَمُ، وَالفَرْجُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٦٢٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٦٢٨ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالت: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «إنَّ المُؤمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ، القَائِمِ»[٣] رَوَاهُ أبو داود.

---

(١) «فاحشاً ولا متفحشاً» أي ليس ذا فُحشٍ في كلامه وأفعاله، ولا بذيء سيّء يتكلف فعل القبيح.

(٢) «تقوى اللّه وحسنُ الخُلق» أي المؤمن المتّقي للّه سبحانه، الممتثل للأوامر، والمجتنب للنواهي، وصاحب الخُلُق الحسن.
قال ابن القيّم: جمع بينهما لأن تقوى اللّه، تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسنُ الخُلق يُصلح ما بينه وبين خلقه.

(٣) «يدرك بحسن خُلُقه درجةَ الصائم القائم» حسنُ الخُلق إنما يكون ببسط الوجه، وبذل الندى، وكفّ الأذى، ولماذا ينال درجةَ الصائم؟ لأن أفضلَ درجات النهار: الصائمُ في -

٦٢٩ ـ وعن أبي أُمَامَةَ الباهِليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ[1] الجَنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإن كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإن كَانَ مازِحاً، وَبِبيتٍ في أعلى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[2] حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح. «الزَّعِيمُ»: الضَّامِنُ.

٦٣٠ ـ وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحاسِنَكُمْ أَخلاقاً، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إليَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ[3]، الثَّرْثَارُونَ وَالمتشدقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ قَالوا: يا رسول الله قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ! فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: المُتَكَبِّرُونَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

«الثَّرْثَارُ»: هُوَ كَثِيرُ الكَلامِ تَكَلُّفاً. «وَالمُتَشَدِّقُ»: المُتَطَاوِلُ عَلى النَّاسِ بِكَلامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فيه تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لِكَلامِهِ. «وَالمُتَفَيْهِقُ»: أَصْلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وَهُوَ الامْتِلاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالْكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّراً وَارتِفَاعاً، وَإظْهَاراً للفَضِيلَةِ عَلى غَيرِهِ.

وروى التِّرمِذِيُّ عن عبد الله بن المبارك رحمهُ الله في تَفْسِيرِ حُسْنِ الخُلُقِ قال: هُوَ طَلاقَةُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى.

❁❁❁

بابٌ في الحِلم والأَناة والرِّفق

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

= شدة الحر، وأعلى درجات الليل: المتهجّدُ الساهد لله والناس نيام.

(١) «زعيم ببيت في رَبَض الجنة» أي أنا كفيل وضامنٌ ببيت في أطراف الجنة، لمن ترك الجدال ولو كان على حق، لأن الجدال يثير الضغائن، ويفسد الودّ بين الناس.

(٢) «وببيت في أعلى الجنة لمن حسّن خلقه» فيه بيان أن أعلى المنازل والمراتب، إنما تكون لصاحب الخلق الحسن، وصيغة التضعيف «حَسَّن» فيها إشارة إلى مشقّة التخلّق بذلك، والاحتياج إلى مزاولةٍ كبيرة للنفس، لترويضها على ذلك.

(٣) في الحديث تنفير من مساوئ الأخلاق، التي تكون في بعض الناس، والتي تبعد الإنسان عن مرافقة الرسول ﷺ في جنان الخلد والنعيم، لا سيما لأسوء الناس أخلاقاً، بذاءة اللسان، والكبر والعُجب.

وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٦٣١ ـ وعَنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْس: «إنَّ فيك خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ»[1] رَوَاهُ مُسْلِم.

٦٣٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ[2] في الأَمْرِ كُلِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٣٣ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلى الرِّفق ما لا يُعْطي عَلى العُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلى ما سِواه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٣٤ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ[3] وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ»[4] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٣٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَالَ أَعْرَابِيٌّ في المسجِدِ، فَقَامَ النَّاسُ إلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فقال النبي ﷺ: دَعُوهُ، وَأَرِيقُوا عَلى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ[5]،

---

(١) «إن فيك خصلتين» أي فيكِ أمران كريمان هما: «الحِلْمُ» يعني العقلُ والتثبُّتُ في الأمور، و«الأناة» يعني عدمُ التعجل، وكلا الخصلتين محبوبتان عند الله.
وسبب ورود الحديث: أن الوفد لمّا وصلوا إلى المدينة، بادروا بالذهاب إلى النبي ﷺ، وأمّا الأشجُّ فعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ، فأجلسه إلى جانبه، وقال له ﷺ: «إن فيك خصلتين..».

(٢) «إن الله رفيق يحب الرفق» الرِّفقُ: لينُ الجانب، والأخذ بالأسهل، والمراد في حقه تعالى أنه حليم بالعباد، لا يعجِّل العقوبة لمن عصاه، ويحبُّ من كان فيه الحلمُ والرأفة.

(٣) «إلَّا زانه» أي لا يكون الرفق في أمر، إلا كان زينةً له وجمالاً.

(٤) «ولا ينزع من شيء إلَّا شانه» أي لا يُسلب من شيء، إلا كان له عيباً ونقيصةً، وكان قبيحاً عند الله وعند الناس.

(٥) «أريقوا على بوله سَجْلاً من ماء» أي دلواً من الماء، فإنما جعلكم الله دعاة تيسير، لا دعاة تعسير، وهذا توجيه نبوي كريم لهم، ودرسٌ لكل المرشدين والدعاة، فالأعرابي لا يعرف حرمة المسجد، ولا الآداب الاجتماعية، لحداثة عهده بالإسلام، وبال في طرف المسجد، =

أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «السَّجْلُ»: الدَّلْوُ الْمُمْتَلِئَةُ ماءً، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ.

٦٣٦ ـ وعن أَنس رضِيَ اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا»(١) مُتَّفَقٌ عليه.

٦٣٧ ـ وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٣٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَنَّ رَجُلاً قال للنبيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي!! قال: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قال لَا تَغْضَبْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٣٩ ـ وعن أَبي يَعلَى «شدَّاد بن أوس» رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ اللَّه كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ(٢)، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ(٣)، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

= على الرمل، ظناً منه أنه لا حرج في ذلك، وهمَّ بعض الصحابة أن يبطشوا به، فمنعهم ﷺ وأمرهم أن يصبُّوا على بوله دلواً من ماء.. وفي بعض الروايات أنه بعد أن نبَّهه ﷺ بلطف إلى خطأ ما فعل، قال وهو خارج من المسجد: «اللهمَّ ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً»!! لأنه رآهم يهجمون نحوه، والرسول ﷺ منعهم من ذلك.

(١) «يسِّروا ولا تُعسِّروا» هذا توجيه كريم، من سيد الخلق ﷺ لأمته، أن يكونوا في جميع أمورهم، ميسِّرين لا معسِّرين، ومبشِّرين لا منفِّرين، لأن الإسلام دين اليسر والسماحة، والمسلم ينبغي أن يكون بخُلُقه وسلوكه مبشراً بدين الله، لا منفِّراً عنه، وحُسْنُ المعاملة كان السبب في دخول الكثيرين في الإسلام.

(٢) «إن اللَّه كَتَب الإحسان» أي فرض الإحسان على عباده في جميع الأمور، في المحادثة، والمناظرة، والمعاتبة، وفي التعامل مع الناس، وحتى مع البهائم، ولهذا قال ﷺ: «فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة» بكسر القاف أي فإذا قتلتم إنساناً بالقصاص، أو حيواناً للأكل، فأحسنوا قتله ولا تعذِّبوه.

(٣) «وَلْيُحِدَّ أحدكم شفرته» أي ليحدَّ السكِّين للذبح الحيوان ليريحه، ويعجِّل إمرارها على عنقه، ولا يسلخ جلد الشاة قبل البرودة، ويقطع من الحلقوم لا من القفا، ولا يصرعها بعنف، ولا يذبح واحدة أمام أخرى... لخ، فإذا كانت هذه رحمة الإسلام بالحيوان، فكيف بالإنسان نفسه؟ وينبغي أن نعلم أن الذبح الشرعي للحيوان، هو الراحة له، لقوله ﷺ: «وليُرِحْ ذبيحته» وأمَّا صعقُه بشرارة كهربائية، أو بساطور على رأسه، كما يفعل الغربيون، فهو تعذيب له لا رحمة، ولا يكون الذبح شرعياً!!

٦٤٠ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا[١]، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِن كَانَ إِثْماً، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ تعالى» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤١ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلى النَّارِ ـ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ[٢]؟ ـ تَحْرُمُ عَلى كُلِّ قَرِيبٍ[٣] هَيِّنٍ لَيِّنٍ، سَهْلٍ»[٤] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

❁❁❁

باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٥] [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) «ما خُيِّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما» هذه أخلاق نَبيِّ الرحمة، أنه ما عُرض عليه أمران: أحدهما شديد، والآخر هيِّنٌ، إلا اختار أسهلهما وأيسرهما، تعليماً لأمته أن يتأسوا به، ما لم يكن هذا الأيسر، فيه أثمٌ، قال ابن حجر: «ما خُيِّر بين أمرين» أي من أمور الدنيا، لأن أمور الدين لا إثم فيها، وقوله: «إلا أخذ أيسرهما» أي أسهلهما، ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم، فإنه حينئذٍ يختار الأشد، كتخييره عليه السلام بين أن يفتح عليه كنوز الأرض، وبين أن يؤتيه الكفاف من الدنيا، فاختار الكَفَافَ وإن كانت السعةُ أسهل اهـ. وما انتقم ﷺ لنفسه، إلا إذا انتُهكت حرمةُ الدين، لأن من عظَّم اللهَ حقَّ تعظيمه، سدَّ باب الانتقام لنفسه، وذلك كعفوه عمَّن طعن في قسمته ﷺ لغنائم خيبر، وقال: هذه قسمةٌ ما أريد بها وجهَ الله، وكعفوه عمن جذبه من الأعراب بردائه، حتى أثَّر في عنقه، وقال له: أعطني فإنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك، فضحك ﷺ ثم أمر له بالعطاء.

(٢) «ألا أخبركم» أي هل تريدون أن أخبركم عمَّن تُحرَّم عليه نار جهنم؟ وهذا أسلوب لطيف لتنبيه السامع إلى الحديث والخبر.

(٣) «تُحرَّم على كل قريب» أي على كل مؤمن قريبٍ في مخالطة الناس، بحسن الملاطفة لهم والمحاورة.

(٤) «هيِّن ليِّن سهل» أي فيه السماحةُ واللطفُ والليِن، وهذا خُلُق النبيين قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي بسبب ما أودع الله في قلبك من الرحمة، كنت هيِّناً ليِّناً مع أصحابك، ولو كنت شرس الأخلاق، خشن الجانب، تعاملهم بالغلظة والجفاء، لنفروا منك وتفرَّقوا عنك، وهذا غاية الثناء على سيد الأنبياء ﷺ.

(٥) ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الآية، أي لا تقابل السفهاء والجهلاء بمثل سفههم وجهلهم، بل بالحلم والصفح عنهم، والإعراض عنهم، فإن في الإعراض عن =

وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

٦٤٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبيِّ ﷺ: «هل أَتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ[1]؟ قال: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكَ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ «يَوْمَ العَقَبَةِ»[2]، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلى «ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بنِ عَبْدِ كُلالٍ»، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي[3]، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرنِ الثَّعالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَد أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عليه السلام، فَنَادَانِي فقال: إِنَّ اللَّه تعالى قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَما رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِم!! فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَد سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ: إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَينِ[4]!؟ فقال النبي ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» مُتَّفَقٌ عليه.

= السفيه، إخمادٌ لشرّه، وإذهاب للهيب جهله، قال الشافعي:

قالوا سَكَتَّ وقد خُوصِمْتَ قلتُ لهم ... إن الجوابَ لبابِ الشرِّ مفتاحُ

فالعفوُ عن جاهلٍ بل أخمقِ أدبٌ ... نَعَمْ، وفيه لصون العرض إصلاح

(١) «أشدّ من يوم أحد» أي هل مرَّ عليك زمن، لاقيتَ فيه الشدائد والمصاعب؟ أعظم مما حدث لك في غزوة أحد؟ فإنه ﷺ في أحد شُجَّ وجهُه، وكُسرت رباعيتُه ـ أسنانه الأمامية ـ وسقط في حفرة حفرها له الفاسق المسمّى بالراهب.. الخ.

(٢) «أشد ما لقيته يوم العقبة» هذه عَقَبة عند الطائف، وذلك حين اشتدّ أذى مشاهير قريش عليه ﷺ، بعد وفاة زوجه خديجة، ووفاة عمه أبي طالب، فخرج إلى الطائف يستنجد بأهلها، ويطلب منهم النصر والحماية، فردُّوه أقبح ردّ، وأغرَوْا به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة، حتى أدموا قدميه الشريفتين، ونال منهم ما نال من ضروب السفه والأذى.

(٣) «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي» أي رجعتُ مكسوف الحال، مهموم البال، لا أدري أين أسير؟ ولا أين أذهب؟

(٤) «إن شئت أطْبَقْتُ عليهم الأخشبين» أي قال له ملك الجبال: إن أردتَ يا محمد سحقتُ

«الأَخْشَبَان»: الجَبَلان المُحِيطانِ بِمَكَّةَ، والأَخْشَبُ: هو الجبل الغليظ.

٦٤٣ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: «ما ضَرَبَ رسولُ اللَّه ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلا امْرَأَةً ولا خَادِماً، إِلَّا أن يُجَاهِدَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وما نِيلَ مِنْهُ شَيءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تعالى، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ تعالى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٤٤ ـ وعن أَنس رضي اللَّه عنه قال: «كُنتُ أَمْشِي مَعَ رسول اللَّه ﷺ وعليهِ بُردٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأَدرَكَهُ أعرابيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً[1]، فَنَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَثَّرَت بِها حَاشِيَةُ البُرْدِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قال يَا مُحَمَّدُ: مُرْ لي مِن مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ!! فالتَفَتَ إِلَيهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤٥ ـ وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: «كَأَنِّي أَنظُرُ إلى رسول اللَّه ﷺ يَحكِي نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَواتُ اللَّهِ وسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَومُهُ فَأَدْمَوهُ، وَهُوَ يَمسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجهِهِ، ويقول: اللَّهُمَّ اغفِر لِقَومي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤٦ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

= قومَك المشركين، بالجبلين المحيطين بمكة فأهلكتهم عن آخرهم، عقوبة لهم على فجورهم معك؟ وفي الحديث بيانُ شفقته ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه، ولهذا قال: بل أرجو أن يخرج اللَّهُ منهم أناساً مؤمنين، وذريّة صالحين، يعبدون اللَّه.

(١) «جَبَذه بردائه» أي شدّ النبيّ ﷺ من ردائه شدّةً غليظة، حتّى أثّرت حاشيةُ البُرد في عنقه الشريف، وذلك من سوء أدبه وجفائه على عادة الأعراب الجفاة، ثم قال له: يا محمد أعطني من مال اللَّه الذي أعطاك!! ثم زاد في الوقاحة بقوله: فإنك لا تعطيني من مالك، ولا من مال أبيك!؟ فابتسم ﷺ في وجهه، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيراً، وعلى آخر تمراً.. وفي هذا الحديث بيان لمزيد حسن خُلُقه ﷺ، فإنه عفا عن جنايته، وزاد على العفو بالبشر، كما قال القائل:

بِشَاشَةُ وجهِ المَرْءِ خيرٌ من القِرَى ... فكيفَ بمن يُعطي القِرَى وهو يضحك؟

القِرَى بكسر القاف: العطاءُ والإحسان.

بابٌ في احتمال الأذى

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

٦٤٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: «يا رسولَ اللَّه إنَّ لي قَرَابَةً، أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وأُحْسِنُ إليهِمْ، ويُسيئونَ إليّ، وأحلُمُ عَنهم، وَيجهَلُونَ عَلَيَّ!! فقال: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ[1]، ولا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ تعالى ظَهِيرٌ[2] عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلى ذلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في بَابِ صلة الأرحام.

❁❁❁

باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشّرع، والانتصار لدين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[3] [الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

وفي الباب حديث عائشة السابق في باب العفو.

٦٤٨ ـ وعن أبي مسعود «عقبة بن عمرو البدريّ» رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «إني لأَتَأَخَّر عَن صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ[4] مِمَّا

---

(١) «فكأنما تُسِفُّهم المَلّ» أي تجعلهم يسفُّون الرماد الحارّ.

(٢) «ولا يزال معك ظهير» أي، معين لك عليهم وهو الله عزّ وجلّ، وقد تقدم هذا الحديث وشرحه في باب صلة الأرحام، ورقمه (٣١٩).

(٣) ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ» الحرمات: ما حرّمه الله عزّ وجلّ على عباده من أنواع المحرّمات، أي من يُعظّم أوامر الله سبحانه، باجتناب ما حرّمه من أنواع المنكرات والآثام، ويقف عند حدوده، فهو أتقى له وأفضل!! وفي الحديث «ألا وإن حمى الله محارمُه».

(٤) «إني لأتأخر عن صلاة الصبح» مراده أنه يتربّث حضور الجماعة لتطويل الإمام، قال الحافظ: «من أجل فلان» كناية عن «أُبيّ بن كعب» أي من أجل إطالة أبيّ القراءة والصلاة،

يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ غضِبَ في مَوعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ ممَّا غَضِبَ يَومَئِذٍ، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاس: إنَّ مِنكُم مُنَفِّرِين[١]، فأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِز، فإنَّ مِنْ ورائِهِ الكَبِيرَ والصَّغِيرَ وذا الحَاجَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤٩ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رسول الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهوَةً لي بِقِرَامٍ[٢]، فيهِ تَمَاثِيلُ، فَلمَّا رآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ، وَتَلَوَّنَ وجهُهُ[٣]، وَقال يَا عَائِشَةُ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«السَّهْوَةُ»: كالصُّفَّة تَكُونُ بين يدي البيت، و «القرام» بكسر القاف: سِتر رقيق، وَ «هتكه»: أفسد الصورة التي فيه.

٦٥٠ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عنها «أَنَّ قُرَيشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرأَةِ المَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَت، فقالوا: من يُكَلِّمُ فِيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِىءُ عَلَيْهِ إلا «أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ» حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فقال رسول الله ﷺ:

= والمشتكي ذكر للرسول ﷺ اسم الإمام الذي يطيل بهم الصلاة، ولكنَّ الراوي ذكر فلاناً بالكناية، وذلك من حسن الأدب في التعبير.

(١) «إن منكم منفِّرين» خطب الرسول في أصحابه فقال في موعظته: إن منكم جماعة ينفِّرون الناس عن دين الله، فمن صلى إماماً بالناس فَلْيخفِّف في صلاته، فإن معه الشيخ الهرم، والطفل الصغير، وصاحب الحاجة، وهؤلاء وأمثالهم يتضرَّرون من الإطالة، فكبير السنّ يعجزه طول القيام، والصغير لا يثبت على الإطالة، وصاحب الحاجة تسلبه الإطالة خشوعه الذي هو لبُّ العبادة.

(٢) «سترتُ سَهْوَةً لي بِقِرَامٍ» أي وضعت ستارةً فيها تماثيل على كوّة ونافذة، كما توضع الستائر على الشبابيك والنوافذ لمنع الكشف.

(٣) «تلوّن وجهه» أي لمّا رأى رسولُ الله ﷺ هذه الستارة، تغيَّر وجهه من غضبه لله عزّ وجلّ، فهتك السترة ونزَعها، وقال للسيدة عائشة: إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون «الذين يضاهون» أي يشبِّهون ما يصنعونه بصنع الله عزّ وجلّ، وقد بيَّن ﷺ العلّة من ذلك، وهي المضاهاة أي المشابهة لخلق الله، كما صُرّح به في رواية البخاري «إن أصحاب هذه الصور، يُعذَّبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

قال الإمام العيني: كره رسول الله ﷺ ما كان ستراً، ولم يكره ما يُداس عليه ويوطأ، وبهذا قال البعض من الصحابة والتابعين، حتى قال عكرمة: أن فيما يوطئ من الصور هوانٌ لها.. قال: وهذا أوسط المذاهب، وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة، فقد أُبيح منها ما يُمتهن، لأنه يؤمن تعظيمها، وبقي النهي فيما لا يمتهن كالتعليق على الجدران.

أَتَشفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللَّهِ تعالى[١]؟! ثم قامَ فَاخْتَطَبَ[٢]، ثم قال: إنما أَهْلَكَ مَنْ قبلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيهِ الحَدَّ! وَايْمُ اللَّهِ، لو أَنَّ فَاطِمَةَ بنتَ محمدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥١ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه «أن النبيﷺ رَأَى نُخَامَةً في القِبلَةِ[٤]، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيهِ، حتَّى رُئِيَ في وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فقال: إن أَحَدكم إذَا قَامَ في صَلاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وإنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَينَ القِبلَةِ[٥]، فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ[٦] القِبْلَةِ، ولكِن عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ، فقال: أَوْ يَفْعَلُ هكَذا» مُتَّفَقٌ عليه.

وَالأمرُ بالبُصَاقِ عَنْ يَسَارِهِ أو تَحْتَ قَدَمِهِ هُوَ فِيما إذا كانَ في غَيْرِ المَسجِدِ، فَأَمَّا في المَسجِدِ فَلا يَبصُقُ إلَّا في ثَوبِهِ.

---

(١) «أتشفع في حد من حدود اللَّه» أي أتشفع لتعطيل حدٍّ من حدود اللَّه؟ بعد أن وصل إليَّ؟

(٢) «قام فاختطب» أي خطب في الناس مذكِّراً ومحذِّراً، وبالغ لهم في الموعظة، فبيَّن أن هلاك الأمم قبلهم، كان بسبب تضييعهم حدود اللَّه، وعدم إقامة العدل بين الناس، فإذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف نفذوا فيه الحكم.

(٣) «وايم اللَّه لو أن فاطمة سرقت» أي أُقسم باللَّه (لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها) أتى به على وجه المبالغة، وعلى سبيل الفرض والتقدير، أي لو فُرض وقُدِّر أن فاطمة سرقت لنفذ فيها الرسولﷺ حكم اللَّه تعالى.
حاشا للسيدة «فاطمة الزهراء بنت أشرف الأنبياء» أن تسرق، ولكنه المثل الأعلى يضربه الرسولﷺ لأتباعه، لتقرير مبدأ «العدالة والمساواة» بين البشر، فلا يُترك شريف لوجاهته، ولا يُظلم ضعيف لخموله، فالناس أمام شرع اللَّه كلهم على السواء. كان الرواة إذا ذكروا «فاطمة الزهراء» قالوا: حاشاها من ذلك، وهو الأدب الحسن.

(٤) «رأى نخامة في القبلة» أي رأى في الجدار الذي يستقبلونه نخامةً، وهي النُّخاعة التي يبصقها الإنسان من الحلق، فغضب وحكَّها ﷺ وأزالها من الجدار.

(٥) «وإن ربه بينه وبين القبلة» أي إنَّ من يتوجه إليه في عبادته، ويطلب رضوانه وفضله، هو اللَّه رب العالمين، والمؤمنُ في صلاته وهو يناجي ربه، كأن اللَّه أمامه، فليس من الأدب أن يبصق جهة القبلة، وهو كلام خرج مخرج التعظيم لشأن القبلة.

(٦) «فلا يبزقن أحدكم قِبَلَ القبلة» أي لا يبصق جهة القبلة التي أمر اللَّه بتعظيمها بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال العلماء: والأمر بالبصاق عن يساره أو تحت قدمه، هذا إنما يجوز إذا كان في صحراء أو في برية، أمَّا في المسجد فلا يجوز له ذلك، لأن المساجد في زماننا مفروشة بالسجَّاد والطنافس الثمينة.

بابٌ في أمر ولاة الأمور بالرفق برعَاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] [النحل: ٩٠].

٦٥٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[2]، الإمامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيتِ زَوجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٣ ـ وعن أبي يَعْلى «مَعْقِلِ بن يَسَار» رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَومَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ[3]، إلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ».

وفي روايةٍ لمسلم: «ما مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمورَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ، إلَّا لَمْ يَدخُل مَعَهُمُ الجَنَّةَ».

---

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ..﴾ هذه الآية من الآيات الجامعة المانعة، التي جمعت أصول الدين من «العقائد، والأخلاق، والآداب، والمعاملات، والتربية، والإصلاح» حتى قال عنها الصحابي الجليل ابن مسعود: «هذه أجمع آيةٍ في القرآن، لخيرٍ يُمتثل، ولشر يُجتنب، حيث تناولت جميع الفضائل والمكارم».!

(٢) «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» في هذا الحديث تشبيه بليغ، حُذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، أي كلُّ واحدٍ فيكم كالراعي أو مثل الراعي، عليه أن يحفظ ما استرعاه الله إياه، من زوجة، وولدٍ، ومالٍ وخادم، ومتاع، «الحاكم مسؤول عن الأمة، والزوج مسؤول عن زوجته وأبنائه.. إلى آخره، وقد تقدم هذا الحديث في باب حق الزوج على زوجته.

(٣) «وهو غاش لرعيته» أي خادع ومتآمر على الرعية، إلا حرمه الله دخول الجنة، لأن الله ولّاه عليهم لينصحهم لا ليغشهم.

٦٥٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بَيْتِي هذَا: «اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ من أمر أُمَّتِي شَيْئاً، فَشَقَّ عَلَيهم، فاشقُق عليه[١]، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً، فَرَفَقَ بِهِمْ، فارفُق بِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٥٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إسرائيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ[٢]، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدي، وَسَيَكُونَ بَعدي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ[٣] قالوا: يَا رسولَ الله فما تَأْمُرُنَا؟ قال: أَوفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسأَلُوا اللَّهَ الَّذي لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُم عَمَّا استَرعَاهُم» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٦ ـ وعن «عائذ بن عمرو» رضي الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ عَلى «عُبَيْدِ اللَّهِ بن زِيَادٍ»، فقال له: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ شَرَّ الرُّعَاءِ الْحُطَمَةُ[٤]، فَإِيَّاكَ أَن تَكُونَ مِنْهُم» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٧ ـ وعن «أبي مَريمَ الأَزْدِيِّ» رضي الله عنه، أنه قال لِمُعَاوِيَةَ رضي الله

---

(١) «اللهم من وليَ من أمر أمتي» أي من تولّى شؤون أمتي فأوقعهم في المشاقّ، وحمّلهم ما لا يطيقون، فاشقق عليه دنيا وآخرة، أي أوقعه في مهالك لا يستطيع دفعها، ومن رفق بهم ورحمهم، وأحسن معاملتهم فارفق به، وهذا الجزاء من جنس العمل. ألا فليسمع الولاة والحكام دعاء خاتم الأنبياء، وليضعوا أنفسهم حيث يشاءون من رحمة الله لهم أو عذابه!!

(٢) «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء» أي كانت إدارة شؤونهم، وإصلاح أحوالهم، بيد أنبيائهم، وإذا ظهر فيهم فساد، بعث الله إليهم نبياً يقيم لهم أمرهم، ويفصل بينهم الخصومات.

(٣) «وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون» أي سيأتي بعدي خلفاء، ذوو أعداد كثيرة، فيهم الصالح والطالح، والعادل والظالم، فأعطوهم حقهم من الانقياد والطاعة، إلا إذا أمروكم بما فيه معصية لله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والله سائلهم عمّا قصّروا فيه، من حقوق شعوبهم ورعاياهم.

(٤) «إن شرّ الرعاء الحطمة» الرُّعاء جمع راعٍ أي شرُّ الرعاة والحكّام، القُساة الذين يظلمون الناس، ولا يرقُّون لهم، ولا يرحمونهم.
ضربه ﷺ مثلاً للحكام السوء، والولاة الظلمة، الذين لا ينال رعاياهم منهم، إلّا كل بطشٍ وعدوان، يحكمونهم بالحديد والنار، ولا يحققون لهم مصالحهم.
هذا الحديث قدّمه العالم الناصح «عائذ بن عمرو» لأمير العراق في زمانه «عُبيد بن زياد» ليُنبّهه على خطر الظلم للرعية، وهكذا شأن العالم الذي لا يخشى في الله لومة لائم، يُقدّم النصح لمن تولّى شيئاً من أمور المسلمين، ولا يهاب أن يقول كلمة الحقّ، فلا خير في الأمة إذا لم تتكلم، ولا خير في الحكام إذا لم يسمعوا.

عنه: سَمِعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «مَنْ وَلَّاهُ اللّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وخَلَّتِهِم، وفَقرِهِمْ[1]، احتَجَبَ اللّه دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَفقرِهِ يَومَ القِيامَةِ، فَجَعَلَ مُعَاوِيةُ رجُلاً على حَوَائِجِ النَّاسِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في الوالي العادل

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية إلى آخرها [النحل: ٩٠].

وقال اللّه تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٦٥٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّه في ظِلِّهِ[2] يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادةِ اللّهِ تَعَالى، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلانِ تَحَابَّا في اللّه، اجتَمَعَا عَلَيهِ، وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، ورجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعلَمَ شِمَالُهُ ما تُنفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللّه خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٩ ـ وعن عبدِ اللّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللّهُ عنهما قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللّهِ عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ[3]: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[4] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٦٠ ـ وعَن عَوفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ

---

(١) «فاحتجب دون حاجتهم» أي منع أصحاب الحاجات من الوصول إليه، ولم يسمع إلى مظالمهم، إلا سدَّ اللّه عليه أبواب رحمته يوم القيامة.

(٢) «يظلهم في ظله» أي يظلّلهم اللّه في ظلِّ عرشه، يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّ عرش الرحمن، والمراد بالسبعة: سبعة أصناف، لا سبعة أشخاص، وقد تقدم الحديث مع شرحه في باب فضل الحب في اللّه رقم (٣٧٦).

(٣) «المقسطين على منابر من نور» أي العادلين في أحكامهم، في منازل عالية رفيعة يوم القيامة، تغبطهم الخلائق على مكانتهم عند اللّه، والتعبير جاء بطريق الكناية «منابر من نور» وهو كناية عن ارتفاع شأنهم في معارج القدس.

(٤) «وما وَلُوا» أي وما ولَّاهم اللّه عليه من أمور الرعية.

يقولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ! قالَ قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ[١]؟ قالَ: لا، ما أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا، مَا أَقَامُوا فيكُمُ الصَّلاةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قوله: «تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»: تَدْعُونَ لَهُمْ.

٦٦١ ـ وعنْ عِيَاضِ بْنِ حِمارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ[٢] مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبى وَمسلمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ[٣] ذُو عِيالٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

باب وجُوب طاعة ولاة الأمر
في غير مَعْصِية، وتحريم طاعتهم في المعصية

قال اللَّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٦٦٢ ـ وعن ابنِ عمر رضيَ اللَّهُ عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «عَلى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ، فِيما أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٦٦٣ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا إذا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «أفلا ننابذهم»؟ أي أفلا نقاومهم بترك الطاعة لهم، ونحاربهم؟ قال: لا، ما داموا يصلُّون، ويعلنون إسلامهم.

(٢) «ذو سلطان مقسط» أي مَلِك أو خليفة على المسلمين، يقيم العدل بينهم، موفَّق لفعل الخيرات، وطاعة الرحمن.

(٣) «وعفيف متعفف» أي رجل عفيف النفس، مبالغ في صون ماء وجهه، لا يسأل الناس مع كثرة عياله، ومع حاجته إلى المساعدة.

(٤) «على المرء السمع والطاعة» هذا قانون عامٌّ، يضعه الرسول ﷺ في وجوب طاعة الحاكم المسلم، الذي يطبق شرع الله، وينفِّذ أحكامه. فالطاعة له واجبة، والانقياد له لازم، ما لم يأمر بمعصية الله، في القوانين والأنظمة التي يسنُّها. فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!!

(٥) «فيما استطعتم» هذا من رحمته ﷺ وشفقته بأمته، أنهم كانوا يبايعونه على السمع والطاعة، =

٦٦٤ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعةٍ[١]، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ في عُنقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية لهُ: «وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». «المِيتَةُ» بكسر الميم.

٦٦٥ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٦٦ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٦٧ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو رضي اللَّهُ عنهما قال: «كُنَّا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ[٣]، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ[٤]، وَمِنَّا مَنْ هُوَ في جَشَرِهِ[٥]، إِذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ، أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلى خَيرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ، جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاءٌ[٦] وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وتجيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ

= في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وفي جميع الأمور والأحوال، فكان صلوات الله عليه يقول لهم: «فيما استطعتم» أي قيّدوا هذه البيعة في حدود استطاعتكم، كما ورد في التوجيه النبوي «عليكم من الأعمال ما تطيقون» فما أرحم هذا النبي بأمته!؟

(١) «خلع يداً من طاعة» خلعُ اليد كناية عن نقض عهد البيعة، أي خرج عن بيعة الإمام بعد أن عاهده على السمع والطاعة، بدون سبب شرعي، مات على الضلالة كما يموت أهل الجاهلية عليها.

(٢) «وأثرة عليك» أي، عليكم بالطاعة وإن اختصّ الأمراء بالدنيا، وغلبوكم عليها، ولم يعطوكم حقكم ممّا عندهم، فإن الخروج على السلطان ـ إذا لم يتنكر للإسلام ـ يسبّب الفوضى، وإراقة الدماء، ويجرُّ إلى شرٍّ مستطير.

(٣) «منّا من يُصلح خباءه» أي خيمته التي يجلس فيها.

(٤) «ومنّا من ينتضل» أي يرمي بالسهام تدرباً لحرب الأعداء.

(٥) «ومنّا من هو في جَشَره» أي يرعى أغنامه ودوابّه.

(٦) «يصيب آخرَها بلاء» أي تأتيها المحنُ والكوارث، المتتالية، بحيث تطغى المحنة الجديدة على سابقتها، حتى يقول المؤمن: ستهلكني هذه من شدتها وعظمها!!

بَعْضُهَا بَعْضاً، وتجيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذِهِ هذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتى إِلَيْهِ، ومَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ[1]، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ[2]، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَوْله: «يَنْتَضِلُ» أي: يُسَابِقُ بالرَّمْيِ بِالنَّبْلِ والنِّشَابِ. «وَالجَشَرُ» الدَّوابُّ التي تَرْعَى وَتَبِيتُ مَكانَهَا. وقوله: «يُرَقِّقُ بَعضُهَا بَعْضاً» أي: يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بعضاً رَقِيقاً، أي: خَفِيفاً لِعِظَمِ ما بَعْدَهُ، فالثَّاني يُرَقِّقُ الأوَّلَ.

٦٦٨ ـ وعن أبي هُنَيْدَةَ «وائِلِ بن حُجْرٍ» رضي اللَّهُ عنه قالَ: سَأَلَ «سَلَمَةُ بْنُ يَزِيد الجُعْفِيُّ» رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَراءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، ويَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنه، ثُمَّ سَأَلَهُ،

---

(١) «بايع إماماً فأعطاه صفقة يده» أي بايعه بيعة صادقة، وذلك بوضع يمينه في يده، كما هو الحال في البيعة، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

(٢) «فإن جاء آخر ينازعه» أي فإن أراد آخر أن تكون الخلافة له ويسلبها من الأول، فاضربوا عنقه، لأنه ظالم متعد، خارج عن طاعة الله.

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع الإخبار متكرراً، ووُجد كما أخبر ﷺ: الأثرةُ، والأمورُ المنكرة، وجاءت الفتنُ يرقِّقُ بعضُها بعضاً أي يصيِّر بعضها رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول خفيفاً، **وقوله**: «وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتى إليه» هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حِكَمه، وهذه قاعدة مهمة، ينبغي الاعتناءُ بها، وذلك بأن يُلزم الإنسانُ نفسه، أن لا يفعل مع الناس، إلا ما يجب أن يفعلوه معه، وفيه الحثُّ على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً. اهـ.

أقول: وللحديث تتمة في صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٣ وهي الآتي: **قال عبد الرحمن**: فدنوتُ منه فقلت: أنشدك اللَّهَ أنتَ سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه، وقال: سمعتْهُ أذناي، ووعَاهُ قلبي!! فقلت له: هذا ابنُ عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا!! والله يقول: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؟! فسكت ساعة ـ أي برهة ـ ثم قال: «أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله». ومقصوده أن منازعة «معاوية» لعليٍّ خروجٌ عن البيعة، لأن علياً قد سبقت له البيعة، وخروج معاوية عليه، من أكل أموال الناس بالباطل، ومن قتل النفس، لأنه قتال بغير حق.!

فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ ما حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٦٩ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قالوا: يا رسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧٠ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧١ ـ وعن ابن عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصبِر، فإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبراً[٣]، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧٢ ـ وعن أبي بكرة رضي اللَّه عنه قال: «سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح، وقد سبق بعضها في أبواب.

❁❁❁

بابٌ في النَّهي عَن سؤال الإمارة، واختيار ترك الولاية إذا لم يتعين عليه، او تَدْعُ حاجة إليه

قال اللَّه تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

٦٧٣ ـ وعن أبي سعيدٍ «عبدِ الرَّحمن بن سَمُرَةَ» رضي اللَّه عنه، قال: قال لي

---

(١) «عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم» أي على الحكام إثم ما حملوه من المأثم، وعليكم واجب السمع والطاعة، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ أي على الرسول التبليغُ، وعليكم الطاعة.

(٢) «ومن يعص الأمير فقد عصاني» هذا كلُّه مشروط بأن يكون الأميرُ مسلماً، ومستمسكاً بشريعة اللَّه، وأن لا يأمر بما فيه معصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٣) «من خرج من السلطان شبراً» كنايةٌ عن القلّة أي من خرج من طاعة السلطان ولو قليلاً، مات موت الجاهلية.

رسول الله ﷺ: «يَا عَبدَ الرَّحمنِ بْنَ سَمُرَةَ، لا تَسأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَن غَيْرِ مَسأَلَةٍ، أُعِنتَ عَلَيها، وإن أُعطِيتَهَا عَن مَسأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا[1]، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَها خَيراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ، وَكَفِّر عَن يَمِينِكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧٤ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفسي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلى اثنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٧٥ ـ وعنه رضيَ اللَّهُ عنه قال: «قلت يا رسول الله ألا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى مِنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ: إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّها أَمانَةٌ، وإِنَّها يَومَ القِيامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ[2]، إِلَّا مَن أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عَلَيْهِ فِيها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٧٦ ـ وعن أبي هُريرة رضِيَ الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في حَثِّ السلطانِ والقاضي، وغيرهما من ولاة الأمور، على اتخاذ وزير صالح، وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ اللَّه تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[3] [الزخرف: ٦٧].

---

(١) «وإن أعطيتها عن مسألة وُكلْتَ إليها» المراد بالإمارة: الولاية على الناس، فإنه لا ينبغي للعاقل طلبها، لأن مسؤوليتها عظيمة، لكنْ إذا لم يطالبها وكُلِّف بها، أعانه الله عليها، وإن طلبها ترك الله عونه، **قال في فتح الباري**: من المعلوم أن كل ولايةٍ لا تخلو من المشقة، فمن لم يكن له من الله إعانة، تورَّط فيما دخل فيه، وخسر دنياه وعُقباه، فمن كان ذا عقل لم يتعرَّضْ للطلب أصلاً، وإذا أُعطيها من غير مسألة، فقد وعده الصادق المصدوق بالإعانة، ولا يخفى ما جاء في ذلك من الفضل.

(٢) «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة» بهذا التوجيه النبوي الكريم، البالغ ذروة النصح وحب الخير، يوجِّه رسولُ الله ﷺ أبا ذر، فيقول له: إن الإمارة أمانة، في الدنيا، وفضيحة وندم في الآخرة، فمالكَ ولها!؟

(٣) ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ..﴾ الآية أي الأصدقاء في الدنيا، يصبحون يوم القيامة أعداء، إلا من كانت صداقتُه ومحبتُه لله، ومن أجل رضوانه، فتدوم بينهم الصداقة، وهم المتقون الذين اجتنبوا محارم الله.

٦٧٧ ـ وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رضي اللّه عنهما، أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللّهُ مِن نَبيٍّ، وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إلّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ[١] بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عليهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عليهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللّهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[٢].

٦٧٨ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالتْ: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «إذا أَرَادَ اللّه بِالأَمِيرِ خَيْرَاً، جَعَلَ له وزيرَ صِدقٍ، إن نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإذا أَرَادَ بِهِ غَيرَ ذلِكَ[٣]، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إن نَسِيَ لم يُذَكِّرْه، وَإنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيدٍ على شرط مسلم.

❁❁❁

بابٌ في النّهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرّض بها

٦٧٩ ـ وعن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللّه عنه قال: «دَخَلْتُ على النَّبيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فقالَ أَحَدُهُمَا: يا رسولَ اللّه أَمِّرْنَا عَلى بَعضِ مَا وَلّاكَ اللّهُ[٤] عَزَّ وَجَلَّ، وقال الآخَرُ مِثلَ ذلكَ!! فقال ﷺ: إنَّا وَاللّهِ لا نُوَلِّي هذَا العَمَلَ، أَحَداً سَأَلَهُ[٥]، أو أَحَداً حَرَصَ عليهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

---

(١) «كانت له بطانتان» بطانةُ الرجل صاحبُ سرِّه، ويراد بها هنا: الوليُّ، والصَديق، تشبيهاً له ببطانة الثوب، التي تكون من داخله، أي ما من خليفة ولا حاكم ولا سلطان، إلا وله أصدقاء وأعوان، يدلونه على الخير أو الشر.

(٢) «والمعصوم من عصمه الله» أي ومن أراد اللّه به الخير، عصمه ونجّاه وحماه من قرناء السوء.

(٣) «وإذا أراد به غير ذلك» كناية عن الشر، أي وإن أراد به شرّاً، جعل اللّه له قرناء سوء، يدعونه للشر والقبيح، ولم يصرّح بالشر كما صرّح بلفظ الخير، تحريضاً على اجتنابه.

(٤) «أمّرنا على بعض ما ولّاك الله» أي وظّفنا ببعض الأعمال التي تحت قيادتك ممّا ولّاك اللّه عليها.

(٥) «لا نولّي هَذَا العَمَلَ أَحَداً سأله» أي لا نُسلّم أحداً عملاً سأله، أو حَرَص عليه، وذلك لأن سؤاله له، وحرصه عليه، يُشعر أنه لم يرغب فيه لنفع المسلمين، وإنما سعى لنفع نفسه، لجمع الدنيا وتكثيرها، وفي ذلك إفسادٌ لأمر الناس، وإهلاكٌ له، وذكر ﷺ القَسَم «إنّا واللّهِ» لتأكيد الأمر، وقطع الأطماع.